

لقداسات جمع وعشيات الأحاد واحاد
وأعياد السنة القبطية

المواعظ الإلهية

الكتاب الأول

فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة



مراجعة وتقديم

نبافة الأنبا متاوس

أسقف ورئيس دير السريان

مكتبة
المكية

تصميم

الشمس لوقا الأنطوني

المواعظ الإلهية

لقداسات جمع وعشيات الآحاد
وأحاد وأعياد السنة القبطية

الكتاب الأول

ويشمل فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة

بقلم

القمص لوقا الأنطونى

مراجعة وتقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان

إهداء الكتاب

إلى أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس

كوكب البرية وأب جميع الرهبان .
إلى العاملين في كرم الرب .
إلى الرعاة والمعلمين .
إلى الآباء والبنين .
إلى من تهمة نفسه .
ويتوق إلى خلاص الآخرين .
أهدى هذا الكتاب مع تضرعاتي إلى
الله ليستخدمه لمجد اسمه القدوس — آمين .



القدّيس العظيّم الأنبا أنطونيوس



قداسة البابا شنودة الثالث



نيافة الأنبا متاؤس

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

ما كانت تظهر الطبعة الأولى من المواعظ الإلهية ، الجزء الأول والرابع : ويشملان فترة الصوم الكبير والخمسين المقدسة . حتى نفذت بعد فترة وجيزة . ومن وقتها أبدى الكثيرون من دارسى الكتاب المقدس رغبتهم فى إعادة طبع الجزء أن مرة أخرى .

واننى أجتو أمام إلهنا القدوس ، شاكراً عظيم نعمته ومؤازرته . فها هى الطبعة الثانية تظهر مع بدء الصوم المقدس فى مجلد واحد ويشمل عظات لقداسات جمع وعشيات الأحاد وأحد وأعياد السنة القبطية فى طبعة جديدة ومنقحة .

قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه «وصية جديدة أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا» (يو ١٣ : ٣٤) . وأحب التلاميذ معلمهم ، فانطلقوا يكرزون ويبشرون باسمه ويحملون رسالته ..

وكما كان السيد المسيح نموذجاً عالياً ومثالاً سامياً لكل معلم فى شخصيته وصفاته وأهليته ، كذلك كان فى علاقته كمعلم بتلاميذه خصوصاً ، وبجميع الناس كافة .

وقد كانت هذه المحبة من جانب التلاميذ لمعلمهم الأعظم سر الحماية التى صبت فى دمائهم حرارة ، فطفقوا يعبرون عن حبهم ، مدفوعين به إلى العمل من أجل اسمه ، ونشر دعوته ، محتملين عن رضى كل عنت وإضطهاد من أجله . ومما سجله سفر أعمال الرسل عن تلاميذ السيد المسيح أن قادة اليهود استحضروهم للمحاكمة أمام مجمع السنهدريم ، وهو أعلى سلطة دينية عندهم ، بسبب

تبشيرهم باسم معلمهم. ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم ألا يعلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم. أما هم فأنصرفوا من أمام الجمع فرحين بأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل هذا الاسم» (اع ٥ : ٤٠ ، ٤١).

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأشكر أسرة مكتبة المحبة التي قامت بطبع ونشر هذا الكتاب الأول وفقها الله في جميع مشاريعها لمجد اسمه القدوس وخير الكنيسة.. أرجو من الله أن يكون هذا الكتاب سبب بركة وخلص للنفوس.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم، وبصلوات أبينا المكرم الطوباوي قداسة البابا شنودة الثالث، وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا المكرمين نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السيدة العذراء (السريان)، ونيافة الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس العامر.

لربنا وإلهنا المجد والإكرام إلى الأبد آمين .

القمص لوقا الأنطوني

٦ مارس ٢٠٠٠ م [بدء الصوم المقدس
٢٧ أمشير ١٧١٦ ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الأول فى طبعته الأولى

تعليم الشعب واشباعه بالانجيل من أهم واجبات الكنيسة .

لذلك خصصت الكنيسة الجزء الأول من قداسها لتعليم الشعب وتثقيفه كتابياً وروحياً وعقيدياً وتاريخياً ، وأطلقت على هذا الجزء من القداس « قداس الموعوظين » ، أو القداس التعليمى .

ووضعت الكنيسة فى طقسها أن تقرأ فى القداس التعليمى خمسة فصول من الكتاب المقدس هى :

- + البولس : فصل من إحدى رسائل معلمنا بولس الرسول
- + الكاثوليكون : فصل من إحدى الرسائل الجامعة .
- + الإبركسيس : فصل من سفر أعمال الرسل .
- + المزمور : آية أو أكثر من أحد المزامير .
- + الانجيل : فصل من أحد الأناجيل الأربعة .

تتخلل هذه القراءات قراءة السنكسار بعد قراءة الإبركسيس ، والسنكسار هو سيرة شهيد أو قديس اليوم أو تاريخ العيد أو المناسبة . وتختتم هذه القراءات بالعظة مرتبة على انجيل القداس فى المقام الأول ولكن يؤخذ فى الحسبان ارتباط القراءات ببعضها وسيرة قديس اليوم كبرهان عملى على الحياة حسب الانجيل .

بذلك يأخذ الشعب وجبة تعليمية دسمة مشبعة تؤهله للدخول فى جو القداس الإلهى الروحانى فيرتفع عقله وقلبه الى السماء .

والكتاب الذى بين يديك أيها القارئ العزيز هو مجموعة عظات دسمة مرتبة على أناجيل القديسات أيام جمع وآحاد فترة الصوم الكبير والخمسين المقدسة والأعياد التى تتخللها .

بذل فيه الأب الموقر القمص لوقا الأنطونى جهداً كبيراً رائعاً ، وهو ثمرة خدمته وقراءاته وعظاته فى هذه المناسبات لعدة سنين ، جمعها ونقحها وروىها واستعان فيها بالكثير من نصوص الكتاب المقدس وأقوال الآباء وسير القديسين ورجع الى كثير من المراجع واستفاد منها . فجاءت عظاته دسمة مشبعة .

نرجو من الله أن يستفيد بهذا الكتاب كل من يقرأه وأن يكون سبب بركة ومساعدة
للعواظ والخدام في خدمتهم ووعظهم . وأن يعرض الرب الكاتب أجراً صالحاً سماوياً .
وإلى اللقاء في الجزء الثاني من كتاب .. المواعظ الإلهية لقداسات جمع وآحاد وأعياد
السنة القبطية . منفعة للجميع وسلاماً وبنيناً لكنيسة الله المقدسة عمود الحق وقاعدته .
ولإلهنا المجد في كنيسته إلى الأبد آمين ؟

+

الأبنا متاؤس
الأسقف العام

عيد نياحة القديس العظيم
الأبنا انطونيوس كوكب البرية

٣٠ يناير ١٩٨٦م
٢٢ طوبة ١٧٠٢ ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الجزء الأول فى طبعته الأولى

قال الحكيم : تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها (أم ٢٥ : ١١) إلى اشكر الله شكراً جزيلاً قليلاً الذى أفرزنى منذ حدثتى أن أكون خادماً أميناً لكنيسة المقدسة والذى أرشدنى بروحه القدس . لتقديم كتابى هذا للشعب المسيحى القبطى الأرثوذكسى الغيور . وقد قرأت قبل وضعه كثيراً من الكتب الدينية واقتبست منها ما مكنتنى من وضع هذه العظات كما ترى أيها القارئ العزيز بأسلوب سهل جذاب سلس .

نحن نعمل حسناً إذ كنا نتمسك بهذا الحق عالمين « أن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١ : ٢٩) .

فان هذا يمنحنا سلاماً يفوق كل عقل ويهبنا ثباتاً وقوة فى الجهاد . وبالحا من نتائج مباركة تلك التى يثمرها لنا وفيها هذا اليقين المبارك . أنظروا أية حبة أعطانا الآب . حتى ندعى أولاد الله .

المواعظ الإلهية : مجموعة من العظات الثمينة الروحية تسمو بالمرء للمثل الأعلى وتخلق به فى سماء المجد وقد جاء اسمه خير معبر عما يحويه . يسعد كل مسيحى أن يقتنيه فيجد بين صفحاته طريق الفضيلة والقداسة .

هذا هو الجزء الأول من كتابى أقدمه لكم أيها القراء الأعزاء . طالباً من الرب أن يؤازرنى بنعمته لإخراج الجزء الثانى من مجموعة سلسلة المواعظ الإلهية من هذا المؤلف .

بما فيه من عظات ذهبية لفائدة الكثيرين موجهة أنظاركم الى الرب يسوع المسيح . طالباً أن يرافقه روح الله بقوة . فيصل الى أعماق القلب . ليكون رسالة خلاص للخطاة . وان يستخدمه الله لمجده ولبنيان النفوس .

وإلى أقدم الشكر لله الذى أعان ضعفى حتى ظهر هذا الكتاب ونضع العمل كله بين يدى الرب .

ونسأله أن يقبل هذه التقدمة كرائحة سرور أمامه . وإلى أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأقدم جزيل شكرى وتقديرى والعرفان بالججيل لصاحب القداسة الحبر الجليل نيافة/ الأنبا متاؤس

الأسقف العام الذى باركنا بتفضله بمراجعة وتقديم الكتاب رغم انشغالاته الكثيرة المتزايدة فى خدمة الرب والكنيسة . الرب يعوض تعب محبة نيافته فى أورشليم السماوية .

أسأل الله أن يساعدنى ويقوينى فى كل عمل صالح حتى أتمم خدمتى ورسالتى على أكمل وجه .

بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات القديسة الطاهرة العذراء مريم والدة الإله ، وجميع الطغمات السماوية ، وأيينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان . وبركة وصلوات أيينا أب الآباء وراعى الرعاة غبطة البابا الطوباوى/ الأنبا شنودة الثالث بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وشريكه فى الخدمة الرسولية آباؤنا المكرمين نيافة/ الأنبا متاؤس الأسقف العام. ونيافة/ الأنبا ديسقوروس الأسقف العام وناظر دير أيينا القديس الأنبا انطونيوس العامر . آدام الله حياتهم سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة . ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

+

القمص لوقا الأنطونى

عيد نياحة القديس العظيم
الأنبا انطونيوس كوكب البرية

٣٠ يناير ١٩٨٦ م
٢٢ طوبة ١٧٠٢ ش

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم الجزء الرابع فى طبعته الأولى

لصاحب النياقة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام .

سبق للأب الموقر الراهب القمص لوقا الأنطوني أن أصدر الجزء الأول من موسوعته القيمة أيام الجمع والآحاد لفترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة فلاقى إقبالاً عظيماً ونفذ بسرعة فائقة .

ثم تلاه الجزءان الثانى والثالث يتضمنان عظات قداسات الآحاد لباقي السنة القبطية .

والآن يصدر جنباه الجزء الرابع من هذه الموسوعة ويتضمن عظات على أناجيل عشيات الآحاد لهذه الفترة الروحانية الهامة من السنة وهى فترة الصوم الكبير والخماسين المقدسة .

لقد استفدت شخصياً من قراءتى لهذا الكتاب إذ فيه الكثير من المعلومات القيمة والعظات العميقة التى تمس أوتار النفس فتزهاها هزاً ، فهو يحدثننا عن التوبة ونقاوة القلب والباب الضيق والنجىء الثانى للمسيح ووجوب السهر والاستعداد وهو يدعونا إلى التعمق فى حياتنا الروحية وفى علاقتنا مع المسيح نخلصنا كما يدعونا إلى حياة الشكر كل حين على كل شئ وعلى كل حال وإلى محبة الله وتسليمه القلب تسليماً كاملاً شاملاً ، كذلك يدعونا أن نسير فى الطريق مع المسيح حتى النهاية بأمانة وإخلاص وصبر واحتمال حتى ننال الحياة الأبدية التى إليها دعينا .

أرجو من الله أن يبارك هذا الجهد ليكون سبب بركة لكل من يقرأه وأن يعوض الكاتب كل خير وبركة .

أتمنى من كل قلبى أن تجد صلاة رفع بخور عشية فى كنائسنا الإهتمام اللائق بها
وأن تلقى فيها عظات تعليمية مشبعة حتى يشعر الشعب بمنفعتها فيواظب على حضورها
وينال بركاتها .

بشفاعة أمنا القديسة الطاهرة مريم وصلوات أيينا المكرم البابا المعظم الأنبا شنودة
الثالث آمين .

تذكار نياحة القديس
الأنبا يحنس كاما القس

٤ يناير ١٩٨٨
٢٥ كيهك ١٧٠٤ ش

+

الأنبا متاؤس
الأسقف العام

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد أمين

مقدمة الجزء الرابع فى طبعته الأولى

لقد دفعنى إلى جمع هذا الكتاب — فوق كل شىء — حبة عظيمة لكنيستى القبطية الأرثوذكسية وخدامها المباركين .

يقول معلمنا بولس الرسول لسان العطر ، لتلميذه تيموثيوس : « أنا أناشدك إذاً الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته ، اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ . انتهر . عظ بكل أناة وتعليم . لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح ، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات وأما أنت فاصح فى كل شىء . احتمل المشقات . اعمل عمل المبشر . ثم خدملك » (٢ قى ٤ : ١-٥) .

لقد وضعت الجزء الرابع من موسوعة المواعظ الإلهية بين يدى القارئ العزيز فى هذه الأيام المباركة لأن فيها تمتلئ الكنائس بالمصلين صباحاً ومساءً وفيها يقدم الكثيرون على التوبة وممارسة سر الاعتراف والتقدم للأسرار الإلهية . فيها إنسكاب قوة الرب ونصرته على الشيطان فى البرية كى يتآزر بها كل مؤمن ويتسلح بهذه الغلبة فى الجهاد الروحى .

والآن لا يحتاج جيلنا أكثر من العودة إلى روح الكنيسة الأصلية وإلى ممارسة الطريق الروحانى الذى رسمه آباؤنا القديسون الملهمون بالروح القدس . ولتكن فترة الصوم الأربعينى فترة تجديد روحي يحقق فيها الرب قوله : « الآن أقوم أصنع الخلاص علانية » (مز ١٢ : ٥) .

أقدم الشكر من أعماق قلبى لأئينا المحبوب صاحب النياحة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام لمراجعة وتقديم الكتاب ، وأيضاً للسيد الفاضل الشماس الدكتور توماس بطرس أخصائى طب وجراحة العيون بالقاهرة لمراجعة الكتاب لغوياً .

الرب يعوضهما أجراً صالحاً سمائياً في ملكوت السموات .

ليكن هذا الكتاب ذبيحة مقبولة مقدمة لعريس الكنيسة وفاديتها مخلصنا الصالح يسوع المسيح . .

بشفاعة سيدتنا كلنا والدة الإله العذراء القديسة مريم ، وأيينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أفي جميع الرهبان وبصلوات أيينا المكرم قداسة البابا شنودة الثالث ، وشريكه في الخدمة الرسولية صاحب النياقة الخير الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام .
ولإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

+

القمص لوقا الأنطوني

تذكار استشهاد

القديس لوقا الإنجيلي

أول نوفمبر ١٩٨٧م

٢٢ بابة ١٧٠٤ ش

عظة إنجيل عشية أحد الرفاع اغفر لنا ... كما تغفر

« ومتى وقمتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم » (مر ١١: ٢٥) .

مغفرتك للآخرين شرط أساسى لتبلك المغفرة .

إننا نطلب من الله المغفرة . والله من جانبه مستعد أن يغفر . ولكن المهم : هل نحن مستعدون من جانبنا لقبول هذه المغفرة ؟ هناك شروط : فما هى ؟

نقول فى الصلاة « اغفر لنا .. كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » . إذن مغفرتنا للآخرين شرط أو هى اتفاق بيننا وبين الله . ونلاحظ أن الله اهتم بهذا الشرط جداً . فهذه الطلبة هى الوحيدة من بين الطلبات السبع فى الصلاة الربانية التى علق عليها الوحي الإلهى . وتكلم الرب عنها بعد أن علمنا إياها .. ففى الإنجيل لمعلمنا متى البشير ، يقول الرب بعد هذه الصلاة مباشرة : « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ١٨: ١٤) .

ويوضح هذا فى الإنجيل لمعلمنا مرقس الرسول ، فيقول : « ومتى وقمتم تصلون ، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ، لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم . وإن لم تغفروا أنتم ، لا يغفر أبوكم الذى فى السموات أيضاً زلاتكم » (مر ١١: ٢٥، ٢٦) .

ونفس المعنى أيضاً يتكرر فى الإنجيل لمعلمنا لوقا الرسول ، فيقول الرب : « اغفروا يغفر لكم » . لماذا ؟ يقول « لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (لو ٦: ٣٧، ٣٨) .

إذن إن أردنا أن يغفر الرب لنا ، علينا أن تغفر نحن أيضاً لمن أذنب إلينا مهما كانت إساءاته ، ومهما كثرت حتى إلى سبع مرات سبعين مرة فى اليوم ، كما أجاب الرب

تلميذه بطرس الرسول . وإن لم نغفر فإننا نغلق باب المغفرة أمام أنفسنا ونكون نحن الخاسرين .. من تلقاء نفسك اغفر ، وبالأكثر إن أتاك المذنب إليك معتذراً ، لا تحقق معه ، وإنما اغفر له .

تذكر كيف أن السيد المسيح وهو على الصليب غفر لصاليه ، وقدم عنهم للآب عذراً ، فقال : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣: ٣٤) . وتذكر أن القديس إستفانوس ، أول الشمامسة والشهداء ، فيما كان اليهود يرمونه ظلماً ، صلى من أجلهم قائلاً : « يارب ، لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٧: ٦٠) .

تنازل عن حقل تجاه الناس ، لكي يتنازل الرب عن حقوقه من جهتك ، ولكي تكون لك دالة في الصلاة حينما تقول : « كما نغفر نحن أيضاً » . وكذلك لكي تكون بهذا الأسلوب الروحي صورة من أهلك السماوى ، وإننا حقيقياً مشابهاً لأبيه في مغفرته ، حسبما يبلغ مستواك ... أما إن كنت لا تستطيع أن تغفر ، فماذا تفعل ؟ اعتبر هذه الطلبة عظة لك واصل من أجل تحقيقها . اعتبر أن صوت الله يناديك وأنت تصلى ويقول لك : « اغفر لأخيك لكي اغفر لك أنا أيضاً » وفى صلاتك قل من أعماقك : اعطنى يارب أن اغفر . امنحنى الحب الذى أنسى به أخطاء غيرى . وعلى أية الحالات تكون وصية المغفرة ماثلة أمام عينيك .

وهنا نسأل :

ما علاقة طلبة المغفرة بطلبة الخبز السابقة لها ؟ إن كنا نطلب الخبز السماوى ، أى سر الإفخارستيا اللازم لحياتنا الأبدية ، فإننا ما أن نطلبه حتى نذكر أننا محتاجون للمغفرة لكي نتناول باستحقاق لذلك نقول : اغفر لنا . ثم أننا نتذكر أننا يجب أن « نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ، لكي ننال بغير وقوع فى دينونة ، من هذه الموهبة السماوية . لهذا نقول : كما نغفر نحن أيضاً . إذن يلزم لنا أن نغفر لغيرنا ، وأن يغفر الرب لنا ، لكي نستحق أن نتناول من الأسرار الإلهية .

وإن كنا فى طلبة الخبز نطلب كل الأغذية الروحية اللازمة لنمونا الروحي والحياة الأبد ، فإننا نقول للرب : هذا عن المستقبل الذى نريده معك . أما من جهة الماضى فاغفر لنا . أو نقول فى اعتذار : على الرغم من كل ما تعطينا من غذاء روحى مازلنا يارب نخطئ ، فاغفر لنا .. على أن عبارة « اغفر لنا » لكي يحققها الرب ، لابد لها من شروط . وفى مقدمة تلك الشروط التوبة ، وقد بين الرب أهميتها بقوله : « إن

لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣: ٥) .

الله مستعد أن يغفر ، ولكنه لا يغفر لغير التائبين . إذن التوبة شرط . فإن كانت التوبة هي بداية حياة جديدة مع الله ، فكيف نجتمع بين الله والخطية ؟ والكتاب المقدس يقول « لا شركة بين النور والظلمة » (٢ كور ٦: ١٤) التوبة هي مصالحة مع الله . وهذه المصالحة لازمة للمغفرة . وليست التوبة هي مجرد ترك الخطية بالفعل ، ولا مجرد تركها تفصباً بالفكر وإنما كما يقول القديسون : كما التوبة هي كراهية الخطية .

إن وصل الإنسان إلى حالة كراهية الخطية ، فحينئذ لا يستطيع أن يخطيء ، ولا تكون الخطية موافقة لطبيعته في حالة التوبة . ولكن قد يقول إنسان أنه تائب ، بينما تدل أفعاله على غير ذلك لهذا فإن الكتاب يقول : « اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة » (مت ٣: ٨) فإن قلت في صلاتك « اغفر لنا » فسل نفسك في الداخل : هل أنا تائب ؟ هل أنا اصنع ثماراً تليق بالتوبة ؟ هل هذه الثمار ظاهرة في حياتي وفي سلوكي وتصرفاتي وفي صلحي العملي مع الله ؟ أم أنا أطلب المغفرة بدون هذا كله ؟

كأنك إذن حينما تصلى وتقول « اغفر لنا » إنما تقول ضمناً : اقبل يارب توبتي ، أو امنحني يارب نعمة بها أتوب ، أو « توبني يارب فأتوب » . وما علامة هذه التوبة في حياتك ؟ أول علامة هي : أن تعترف بأنك خاطيء . ويقول الرسول في ذلك : « إن قلنا إنه ليس لنا خطية فنضل أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » (١ يوحنا ٨: ٩) .

إن الخطية التي تعترف بها هي التي تطلب عنها مغفرة . أما المواقف التي ترى نفسك فيها غير مخطيء ، أو أن غيرك هو المخطيء ، فهذه لا تدخل في ذهنك ولا في قلبك أثناء قولك « اغفر لنا » .

إن اعترفت بمرضك فإنك تطلب من الطبيب السماوي أن يمنحك شفاء وعلاجاً . أما إن قلت إنك غير مريض فإن « الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى » (لوقا ٥: ٣٢) . والرب يقول : « لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (لوقا ١٣: ٥) . والذي يعترف بينه وبين نفسه أنه خاطيء ومخطيء يستطيع أن يعترف أيضاً على الأب الكاهن وأيضاً على الآب السماوي .

في عبارة « اغفر لنا » تذكر جميع خطاياك ، واعترف بها أمام الله ، ثم اعترف بها أمام وكيله على الأرض (في ١: ٧) لينحكك حلاً ، وتأخذ من الدم الكريم لتحمي به خطاياك ...

ومن ثمار التوبة أيضاً في حياتك : الانسحاق والندم على الخطية .. إنها ليسا ثمناً للخطية ، إنما علامة على التوبة التي هي شرط للمغفرة . والمغفرة تتم بالكفارة العظمى ، بالدم الطاهر الكريم . ولكن هذا الدم لا يستحق نيل الفداء به إلا المؤمنون التائبون . بالإيمان وبالتوبة والاعتراف تتقدم قائلاً (اغفر لنا) .. وحاذر من أن تطلب المغفرة لغريك دون أن تطلب المغفرة لنفسك ، كما فعل أيوب الصديق الذي كان يقدم محرقات عن ابنه فقط قائلاً : « ربما أخطأ بنى . إلى الله » (أى ١: ٥) دون أن يقدم محرقات عن نفسه .

واعرف أن المغفرة ، حتى بعد أن تتم ، لا تمنع الانسحاق والندم والشعور بعدم الاستحقاق . فداود النبي بلبل فراشه بدموعه ، وعاش في حياة التوبة والبكاء والاعتراف بخطيته ، بعد أن غفرها الرب له .

وبولس الرسول ، بعد أن نال المغفرة وبعد أن ارتفع درجات في حياة الروح ، ظل يقول : « أنا الذي لست مستحقاً أن أدعى رسولاً ، لأنى اضطهدت كنيسة الله » (١ كور ٩ : ١) . « أنا الذي كنت من قبل مفترياً » (١ تي ١ : ١٣) ولم يقل إن ذلك كله فعله شاول الطرسوسي ، وشاول قد مات مع المسيح والموجود الآن هو بولس الذي ارتفع إلى السماء الثالثة .. كلا ، بل قال : « أنا الذي لست مستحقاً أن أدعى رسولاً » .

هل القديسون — كالخطاة — يقولون معهم (اغفر لنا) ...

نعم . الكل يقول هذه الطلبة .. وأول من قالها رسل المسيح . القديسون ، والقديس كلما يتأمل الكمال المطلوب منه ، وصورة الله التي ينبغي أن تكون له ، يشعر في أعماقه أنه خاطيء عن إيمان واقتناع ..

حتى إن فعل القديسون كل ما أمرهم به الرب يقولون « إننا عبيد بطلون » (لو ١٧ : ١٠) .

. إذن فلنطلب كل حين أن يغفر الرب لنا ، ليس الماضى فقط ، وإنما خطايا الحاضر أيضاً ... فنحن فى كل حين نخطئ ، وليست الخطية مجرد ماضٍ تركناه ...

إن إشعيا النبى لما رأى عرش الله ، وحوله السيرافيم يسبحون ، قال : « ويل لى ، لى هلكت ، لأنى إنسان نجس الشفتين » (إش ٦: ٥) .

فماذا ترانا نقول نحن ؟ نقول « اغفر لنا » ...

ولربنا وللهنا المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل قداس رفاع الصوم الكبير

الصوم

ومتى صممت فلا تكونوا عابسين كالمرائين (مت ٦ : ١٦)

ان من أهم أوامر الديانة المسيحية ثلاثة أمور : الصوم . والصلاة . والصدقة . وبدون هذا الارتباط الثلاثي تكون العبادة ناقصة ولا تأثير لها بالمرة . لأنه بالصوم نقفل باب الشهوات . وتنتصر الروح على الجسد . وبالصلاة نفتح باب السموات ونرتقى في النعمة الى القداسة الكاملة . وبالصدقة نحيا الى الأبد ونخلد ونرحم .

ولذلك نرى أن السيد المسيح له المجد عالم بعلاقة هذه الأمور بعضها ببعض كعلاقة الحياة والجسد والعقل بعضها ببعض وضعها في مستوى واحد وأصباح واحد بحيث ان من يهدم أحد الأركان الثلاثة هدم العبادة كلها .

ولذلك لم نرى صلاة مستجابة الا اذا كان للصيام فيها المقام الأول . والصدقة النصيب الأوفر . حتى قال أحد القديسين : صلاة بلا صوم وصدقة لا تتعدى فم صاحبها . ولذا يا أحياناً نتعلم أشياء ثمينة جداً عن موضوعنا في هذا الصباح المبارك ونعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولاً : اذا سألتنا سائل وقال لماذا تصومون ؟

فيكون جوابنا على ذلك . ان الشهوات متى حبلت ولدت الخطية والخطية تلد الموت . وهذا الذى كان فان أبونا آدم . أوصاه الله قائلاً : « من جميع شجر الجنة تأكل أما من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنه يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٦ — ١٧) . ولكن الشيطان الخبيث دخل في الحية فدخلت الى أمانا حواء وأغوتها بحسن لسانها على الأكل منها . فيقول الكتاب المقدس : فرأت الشجرة جيدة للأكل . والذى أبان الشجرة جيدة للأكل انما هى الشهوة « فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل » (تك ٣ : ٦) ولذلك صارنا تحت سلطان الموت فكانت الشهوة أول خصم . ولذلك لما شاء سيدنا له المجد أن يعلمنا طريق الله قطع قبل كل شيء رأس الخصم الأول الذى ابعدنا عن طريق الله (أى الشهوة) لأنه بعد العباد « صام أربعين يوماً وأربعين ليلة » (مت ٤ : ٢) وحينئذ أخذ يعلم الشعب بهذه الطريقة العملية وجوب الصيام .

ولكن الشيطان عدو الخير لم يزل ينفث سمومه في البعض فيبهم جمال الأطعمة وحسن لذتها فيأخذون من ثمرتها ويأكلون بل يغفون الآخرين على المخالفة بقولهم « ليس ملكوت الله أكلا وشربا » وتصير ألسنتهم كالسيوف الحادة يقصفون بها أوصال المتدينين ويقولون كما قال الشيطان أبوهم اذا أكلتما منها تفتتح أعينكما وتصيران عارفاً بالخير والشر وهذا ما يقوله البعض أن أجسادهم تنمو وصحتهم تتحسن . مالكم ومال الصيام . مع أنه بسبب انحلال الصيام . « صار العالم كله تحت دينونة الله الصارمة » وأما انتم يا أبناء الله فلا تصغوا لهذه الأقوال المفرحة في شكلها ولكن فسادها ظاهر وبين واعلموا أن اللذات ليست مولد فقط للموت الروحي بل والجسدى أيضاً وصدق من قال : من كان شرهأً أكلوا فهو يحفر القبر باسنانه ولا تنسوا يا أحبائي أنه ليس بالخير وحده يحيا الانسان واذكروا أن آدم وحواء لم يطردا من الفردوس الا من جراء الأكل . والشعب لما شره في أكل اللحوم الكثيرة التي أمطرها الله عليهم اغاظوا الله جداً حتى ان الله ضربهم بموت الفجأة وربما كان أكثر الموت الفجائي في هذه الأيام ناشعاً عن أكل اللحوم الكثيرة لأن الكتاب يخبرنا ان الأعمار لم تقصر الا بعد الطوفان حينما عرف الناس أكل اللحوم وهذا هو عين تعليل رجال الطب في كل العصور لأن تركيب الانسان يدل على أنه مخلوق داجن وليس حيواناً وحشياً .

ولننظر ماذا يقول الكتاب المقدس : « وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً فدعى اسم ذلك الموضوع قبور الشهوة لأنهم هناك دفنوا الذين اشتوا » (عدد ١١ : ٣٣ ، ٣٤) وان عيسو لما استولى عليه الشر ، باع بكرورته بأكلة عدس ولذلك في وقت اعطاء البركة منع منها (تك ٢٧ : ٣٥) وان أولاد عالي الكاهن لأنهم كانوا يشتون لحم القدس ويأكلونه ماتوا جميعاً في يوم واحد (اصم ٤ : ١١) . ولكن لننظر ماذا يقول الكتاب المقدس عن الفتية الثلاثة لما فطموا شهوتهم عن أكل أطايب أطعمة الملك وخر مشروبه فقد ظهروا أسمن لحماً من كافة الفتيان الآكلين ونالوا معرفة وعقلا ولدانيال أعطى تفسير الرؤيا والاحلام (دا ١ : ١٥) ولم تكتب هذه الحادثة الا لثربنا ان الصائمين يحسنون ويسمنون والشباعي يقبحون وهزلون ولذلك السيد له المجد يغبط الجياع ويقول : « طوبى للجياع والعطاش الى البر فانهم يشبعون » (مت ٥ : ٦) ويقول في لوقا الانجيلي « طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون » (لو ٦ : ٢١) موسى بالصوم استنار حتى أنه رأى الله الذي لا يرى وسمع كلام فمه وقيل منه التاموس والالواح (خر ٢٠ : ٢٤ ، ٢٤ : ١٢) .

بالصوم أهل نينوى نجوا من حكم الله واتقنوا مدينتهم من الانقلاب الذي كان مقرراً لها من قبله (يو ٣ : ٧) .

يهوشافاط لما جاء اليه المؤايون والعمونيون والاراميون وجعل وجهه ليطلب الرب نادى بالصوم في كل يهوذا (٢أى ٢٠ : ١ — ٣) ويوثيل النبي لما جاءت في أيامه ضربة الجراد الثقيلة أمر الشعب بالصوم كما يقول بالتكرار « قدسوا صوماً » (يؤ ١ : ١٤) دانيال لما وجه قلبه للتضرع عن شعبه كان صائماً (دا ٩ : ٣) . استير ومردخاي لما دبر هامان أمر هلاك أمتهما وحظيا بانفاذ الأمر من لدن الملك حولوا الهلاك عن امتهم بالصوم وأحقوه بأعدائهم (اس ٤ : ١٦) . حنة النبية لتعبيها للإله بالصوم وطلبات استحققت الذكر الصالح ومعرفة السيد المسيح والتبشير به كيوحنا (لو ٢ : ٣٦) . والسيد له المجد لما ابتدأ بكرارته ابتدأ بالصوم لكي يرينا أننا لا ننتصر الا بالصوم . والرسل بالصوم قبلوا موهبة الروح القدس المعزى (اع ٢ : ٣) . وأن الرسل صاموا بعد صعود السيد لأنه قال : « ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام » (لو ٥ : ٣٥) .

الأنبياء والمعلمين الذين كانوا مجتمعين بكنيسة انطاكية بالصوم كانوا يخدمون الرب وبه أعلن لهم الروح القدس عن افراز برنابا وبولس للكراسة « بالصوم والصلاة وضعوا عليهم الأيادى (أع ١٣ : ٣) بولس بالجوع والعطش كما يفتخر (٢كو ١١ : ٢٧) . وقد كان يوصى قائلًا : لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات لأن الجسد متى امتلأ من الشبع تعب في القيام بخدمة الله ولذلك الرسول بولس يقول : « لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة » (رو ٨ : ٦) ولا يخفى ان الاهتمام بالجسد إنما هو اعطاؤه جميل المأكولات والملذات . وما أحسن قول بولس الرسول « نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في اتعاب في أسهار في أصوام » (٢كو ٦ : ٤ ، ٥) ويقول أيضاً « ان كان أخوك بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله فلا يفترى على صلاحكم لأن ملكوت الله ليس أكلا وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤ : ١٥ — ١٨) وما يظهر ضرورة الصيام قوله لأهل فيلبى : « لأن كثيرين يسرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكباً وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين المههم بطنهم ومجدهم في خزيمهم الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٨ ، ١٩) . ويقول عن المرأة المنتعمة فقد ماتت وهى حية (١ تي ٥ : ٦) وبطرس الرسول يقول : « أيها الأحباء اطلب اليكم كخرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » (١ بط ٢ : ١١) ولكنه لم يقل ان تمتنعوا عن الصيام .

ثانياً — الصوم معناه الامتناع عن الأكل بتاتا وحسب الاصطلاح فهو الامتناع عن الآتى :

١ — الامتناع عن الأكل مدة من الزمان حسب تقرير الكنيسة وهذه المدة من انتصاف الليل الى خروج الكنيسة . على أنها في أغلب الاحيان تخرج عند الظهر وبعض الأحيان الى الساعة التاسعة (الساعة الثالثة بعد الظهر) وعلى ذلك ينفي قول الذين يعتقدون أن الصيام عندنا هو عبارة عن أكل وشرب من أول النهار . وهذا هو المقرر فى قوانين الكنيسة المقدسة . وقد أخذ هذا الترتيب الالهى من كتاب الله نفسه اذ يقول الكتاب المقدس عن بطرس الرسول : أنه كان يصوم الى الساعة السادسة من النهار (أع : ١٠ : ٩)

وكرنيلوس الرجل التقى الخائف الله الذى قبلت صلواته وصدقاته وأصوامه كان يصوم الى الساعة التاسعة (أع : ١٠ : ١ — ٤) وكفى بذلك شاهداً قويا على صحة ترتيب الكنيسة الأرثوذكسية وموافقتها لكلمة الله

٢ — ان الصوم لا يقوم فقط عن الأكل والشرب بل الامتناع عن الشر وشبه الشر وليس كما يدعى البعض علينا ان الصوم عندنا هو مجرد أكل البقول . بل هو الامتناع عن كافة الشر اذ نقول فى كتب الترانيم المقدسة « ان الصوم ليس معناه الجوع » مستندين فى ذلك على قول أشعياء النبى اذ يقول : « أليس هذا صوماً اختاره حل قيود الشر فك عقد النير واطلاق المسجونين احراراً وقطع كل نير أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك . اذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحملك » (اش : ٥٨ : ٦ — ٧) . هذا هو الواجب الذى فرضه الله على المؤمنين أثناء صومهم وهو ما تتبعه كنيستنا المقدسة بالحرف الواحد .

٣ — أيضاً يقوم بالامتناع عن جميع اللذات حتى المحللة منها كالتأنيق فى الطعام . كما ترى ذلك فى الثلاثة فتية الذين اقتصرُوا على أكل القطاى . لأن الصيام هو عبارة عن كبح شهوات النفس وكيف يتأتى ذلك لمن يعطيها كل ما تشتهيه وتريده ويؤيد ذلك بولس الرسول بقوله : « أقمع جسدى واستعبده » (١ كو ٩ : ٢٧) . الامتناع عن الزينة اذ جاء فى قوانين ابن العسال ولا يتزين فى تلك الأيام والنساء لا يضعن حلين لأن الزينة طبعاً تدل على السرور والصيام يدل على الحزن . وهكذا عكس ذلك .

ثالثاً — الا تعرفون أن كنيسةنا الطاهرة المقدسة تعلمنا أن كل الأطعمة محللة ولا يوجد شيء منها نجس أو دنس :

ولكن تأمرنا بالامتناع عن بعض الأطعمة في الصيام ليس بنوع التحريم بل بنوع الامتناع على سبيل الرياضة الروحية وقمع الجسد وتذليل شهواته . وامتناعها عن الأطعمة الدسمة أثناء الصوم ولا يستدل منها على أنها تحرمها ولولا ذلك ما كانت تحملها في أيام غير الأصوام لأن معنى حرام أن الشيء المحرم يكون محرماً دوماً لا أياماً دون أيام كما نعلم من الكتاب المقدس ونحن لا نستند في ذلك على أقوالنا البشرية بل على كتاب الله نفسه انظروا ان الله لما أراد ان بنى اسرائيل يحزنون على خطاياهم ويتذللون أمامه أمر النبي حزقيال أن يأكل متذلاً : « قمحاً وشعيراً وفولاً وعدساً ودخناً وكرسنة (أى كمون) » (حز ٤ : ٩) ولم يطلق له حرية المأكولات بل خصصه وفرزه له لكي نعلم أن أيام الحزن والتذلل والصوم يجب أن تكون مأكولاتها غير دسمة . وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال دانيال النبي اذ يقول : « كنت أبكى ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمى لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دا ١٠ : ١ — ٣) وليس ذلك فقط بل نحن نصوم على مثال داود النبي الذى كان يصوم بعض ساعات من النهار وفي خلالها يأكل الأشياء الخالية من الدسم والقوة اذ يقول : « ركبناى ارتعشنا من الصوم ولحمى هزل عن سمن » (مز ١٠٩ : ٢٤) .

وعلى ذلك فكنيسةنا كونها تأمرنا بأن نصوم عن اللحوم مدة من الزمان أمر كتابى محض كما أن أكل البقول فيها ليس بدعة كما يدعى علينا البعض .

رابعاً : ينقسم الصوم الى نوعين :

١ — الصوم الخاص

وحكمه حكم الصلاة الانفرادية . فكما أن الصلاة الانفرادية لا يعلم بها أحد خلاف الله كذلك الصوم الخاص لا يعلم به إلا الله كما يقول السيد له المجد : « وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى يرى في الخفاء فابوك الذى يرى في الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ١٧ — ١٨)

٢ — الصيام العام :

وهو ما يشترك فيه جميع أفراد الشعب . والذى يقرره انما هي الكنيسة المقدسة . وحكمه حكم الصلاة الجمهورية والصدقات الجمهورية . فاذا جاز للكنيسة أن تسن

صلوات جمهورية جاز لها بموجب السلطان الرسول المعطى لها من الله أن تسن صيامات عامة . وعلى ذلك فقول الذين يقولون أن الصيام لا يجوز لأحد أن يعلم به أبداً إنما هو ينطبق فقط على الصيام الخاص لا العام والا لقلنا لهم لماذا تصلون في كنائسكم صلوات جمهورية عامة معروفة من كل أحد .

فاذا قالوا لنا هذا ما تبيحه كلمة الله . نقول لهم ولماذا اذاً لا تعترفون بصيام عام . ومن المعلوم أن ما جاز على الصلاة يجوز على الصيام . وعلى ذلك نقول أن وضع الكنيسة للصيام كان بإرادة الله وارشاد الروح القدس حيث يقول على قم زكريا النبي : « ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر ليكون ليبت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة » (زك ٨ : ١٩) وكما يقول بقم أشعياء النبي : « أما أنا فهذا عهدى معهم قال الرب . روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعت فى فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد » (أش ٢٩ : ٢١) فيقوله بنيك أشار الى الرسل ويقول بنى بنيك أشار الى خلفائهم وبهذا الكلام دل دلالة واضحة على أن معلمى الكنيسة الملهمين بنعمة الروح القدس خلفاء آبائنا الرسل يكون فيهم روح الرسل كما يقول السيد المسيح بقمه الطاهر : « ها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ومن ثم ان جميع الصيامات التى تسلمتها الكنيسة ما هى الا مسلمة من الرسل الأطهار والآباء الأبرار .

خامساً : الغرض من الصيام :

١ - كبح الشهوات النفسية

من المعلوم ان الانسان تحاربه قوات ثلاثة — الجسد . والخطية . والشيطان . وكلهم يعملون على اسقاطه وموته . ولا يوجد للانسان سلاح يدافع به عن نفسه الا الصوم والصلاة ولذلك يقول الكتاب المقدس : « اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجارب » (مت ٢٦ : ٤١) ولما سئل السيد عن اخراج الشياطين قال : « ان هذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة » (مر ٩ : ٢٩) . وعلى ذلك كان الصيام من أهم الأمور المضغفة لشهوة الجسد والمطاردة للشياطين والقاتلة للخطية .

٢ - الشعور بالاحتياج للغير :

قال يوحنا قم الذهب فى احدى مقالاته ان الصيام فضلاً عن أنه يقرئنا من الله ويحبلنا فى حضرته الإلهية هو أيضاً يشعرنا باحتياج الآخرين لأن الإحسان إنما هو بقدر شعور الانسان بألم الغير . وأى ألم أعظم من ألم الجوع والفقر .

٣ — يجعلنا أن نتمتع بحضرة الرب :

فان موسى لما صام رأى الله . واستنار وجهه حتى صار كالشمس الالامعة .
ويطرس لما صام سمع صوت رب السماء .
وليليا لما صام قرب من حضرة العلى .
وكثيرين نالوا رضا الله وقربه بواسطة الصلاة والصوم

سادساً — البعض ربما يجهلون أو يتجاهلون عمداً ويقولون هل أنتم تصومون للقديسين ؟
والحقيقة التى نحن نعتقدها من الصغير الى الكبير هى أننا لا نصوم إلا لله . ولكن ربما
البعض استنتج هذا من تسميتنا بعض الصيامات بأسماء أشخاص معينة . كقولنا صيام
الرسول فما ذلك الا لأن الرسل صاموا هذا الصيام كما يعلمنا تاريخ الكنيسة المقدسة هى أن
الصوم غير جائز إلا لله وحده . ومن الصالح ان نقتدى بالرسول فى مثل هذا العمل الحسن
لأنه يقول الرسول بولس : « حسنة هى الغيرة فى الحسنى » (غل ٤ : ١٨) . وقد دعونا
ذلك الصوم باسم الرسل من باب تسمية الشئ باسم واضعه كما دعيت التوراة الإلهية
الربانية باسم موسى فى قوله : « اذكروا شريعة موسى عبرى » (ملا ٤ : ٤) . وكما فى
قوله : « وتسبحه موسى وتسبحه الخروف » (رؤ ١٥ : ٣) فأصوامنا اذا جميعها عائدة لله
دون غيره . هذا وأنى أرجو من الله أن يجعل أصوامنا مقبولة أمامه .

نسأل الله أن يجعل هذا الصوم المقدس فرصة للرجوع إليه بكل القلب وتغيير الحياة
بتواضع وانسحاق مقدمين صوماً مقبولا رافعين أيدي طاهرة بلا جدال ولا رياء . فيتراءف
الله علينا ويرحمنا ويرفع غضبه عنا ويعيد علينا وعلى كنيسته وشعبه هذه الأيام المباركة فى
هدوء وسلام وحياة روحية قوية وتقدم ونهوض .

له المجد فى كنيسته من الآن وإلى الأبد آمين ؟

عظة إنجيل قداس الجمعة الأولى من الصوم الكبير

الصلاة

يارب علمنا أن نصلى (لو ١١ : ١) .

الصلاة هى مخاطبة النفس لبارها عز وجل ، ورفع القلب الى الله وسكب النفس أمامه . وتقديم ذبيحة التسييح الشفاهية لجلاله الأقدس . فهى هبة كريمة اعطيت للانسان للتواجد مع الله ، وفيها يتم التنازل الحقيقى من الله للوجود مع الانسان بسبب حب الآب لابنه يسوع المسيح ، الذى يكون حاضراً معنا بمقتضى اتضاعه حسب وعده وإن الروح القدس مهّد لهذا اللقاء الروحى غير المنظور .

أقوال آباء الكنيسة فى تعريف الصلاة :

+ يقول القديس يوحنا الدرجى : الصلاة من حيث طبيعتها : هى حديث الانسان واتحاده مع الله ، ومن حيث مفعوليتها : هى سند وعضد العالم ، مصالحة مع الله ، أم وبنت الدموع ، كفارة لخطايانا ، قطرة لعبور التجارب ، مبجلة للخصام ، عمل الملائكة ، استنارة العقل ، هى غنى الرهبان ، علامة المجد ، الصلاة لمن يصلى بالروح والحق ، تكون له بمثابة محكمة وقيام فى قفص الاتهام واجتياز المحاكمة أمام الله قبل الدينونة العتيدة .

+ ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم :

الصلاة سلاح عظيم وكنز لا يفرغ ، غنى لا يسقط أبداً ، ميناء هادئ . الصلاة هى مصدر واساس لبركات لا تحصى .

+ ويقول القديس باسيليوس الكبير :

الصلاة هى التعلق بالله فى جميع لحظات الحياة ، ومواقفها ، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب .

+ ويقول القديس أوغسطينوس :

صلاة البار مفتاح السماء ويقوتها يستطيع ان يملك كل شيء ، هى حمى نفوسنا وهى السلم التى نصعد بها الى الله .

أنواع الصلاة :

١ — صلاة فردية :

وهي أن يحتل الإنسان بربه الذى خلقه فى داخل مخدعه ويفلق باب العالم ويصلى الى الله . ويتصل بفاديه يسوع المسيح ويتحدث مع أعز صديق يحبه ، يعرض له حالته الداخلية والخارجية لأنه خير طبيب يستطيع أن يشفيه ويكمل ما نقص فيه ويطمئن النفس المضطربة وبه حياة جديدة هادئة مستقرة .

أهميتها : أنها تتيح للمصلى فرصة أكبر للتعمق فى الشركة مع الله والاختلاء به . إذ ينقطع كل اتصال بينه وبين العالم الخارجى ولا يستطيع أى مؤثر أن يقطع عليه حبل اتصاله بخالقه .

٢ — الصلاة العائلية :

وهي ان يجتمع أفراد الأسرة الواحدة ويصلون الى الله فى الصباح قبل ان يتوجهوا الى أعمالهم ليطلبوا من رب السماء أن يهبهم بركة لقضاء يومهم بسلام ويجمعون قبل النوم يشكرون خالقهم الذى حفظهم طوال يومهم .

وأهميتها : أنها تضى على المنزل وكل ما فيه جواً من المحبة والتعاون والسلام تسير معه أمور العائلة فى سهولة ويسر . وانها هى المدرسة التى يتلقى فيها الأبناء تعاليم الدين السليم .

٣ — الصلاة الجماهيرية :

وهي التى تؤدى فى الكنائس فى أيام الآحاد والجمع والأعياد والأيام الأخرى التى تقام فيها القداسات الإلهية .

وأهميتها : أنها تؤدى فى الأماكن التى كرمها الله للعبادة وعن طريق كهنة الرب وخدام المذبح ، الذين يرفعون هذه الصلاة إلى الله الذى يتنازل ويتقبلها .

صلوات الكتاب المقدس :

١ — صلاة التسييح . ٢ — صلاة الاعتراف . ٣ — صلاة الشكر .

٤ — صلاة التقديس . ٥ — صلاة الشكر .

أوقات الصلاة :

إن آباء الكنيسة الأقدمين قرروا أن تكون الصلاة سبع مرات فى اليوم
١ — صلاة الساعة الأولى وتسمى صلاة باكر : رتبها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية لتذكرنا بقيامه فادينا يسوع المسيح باكراً جداً

٢ — صلاة الساعة الثالثة : رتبها الكنيسة لتذكّر الحكم على المخلص يسوع المسيح بالصلب وتذكّر حلول الروح القدس على التلاميذ .

٣ — صلاة الساعة السادسة : رتبها الكنيسة لتذكّر آلام السيد المسيح لأنه في مثل هذه الساعة صلب .

٤ — صلاة الساعة التاسعة : لأن السيد المسيح في مثل هذه الساعة اسلم الروح .

٥ — صلاة الساعة الحادية عشر وتسمى صلاة الغروب : رتب في هذا الوقت لنشكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا في حفظه إيانا في سائر نهارنا ومباركته أعمالنا . ونسأله أن يحرّسنا من طوارئ الليل ومكايد الشيطان . وتذكّر انزال جسد السيد المسيح من على الصليب وتكفينه بمنوط من مر وصبر ولفه بلفائف كتان مع الألياب .

٦ — صلاة الثانية عشر وتسمى صلاة النوم : رتب قبل الإستراحة بالنوم لنشكر الله الذى جاز النهار بسلام وأتى بالليل للسكون والراحة . وهكذا ينام الانسان مستودعاً نفسه وجسده وروحه لله ليحفظه من كل شر ليلي . ذاكراً الله في قلبه في لحظات انتباهه . راجياً وعده . خائفاً وعيده . ثابتاً في وصاياه . ذاكراً على الدوام أحكامه العادلة عارفاً أنه حاضر في كل مكان . عالم بكل شيء كما قال النبي : « اذكرك على فراشي وفي أوقات الأسحار كنت أرتّل لك » (مز ٦٣ : ٦) . وتذكّراً لوضع السيد المسيح في القبر .

٧ — صلاة نصف الليل : وفيها يكون الهدوء من قلق العالم . وقد رتب في هذا الوقت كقول المرتل « في نصف الليل أقوم لأشكرك على أحكام برك » (مز ١١٩ : ٦٢) . وأيضاً كقول سيدنا في مثل العذارى « في نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل . أخرجن للقاءه » (مت ٢٥ : ٦) . وفي آخر هذا المثل يأمرنا ويحذرنّا قائلاً : « فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان » (مت ٢٥ : ١٣) . + صلاة الستار : وهي خاصة بالرهبان .

أما كون الصلاة سبع صلوات فذلك :

١. — لأن مواهب الروح القدس سبع .

٢ — لأن السبعة عدد كامل .

٣ — اقتداء بقول داود النبي « سبع مرات في النهار سبحتك على أعمال برك »

لماذا نصلي :

١ — لأن الصلاة هي إحدى أركان الديانة المسيحية الثلاثة (الصوم والصلاة والصدقة) .

- ٢ — لأن الصلاة هي الطعام الأساسي والغذاء الرئيسى لأرواحنا .
- ٣ — لأن الصلاة هي الشيء الطبيعى الذى يتفق وعلاقتنا بالله علاقة الشركة ، علاقة الاتحاد ، علاقة المحبة ، وعلاقة البنوة .
- ٤ — لأننا بحاجة الى قوة فوق الطبيعة تفوق قوتنا المحدودة ، لكى تعيننا على مواجهة مشاكل الحياة ونحن باتحادنا مع الله فى الصلاة نستمد منه القوة الغالبة .

أهمية الصلاة :

الصلاة هي العلامة المميزة للحياة الجديدة . وهي كدقات القلب وحركة التنفس للحياة الجسدية وقد قال أحد القديسين : أنه كما فى التنفس اخرج مع زفيرى سموما ، يتخلص منها الجسد ، وادخل مع شهيقى هواء منعشاً لحياتى ، هكذا بالصلاة والاعتراف القى كل اثمنا عند قدمى الله واستنشق عبير الله وحياة المسيح .

إن شاول عندما كان يضطهد الكنيسة والمسيحية وظهر له النور فى الطريق ، واقتيد وهو لا يدري الى الزقاق الذى يقال عنه المستقيم كان يصلى كما قال الوحي الإلهي : « اطلب رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلى ولقد كانت الصلاة هي العلامة الأولى لحياة شاول الجديدة الذى صار فيما بعد بولس الرسول والقديس العظيم وفيلسوف المسيحية » .

إن الصلاة هي مظهر الحياة والذين يعترضون عليها أن الله يعلم طلباتنا قبل أن نطلبها يجب أن يعلموا إن الصلاة ليست مجرد طلبات ولكنها أكثر من ذلك صلة وتعبير عن الحياة ، التى تحب الله ، وانها إعلان عن أشواق القلب .

فنحن نصلى لا لأجل بركات الله وحدها ولكن لأجل الله نفسه لقد أحصيت صلوات الكتاب المقدس فوجدت أنها ٦٦٧ صلاة فيها حوالى ٨٠٪ استجيبت ، وهذه بركة عظيمة . إذ وأنت مؤمن بالله تستطيع أن تحصل على استجابة ثمانية من عشرة تطلبها وليس هذا فقط بل أن ال ٢٪ الباقية قد استجيبت ولكن بطريقة أخرى ترضى الله ومثال ذلك الشوكة التى أعطيت لبولس الرسول فى الجسد يقول عنها أنه سأل من أجلها ثلاث مرات ولكن استجابة الله أنه قال لبولس الرسول « تكفيك نعمتى لأن قوتي فى الضعف تكمل » . (٢ كور ١٣ : ٩) وطلبة أخرى طلبها سمعان عندما قال « أخرج يارب من سفيتنى لأنى رجل خاطيء » فكانت استجابة يسوع « من الآن تكون صياداً تصطاد الناس » .

شروط الصلاة :

- ١ — يجب أن توجه الصلاة الى الله .
- ٢ — أن تكون باسم السيد يسوع المسيح ومن أجل يسوع المسيح .
- ٣ — أن تكون صادرة من قلب خال من الخطية .
- ٤ — أن تكون صلاة الايمان التائب .
- ٥ — أن تكون روحية الهية .
- ٦ — أن تكون مقرونة ومشفوعة بالخضوع والخشوع والتواضع .
- ٧ — أن تكون بلجاجة ، أى ندائم على الصلاة ولا نمل .
- ٨ — أن تكون بحسب مشيئة الله لاننا إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا .
- ٩ — أن تكون من القلب لا من الشفتين ، ومثال ذلك صلاة حنة أم صموئيل النبى فإنها صلت بقلها وبدموعها ، ولم تنطق بكلمة واحدة ، فأستجابت لها السماء ووهبتها صموئيل النبى .
- ١٠ — يجب ان تبدأ الصلاة باسم الآب والابن والروح القدس لأنه هو وحده الذى له العبادة .

ماذا نربح بالصلاة :

- ١ — نربح العشرة السرية مع يسوع المسيح .
- ٢ — نربح التعزية والقوة .
- ٣ — نربح النجاة من المخاوف والضيقات .

قوة الصلاة :

- الصلاة قوة تفوق كل قوة فأليك أيها المسيحى بعض الأمثلة من الكتاب المقدس .
- + صلى يعقوب : فباركه الرب فغثرت نعمة عيسو الى صفح .
 - + صلى موسى : فهزم عماليق .
 - + صلى يشوع : فوقفت الشمس وثبت النصر .
 - + صلى إيليا : فنزل المطر .
 - + صلى أليشع : فانقلب الأردن وقام الغلام الميت .
 - + صلى اشعيا : فمات ٨٥٠٠ آشورى .
 - + صلى دانيال : فمنعت الأسود المفترسة من افتراسه وهو فى جب الأسود
 - + صلى الثلاثة فتية : فأحالت لهيب النار المتقدة الى نسيم عليل ، وهم فى آتون النار المحمى سبعة أضعاف .

+ استطاعت الصلاة أن تفتح الأبواب المغلقة ، وتحطم الاعلال الحديدية ، كما حدث مع بطرس وهو ملقى في سجنه المظلم تحوطه الحراس .

إن الصلاة تستطيع أيضا أن تفعل المعجزات فهي استطاعت أن تنقل الجبال الرواسي كما فعل الانبا ابرآم بن زرة بجبل المقطم .

بركات الصلاة :

الصلاة هي التي تخضع إرادتنا لإرادة الله : عندئذ نؤمن باستجابتها ، لأنه إن طلبنا شيئا يسمع لنا كما يقول في معلمنا متى البشير : « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) وفي معلمنا لوقا البشير أيضا : « صلوا فلما تدخلوا في تجربة » (لو ٢٢ : ٤٠) وكثيرون يعترضون بقولهم (لماذا نصلى وفكر الله لا بد أن يتم ؟ وللإجابة على هذا تمجد السعادة الكاملة في كل ما يريته الله لنا) . إذا فرض وتحطمت سفينة في البحر ، وكنت من بين ركابها فألقى أحدهم لك بطوق النجاة . هل تحزن لأن الشاطئ لم ينتقل إليك ، أم تفرح لأنك استطعت أن تنجو ؟؟ .. هكذا يلقي الله لنا في الصلاة بحبل النجاة لتجذبنا إليه لنفرح بخلاصنا كما يقول داود النبي : « نجنى باسمك يا إلهي . الرب نوري وخلصي . وإلهنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الصوم الكبير يامرائى

« يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك . وحيثك تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (مت ٥: ٧)

ما أمر وقع هذه التسمية على النفس إذا انتبهت ، والضمير إذا صحا ، والقلب إذا استيقظ ! إنها توبيخ صارم ، ولكنها حقيقة لمظهر البعض واقعة ، ولا مفر لهم من عقاب يتناسب ورياءهم ، وجزاء يتوافق ونفاقهم (مت ٢٣) . ليس أبغض إلى قلب السيد المسيح ، له المجد ، ممن يرائى فى عبادته ويتناق فى حياة الروح . إنه الوثنى فى مظهر المسيحي العابد ، أو الممثل للمسيحية على خشبة مسرح وهو لا يعلم من المسيحية شيئاً .

ثوب الرياء يشف عما تحته . . . فإذا اكتسيت به فلنك عسار
يا مرائى !! أيها القبر المبيض من خارج والظاهر فى جمال خادع ، نسيت أنك مملوء من داخل إثمًا ومشحون رياء ، وقد لا يدوم جمالك الخادع طويلاً حتى تنكشف الحقيقة ، فتفوح من الداخل رائحة تزكم الأنوف وتؤذى النفوس — رائحة الإثم المغطى بثوب الرياء ، والنجاسة المستترة وراء مسوح المظاهر فى العبادة الكاذبة الخادعة !!

يامرائى !! أطلت صلواتك ، وأكثرت تضرعاتك ، وقرعت صدرك كالنادمين التائبين وأرسلت أصوات الحمد مسبحاً مع المسيحين وتقدمت للأسرار المقدسة تغذى منها ، وقد ظننت أنك أهل لها ، وتعاميت عما فى داخلك من رياء ونفاق ، وأنتا إن أطلت صلواتك فلعله فى النفس وغرض فى القلب — والغرض يعنى ويصم . علتك كسب ثقة الأرامل ، وغرضك استدراج البسطاء إلى شبكة ريائك حتى ، إذا وثقوا بخداعك المتقن وتزويرك العجيب وظنوا أنهم آمنوا جانبك بلا خوف أو حذر ، تقدموا إليك فى أمن . فإذا أنت بعد قليل الأسد الذى يهشم عظام فريسته والذئب الذى ينهش لحم الأرملة واليتيم بلا خوف من عقاب ولا خشية من يوم للحساب .

يامرائى !! سلبت إهلك حقه وظننت أنك تعشر نعتاعك وشيتك وكمونك ، وبهذا تكون قد قدمت ما يجب أن تقدمه ، وأرضيت ضميرك الذى أحب التزييف وقلبك

الذى عشق الرياء ، وتنافسيت عمداً ناموس الحق والعدل والرحمة . فليتك لم تعشر مالا ولم تنذر نذراً ولم تقدم عطاء ولم تحتفل بعيد ملاك أو قديس وعرفت فقط الحق والرحمة والإيمان .

يامرائى !! جمعت المال وحشدت الدرهم والدينار ، أقله من جلال وأكثره من حرام ، وظهرت بين الناس تعف عن الذرة وأنت تبتلع الدرة وتصفى عن البعوضة وأنت تبتلع الجمل . طعامك ممزوج بالاغتصاب والسحق ، وثيابك نسيجها من حرام وخيوطها من ظلم محدود ، سوف تتمزق عنك عن قريب فتظهر فى رياك خازياً ، وما جمعت خاويًا ، وما أكلت فارغ البطن جائع القلب ليتك طهرت ما بداخل الكأس والصفحة ، فاستمددته من حلال شهى ورزق كريم لتغنى منه بالقليل فى بركة القدير عن ذلك الكثير الذى اختطفته اختطافاً وابتزته من الكثيرين ابتزازاً .

يامرائى !! لقد عرفنا المسيح ، له المجد ، رحيب القلب عباً للجميع ، ولكننا عرفناه قاسياً على المرائين يصب ويلاته عليهم ويستنزل اللعنات ، فهلا خشيت أن تلحقك ويلات سادتك الكتبة والفريسيين وتمتع بنصيب مما أخترته السماء لهم من لعنات ؟

يامرائى !! قسوت على الناس وحكمت على غيرك ، وكان أولى بك أن تدب نفسك فتطهرها من ريائها ونفاقها . وما أشد ظلام الجهل الذى يكتفك وأنت تفتح عينيك على عيوب الناس — ولو كانت هينة — وتغضها عن عيوبك — ولو كانت كبيرة — تنتقد الآخرين وتدبهم وتحكم عليهم لترضى شهوة غرورك وتستكمل رياءك ونفاقك ، إذ يحسبونك الطاهر القديس البعيد عن الدنس والرجس . كان أولى بك أن تستمع إلى قول السيد موبخاً لك « يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » .

يامرائى !! زين لك الرياء أن تمتنع عن القسم ، وحاججت الناس قائلاً « ليكون كلامكم نعم نعم » حتى إذا جد الجد ولمع البرق المال أمام عينيك لم تتورع أن تحلف باسم الرب ونسيت تعليمك الذى علمته للناس مما خدعتم به ، إذ ظنوك حافظاً عاملاً بكل تعاليم المسيح ، ونسيت الوصية الثالثة وأن الله لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً . وهكذا نرى إن أى إنسان ، لا يراعى الله فى علاقته بالآخرين ولا يكون أميناً فى الوكالة التى أسندت إليه ، فيروح يستخدم أسلحة المكر والخداع ، لا بد أن ينتهى مصيره كما ينتهى مصير كل من يبيع نفسه للشيطان من المرائين المنافقين أمثال أفراد أسرة هيروودس الشريرة ، وبخاصة هيروودس أنتيباس الثعلب الجبان .

وقديماً قالوا « لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله » . وقالوا أيضاً « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » . وبديهي أن الماكر وحافر الحفرة كلاهما ممن يعملون في الظلام ، وبالتالي فهما من المرائين المنافقين ، الذين ينطبق عليهم قول الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة . . ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

والواقع إن كل منافق مخادع ، مهما علا مركزه الاجتماعي هو إنسان ضعيف ، باع نفسه للشيطان ، ثم راح يحاول التعويض عن ضعفه باستخدام أسلحة عدو الخير ، أعنى أسلحة الخديعة والمكر والإيقاع بالشرفاء الأمناء

يقول سليمان الحكيم عن كل منافق لئيم : « الرجل اللئيم ينش الشر على شفتيه كالنار المتقدة . رجل الأكاذيب يطلق الخصومة ، والهمام يفرق الأصدقاء . الرجل المنافق يخون صاحبه ويسوقه إلى طريق الهلاك » (أم١٦: ٢٧-٢٩) .

وأخيراً ماذا نقول لكل من يرائى في عبادته وينافق في مظهر الروح ؟ لنقل لهم « طهروا قلوبكم يا ذوى الرأيين » « اعزلوا شر أفعالكم » أترضون أن تقفوا في يوم الدين وقد تمزق عنكم ثوب الوفاء فكشف خباثت نفوسكم الشريرة وفضح أعمالكم المستورة ؟

ربنا انضح علينا بالزوقا فطهر من رباثنا واغسلنا من نفاقنا فنبيض أكثر من الثلج .
لك القدرة والمجد إلى أبد الدهور . آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الأول من الصوم الكبير

الصدقة

لا تكتنوا لكم كنوزاً على الأرض ... بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء

(مت ٦ : ١٩ ، ٢٠)

الكنز كلمة لها لحنها الشجي وزينها القوي في آذان الكثيرين ويسوع المسيح لا يمنعنا عن الكنز بل يحثنا أن نكنز فيقول « اكنزوا لكم كنوزاً في السماء » (مت ٦ : ٢٠) .
يميل بعض الناس الى تكتنير الأموال وتضخيم الثروة وكلما زادت ثرواتهم وكثرت أموالهم ازدادوا شوقاً في زيادتها أكثر فصاحب المئات يريد أن يكون عنده آلاف وصاحب الآلاف يريد أن يكون من أصحاب الملايين ولن تشبع العين حتى تمتلئ بالتراب . « العين لا تشبع من النظر » (جا ١ : ٨) وقد قيل إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال .

قيل أن رجلاً وجد فاكهة في غير أوانها ففكر بأن يقدمها هدية للملك البلاد فلما رأى الملك اخلاص الرجل أراد أن يكافئه على اخلاصه فقال له أن يطلب منه طلباً واحداً ... فقال الرجل أريد أن يأمر مولاي . بأن أعطي وزن هذه الجمجمة ذهباً ، وكانت جمجمة إنسان تروى من مدة طويلة ، وضعوا الجمجمة وكانت خفيفة الوزن . في كفة ووضعوا في الكفة الأخرى . ذهباً ودهشوا عندما رأوا أن كفة الجمجمة ترجح كلما وضعوا أمامها ذهباً . ولما عرضوا أمر هذه الجمجمة على الملك سأل الرجل ما سر هذه الجمجمة التي وزنها بأضعاف أضعاف حجمها ودائماً ترجح كفتها . فقال عفواً أيها الملك . ضفوا الجمجمة في كفة وضعوا في الكفة الأخرى قليلاً من التراب فعملوا بمشورته فما كان أشد دهشتهم عندما رأوا كفة الجمجمة ترتفع إلى فوق أمام كمية صغيرة من التراب . فسأل الملك الرجل عن هذا السر فقال يا مولاي . إن العين لا يملأها إلا تراب الأرض . « كانت الفضة في أيام سليمان الحكيم كالحجارة في أورشليم » (٢أى ٩ : ٢٧) . ومع ذلك تطلع سليمان الى هذه الكنوز التي على وجه الأرض وقال « باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح » (جا ١ : ٢) . إن يسوع يحثنا على أن نكنز .. ولكن لا نكنز على الأرض حيث يفسد سوس وصدأ وينقب السارقون ويسرقون . إن كنوزنا العالمية كثيراً ما تكون سبب شقاقنا وعلّة بلوانا وقديما قال سليمان الحكيم : « لا تتعب لكى تصير غنياً » (أم ٢٣ : ٤) أما بولس الرسول فكان أكثر صراحة إذ قال : « فإن كان لنا قوت وكسوة

فلنكتف بهما وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تفرق الناس في العطب والهلاك . لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان . وطلعنا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١٠ — ٨) . ويعقب الرسول يبين مصير الذين يكتزون الأموال بقوله : « هلم أيها الأغنياء أبكوا مولودين على شقاوتكم القادمة ، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث . ذهبكم وفضيتكم قد صدنا وصدما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار . قد كنزتم في الأيام الأخيرة (يع ٥ : ١ — ٣) .

ومضى السيد المسيح له المجد بقوله : بل أكتنوا لكم كنوزاً في السماء . وذلك بالتصدق على الفقراء وإسعاف المساكين . ووصيته فيما بعد للشباب الغنى تؤيد ذلك إذ قال له : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ٢١) . إن السيد المسيح في مثل السامري الصالح يعلمنا أن الرحمة واجبة حتى للعدو . فالسامري عطف على عدوه اليهودى قرئى له في محنته وأركبه على دابته وضمد جروحه وظل ينفق عليه حتى شفى من علته . وقد أمرنا الوحى : « إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه فإنك إن فعلت ذلك تجمع جمر نار على رأسه » (رو ١٢ : ٢٠) إن الرب يوصى بهؤلاء البائسين : الفقراء معكم كل حين — ولنا في مثل الغنى واليعازر خير درس عن الجشعين الانانيين الذين يشبعون وغيرهم يموت جوعاً وهلبسون وغيرهم يعيش عرياناً . وهب أنك ملكت الملايين وبحت العالم كله ولكنك فقير فيما لله فما يحك ؟ ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

إذن فمحبة الناس إنما هى قياس محبتنا لله ، فمهما صلبنا لا السبع الصلوات فقط في اليوم بل سبعة في سبعين ، ولو صمنا لا السبعة الأصوام فقط في السنة ، بل السنة كلها بما فيها من أيام وساعات ، لو فعلنا هذا وأهملنا ركن الصدقة على الفقراء والمساكين ، لصارت صلواتنا وأصوامنا كلها كصنج يرن أو نحاس يطن بلا فائدة . إننا بالصلاة نعبد الله بأرواحنا ، وبالصوم نعبد الله بأجسادنا ، ولكننا بالصدقة نعبد الله بأموالنا . وهذا النوع الأخير من العبادة هو المحك الذى به يختبر مدى علاقتنا بالله . ولذلك رأى رجال الله القديسون . أن يفرّدوا لهذا الركن فصلاً خاصاً . فاختراروا الأحد الأول من هذا الصوم المقدس ليكرسوه للكلام عن الرحمة . لنظل الصوم كله بل العمر كله نذكر كلام الرب يسوع عن العطاء . واليوم لنا بعض التأملات في هذا الركن الهام من أركان العبادة .

١ - الصدقة ضريبة لا إحسان :

إن مفهوم الصدقة في المسيحية هو أنها ليست إحساناً على الفقراء بل أنها ضريبة على الأغنياء ، وقد أشار القديس بولس الرسول الى هذا المفهوم فقال : « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس ، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب يسوع المسيح (كو ٣ : ٢٣ - ٢٤) .

ويعمل السيد المسيح هذه النظرية ، بأن الصدقة لا تنفع الفقراء فحسب بل تنفع المتصدقين بها أيضاً إذ يقول للشباب الغنى : « إن أردت أن تكون كاملاً فاهرب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني » (مت ١٩ : ٢١) . ولأن الصدقة ضريبة فعلى المؤمن أن ينظم عطاياها بالحكمة المعطاة له من الروح القدس . إن البخل على الفقراء كثيراً ما يجرمنا نعماً عديدة ، لماذا رفض الشباب الغنى الحياة الأبدية رغم أنه كان متديناً على حد شهادته عن نفسه هذه حفظتها منذ حدثتى — لماذا ؟ لأنه كان ذا أموال كثيرة ورأى المسيح مزموراً أن يجرده منها ويوزعها على الفقراء ، لقد حزن متردداً بين ميراث ملكوت السموات ، وميراث الأرض . من هنا كان علينا أن نتعلم هذا الدرس . الصدقة ضريبة علينا واجب مقدس .

٢ - الصدقة أخوة واشتراكية :

إن مفهوم الصدقة في المسيحية أيضاً أنها : أخاء ، وشركة ، ومحبة ، وعلى هذا الأساس نعطي اخوتنا الفقراء ، وقديماً قال رسول الجهاد : « إن أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً » (١ كو ١٣ : ٣) . إن مسيحيتنا أيها الأحياء عرفت الاشتراكية قبل أن يعرفها العالم بأجيال ، فمئذ ألفى عام كانت الكنيسة الأولى تنادى وتعلم بهذا المبدأ العظيم . اقرأ سفر الأعمال تقف على هذه الحقيقة تماماً يقول : « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً .. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج » (أع ٤ : ٣٢ - ٣٥) . والجميل أن السيد المسيح لم يكن هو أول من علم بالاشتراكية بل كان هو ذاته أول من عمل بها في حياته فهو أغنى الأغنياء ومع ذلك نراه يتنازل عن غناه ويصبح أفقر الفقراء . وفي هذا يقول الرسول : « الذى افتقر من أجلكم وهو الغنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) .

٣ — الصدقة بسرور :

إن شعب كنائس مكדونية يشهد عنهم بولس الرسول بأنهم أعطوا ومن تلقاء أنفسهم وهذا أجل أنواع العطاء . إذ قال أنهم « أعطوا من تلقاء أنفسهم ملتزمين منا بطلبية كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين » (٢ كو ٨ : ٤) . ولذلك نسمع الوحي يقول : « المعطى المسرور يحبه الله » (٢ كو ٩ : ٧) .

قيل عن غنى تبرع ببناء كنيسة في قرية لم يستطع سكانها ان يقوموا ببنائها ، لقد تبرع بمبلغ كبير لإقامة تلك الكنيسة . وحدث بعد سنوات أن أصيب المتبرع بخسائر جسيمة في ثروته ، فهمس في أذنه أحدهم من أعميت المادة بصائرهم وقال له لو أنك أبقيت على الآلاف التي أنفقتها على الكنيسة أما كنت أنقذت نفسك من الإفلاس ؟ قال له الرجل أعلم يا سيدي ان هذا المال هو الثروة الوحيدة التي أنقذتنا من الضياع ، ولو أني لم أكن أنفقتها على الكنيسة لكانت ذهبت مع باقي ما ذهب من ثروتي ، أما هذا المبلغ فهو سر عزائي ، وهو التي أتقاضى عنها ربحاً لا ينقرض حتى آخر نسمة من حياتي كلما أرى آلاف النفوس تخلص بسبب هذه الكنيسة .

ليست العبرة كم نعطي ، بل كيف نعطي ، نريد أن تكون عطايانا بسرور .

٤ — حصانة لثروتنا :

غن طريق إعطائنا العشور للرب نحفظ الرب ثروتنا ، وفي هذا يقول واضحاً صريحاً : « هاتوا جميع العشور الى الخزنة وجربوني .. إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع ، وانتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يعقر لكم الكرم في الحقل قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١٠ ، ١١) .

٥ — نجاة حياتنا :

يوصي طوبيت ابنه طوبيا يقول : « تصدق من مالك ولا تحول وجهك عن الفقير فيكون أن الله لا يصرف وجهه عنك ، ... لأن الصدقات تنجي من الخطية والموت ... الخ (طو ٤ : ٧ — ١١) . ويؤكد هذه الحقيقة داود النبي فيقول : « طوبى لمن يتعطف على المسكين والفقير في يوم الشر ينجيهِ الرب » (مز ٤١ : ١) .

وتاريخ المسيحية القديم والحديث مشحون بالأمثلة الناطقة المؤكدة هذه الحقيقة ، فالقديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، باع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء والمعدمين وبهذا ضرب لنا مثلاً عالياً في الاشتراكية والاهتمام بالآخرين . توما الرسول الذي أخذ مال المُلْك ووزعه

٠ على الفقراء ، القديس الأنبا إبرآم أسقف الفيوم والجيزة رجل العطاء . المعلم ابراهيم الجوهري وصدقائه . الأنبا صرايمون أسقف النوفية الشهير بأبى طرحة رجل الإحسان فى الخفاء كل أولئك أدلة قاطعة على مكافأة العطاء والصدقة .

٦ - غفران خطايانا :

أنها أيضاً وسيلة من وسائل غفران خطايانا . يقول يشوع بن سيراخ : « كما أن الماء تطفىء النار كذلك الصدقة تخمد الذنوب » (سر ٣ : ٣٣) . وقال رافائيل الملاك لطيوبيا : « الصلاة جيدة مع الصوم والصدقة لأن الصدقة تنجى من الموت وتطهر من الذنوب » (طو ١٢ : ٨ - ٩) . وقال سليمان الحكيم : « بالرحمة والحق يُستَر الإثم وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر » (أم ١٦ : ٦) .

ويتوج هذه الأقوال جميعها قول السيد المسيح فى عظة الجبل « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) . وقال أيضاً : « أعطوا ما عندكم صدقة وهوذا كل شئ يكون نقيا لكم » (لو ١١ : ٤١) .

تلك أيها الأحباء بركات الصدقة . فسيبلىنا أن نكرس ما عندنا ، من مال ووقت ، وجاه ونفوذ ، وأولاد ومواهب من أجل ذاك الذى مات عنا وبذل كل شئ فى سبيلنا .

اللهم يا من أعطيتنا ذاتك ، ووهبتنا حياتك ، واشتريتنا بدمك اللهم أعطنا أن نبادلك حباً بحب ، وعطاء بعطاء ، وأن نحب أخوتك الأصاغر ونعمل من أجل اسعادهم . وببذل من أجل راحتهم . ولنذكر فى هذا الصوم أجدادنا الأقباط وسخاءهم فى هذه الأيام المباركة ليبرهنوا عملياً أن ما سمعوه عن الكنز السماوى فى أول أسبوع الصوم الكبير تمموه بأفعال الرحمة والله وحده يحث قلوبنا ويملاها بالعطف على إخوتنا المساكين . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثانية من الصوم الكبير

اجتناب دينونة الآخرين

لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها (لو ٦ : ٤١) .

إن فى داخلنا ميلا خفياً كامناً يتطلع دائماً إلى الوقوف على نقائص الآخرين ودينونتهم ، وهذه السجية تتولد من الكبرياء وحس الذات . فأمت هذا الميل من داخلك ، ولا تدعه يحيا فيك ويبحث عن نقائص الناس وزلاتهم ويدينهم . قال القديس يوحنا كليماكوس : من البغضة والحقد معاً تتولد الوقيعة والدينونة . والوقية حب كاذب لأنها تتولد من البغضة . فإن كنت تحب أخاك فصل من أجله سرّاً ولا تقع فيه . قل فى قلبك أنا أسقط فى أكثر من هذا فكيف أدين على هذا وهكذا تنجو أنت وتنفع أخاك . الشياطين يخوننا لكى نخطيء ، فان لم نطعمهم خبونا على أن ندين من يخطيء . الحكيم يتأمل فضائل غيره ليقتبها لنفسه ، والجاهل يتأمل رذائل غيره ويدينه عليها .

قال القديس دوروثيوس : القيمة تصدر من ذاك الذى يخبر بما فعله أخوه من خطايا شخصية فيقول عنه انه قد فعل كذا وكذا وأما الدينونة فبأن يخبر بما لأخيه من خلق ردى ، فيقول أنه سارق ، أو كذاب ، أو ما شابه ذلك ، فيحكم عليه بالاستمرار فيها وعدم الاقلاع عنها . وهذا النوع من الدينونة صعب جداً ، ولذلك شبه ربنا خطية الدينونة بالخشبة ، والخطية المدانة بالقذى . من أجل ذلك قبل توبة زكا العشار ، وصفح عما فعله من آثام ، وشجب الفريسي لكونه دان غيره ، مع ما له من صدقة وصوم وصلاة وشكر لله على ذلك . فالحكم على خليفة الله يليق بالله لا بنا ، فدينونة كل واحد وتركيبته هى من قبل الله وحده ، لأنه هو وحده العارف بسر كل انسان وعلايته ، وله وحده اصدار الحكم فى كل أمر وعلى كل شخص ، إذ يتفق أن يعمل انسان عملاً بسناجة ويقصد يرضى الله ، وتظن أنت غير ذلك ، وان كان قد أخطأ فمن أين تعلم ان كان قد تاب وغفر الله له ، أو ان كان الله قد دانه فى العالم ازاء ذنوبه ؟ فالذى يريد الخلاص اذن ، ليس له أن يتأمل غير نقائص نفسه ، ذلك الذى رأى أخاه قد أخطأ فبكى وقال : اليوم أخطأ هذا الأخ وغدا أخطيء أنا ، وربما يفسح الرب لهذا فيتوب ، وقد لا يفسح لى أنا . فبالحقيقة ويل لمن يدين أخاه فإنه سهلك نفسه بكونه صار ديانا ، ولكونه يؤذى الذين يسمعونهم ، وعنه يقول النبى : ويل للذى يسقى أخاه كأساً عكرة ، وكذلك : ويل للذى من قبله تأتى

الشكوك . لا تدينوا لكى لا تدانوا ، ألا يجمع هذا التعليم كل هذه الحقائق الأساسية الثابتة . فدينونة الغير أول ما تدل على وجود بذور شر في القلب ، وإلا فما الذى يدعو الانسان لأن يرمى أخاه بنقيصة من النقائص . أليس هو البغض ، أو ما يتصل به من حسد أو أنانية أو سوء ظن . أكتا نسمع بهذه النقيصة حتى ولو كانت حقيقة . لو أن فى قلب هذا الانسان ودأ لأخيه ؟ طبعاً لا . فاذا رأينا انساناً يدين أخاه ، فلنكن على يقين من أن الشعور الذى يدفعه لذلك هو شعور كراهية ، أو على الأقل شعور حسد تثيره الأنانية والغرور . وقد يكون حكمه عليه لسوء ظن تصوره الكراهية أو الحسد حقيقة ، لذلك كثيراً ما تكون هذه الدينونة غير عادلة . وقد يشترك هو معه فى نقيصته التى يدينه عليها . ولكن الأنانية أو البغضة تعمى القلوب فلا ترى غير نقيصة صاحبها فدينها ، وهى فى ذلك تدين نفسها معه إذ تحكم عليها بما تحكم به على صاحبها ، بل هى مدانة أمام السماء بأضعاف ما دانت به صاحبها ، إذ جمعت فى صدرها الى نقيصتها هذه من الخطايا ما يفيض به صدرها : فمن بغضة الى حسد الى رغبة فى إساءة وحب نفس ، الى غرور وسوء ظن ، وهى خطايا لا يمكن ان تسكن فى قلب آوت اليه المحبة ، « لأن المحبة لا تحسد .. لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها .. ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق » (١ كور ١٣ : ٤ - ٦) .

نحن كمسيحيين يجب أن لا ندين أحداً لأننا : لسنا كاملين . ولأن الادانة خاصة بالله وحده . ولأننا لا نعرف نهاية سيرة هؤلاء الذين أخطأوا أمامنا . ولأن الله أوصانا بالمحبة فنقتدى به . كيف نتخلص من الادانة ؟ بالتماس العذر للآخرين وننظر الى الجانب الطيب فيهم ونذكر ستر الله لخطايانا .

وما يروى على ألسنة الحيوانات أن أسداً مرض مرة ، فعادته جميع الوحوش ما عدا الثعلب . فاراد الذئب أن ينتهز هذه الفرصة للإيقاع به ، فقال للأسد : أيها الملك ، لقد عادك جميع اتباعك للسؤال عن صحتك إلا الثعلب ، ألا ترى أن هذا الخائن يستحق العقاب ، جزاء له على ما فرط منه من التقصير والاهانة ، فنقل أرنب هذا الحديث الى الثعلب فاقتنص هذا أوزة وذهب بها الى الأسد ولما مثل بين يديه ووجده غاضباً قال له رحماك أيها الملك لقد كنت أبحث عن طيبب ماهر ، فوجدته حزينا لموت ابنه ووصف لى العلاج الشافى : ان تطعم لحم أوزة وتبقى مرارتها لتخلطها بدم ساق ذئب ثم تدهن بها . وهأنذا قد أحضرت الأوزة فأمن بكلامه والتم الأوزة فى الحال وأبقى مرارتها . وإذا بالذئب داخل عليه فنهش ساقه ، وأخذ من دمها وخلط به المرارة . فخرج الذئب يحجل بحزن وغم فمر به الثعلب وصاح : يا مقطوع الرجل : اذا حضرت مجالس الملوك فاكفف لسانك عن

القذف والدينونة في أعراض رفقاءك ، فانه هو الذى أوقعك في هذا البلاء العظيم . فانظر كيف كانت عاقبة القيمة والدينونة فانها جالبة لصاحبها الشر وموقعة اياه في أشد المهالك . يقول ابن سيراخ : « الهام ينجس نفسه ومعاشرته مكروهة (سير ٢١ : ٣١) .

يقول الكتاب : « رجل لسان لا يثبت في الأرض » (مز ١٤٠ : ١١) ، « لأن اللئيم يتكلم بالكذب وقلبه يعمل اثماً ليصنع نفاقاً » (اش ٣٢ : ٦) . ويتم الانسان لكي يسلب أخاه ثقة الناس واحترامهم ومحبتهم ، ويجعل ذاته أفضل منه في أعينهم مع ان الكتاب ينصحنا بأن نكرم الجميع وأن نحب للناس ما نحب لأنفسنا إذ يقول : « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة ، مهتمين ببعضكم لبعض اهتماماً واحداً » (رو ١٢ : ١٠ ، ١٦) .

يقول سليمان الحكيم : « الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفثيه النار المتقدة » وقد تكون القيمة للانفصال بين الأصدقاء والفرقة بين العائلات لفصم عرى المحبة وهدم روابط الصداقة والاحلاص ، مما يتناقض مع الروح المسيحية التي تفرض على المسيحي أن يعمل على نشر أروية السلام وبث الصلح والوثام لا أن يكون رجل فتن . لذلك يمجذنا له المجد من دينونة الغير بقوله لئلا تدانا . وهذه الخطايا إذ تطمس بصيرة صاحبها تفقده الاستنارة الروحية ، ومن ثم يعجز عن أن ينير الطريق لأخ ضعيف غلبته التجربة ، ولا يمكن لشخص يحتضن البغضة أو الحسد أن ينير الطريق لأخيه الذى يبغضه . لذلك ينادى المعلم الحكيم : « يا مرأتى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (لو ٦ : ٤٢) . ثم أليست دينونة الأخ لأخيه فوق ذلك تعدياً على حق الديان في السماء . وهى تعدي لا يغفره الله ولا يبريء صاحبه . لقد رأينا المسيح وقد آخى البشرية وعاشرها ، لم يرضى وهو على الأرض أن يدين الخاطيء العاثر ، بل عمل على إقائه من عثرته وتخليص نفسه من الخطية ، ومعناه يرد على الفريسين بقوله : « أنتم حسب الجسد تدينون ، أما أنا فلست أدين أحداً . ومعناه ثالثه ينادى الجموع : إن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير . فالانسان يقع تحت الدينونة لأنه رفض الخلاص ، ومثله في ذلك مثل الانسان الذى يموت جوعاً لأنه رفض الطعام . ومعناه مرة أخرى ينتهر تلميذين من تلاميذه لأنهما طلبا مرة إهلاك قرية أساءت اليهم وهو يقول : « لستما تعلمان من أى روح أنتما ، لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٥ - ٥٦) . مما يتفق غاية الاتفاق مع طبيعة المحبة التى فاض بها قلبه فاذا تبع دائم بها يأتى اليه العطاش فتروى نفوسهم من مائه الحيى ، فاذا كان هذا شأن الديان الذى من حقه وحده أن يدين « لأن الآب لا يدين

أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢) « فمن أنت يا من تدين غيرك »
(يع ٤ : ١٢) .

وما أجهل أن نستعيد لذاكرتنا هنا مسلك ذلك الفريق من الكنية والفريسيين الذين
فاضت بالقسوة قلوبهم ، وأعمى الرباء بصائرهم وامتألت بالوقية والشر نفوسهم وهم
يتقدمون إليه بامراً خاطئة قائلين ان موسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم فماذا
تقول أنت ؟ هل يستطيع أحد أن يقول إنهم أتوا في ذلك ذنباً أو اقترفوا جرماً ؟ بل ، ألا
يتراءون للعالم في ذلك أنهم حماة الناموس الساهرون عليه ، الفيورون على تنفيذ أحكامه ؟
نعم ، ولكن فاحص القلوب قد دان عملهم ، لأن قلوبهم كانت مكشوفة أمامه ، تعرض
عليه من ألوان الخطايا ما لا يذكر الى جانبها خطية هذه المرأة العاترة ، وتزيد عليها بما تنفته في
هذه الساعة من شر ورياء ومكر ، لذلك كشف لأبصارهم وبصائرهم عن أعمالهم الخفية
المستترة وراء مظاهر خداعة . في كلمات خطيها على الأرض ، فثارت عليهم ضمائرهم
تزجرهم وتبكتهم ، وإذا هم يتسربون من أمام وجهه الواحد في أثر الآخر ، فلا يبقى أخيراً
إلا يسوع والمرأة أمامه فيقول لها : « أين هم أولئك المشتكون عليك أما دانك أحد ؟
فتجيب المرأة لا أحد يا سيد ، فيقول لها : ولا أنا أدینك ، اذهبي ولا تخطيء أيضاً » (يو
٨ : ١٠ - ١١) . ما أعظم حبهتك يارب ، وما أعظم رحمتك بالانسانية العاترة . وما
أقسانا نحن البشر وأشدنا غروراً وأثانية ورياء . كيف يدين الخاطيء الغارق في إثمه ودنسه
ويقسو في دينه . ويرحم الديان العادل المتعالي في برّه وقداسته ، ويحنو في رحمته « لذلك
أنت بلا عذر أيها الإنسان ، كل من يدين ، لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك ،
لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمر عينها » (رو ٢ : ١) .

« فمن أنت الذى تدين عبد غيرك ، هو لمولاه يثبت أو يسقط » (رو ١٤ : ٤) وأما
أنت فلماذا تدين أخاك أو أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك ، لأننا جميعاً سوف نقف أمام
كرسى المسيح فلا نحكم أيضاً بعضنا ، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة
أو معثرة » (رو ١٤ : ١٠ - ١٣) . من أقامك ديناً وقاضياً حتى تعلو منبر القضاء
وتحكم بالظلم والغدر والسوء على غيرك . فأكرر عليك القول ألا تحتلس حقوق الله ، ولا
تسرق دينونة القادر على كل شيء ، فهو المطلع وحده على القلوب والضمائر ، وكل شيء
مكشوف وعريان أمامه .

« إن الظنون الردية ودينونة الآخرين تنشأ من الكبرياء الأمر الذى بسببه يظن الانسان أنه
شيء . أو أنه حاصل على ما لم يحصل عليه غيره من الفضائل والمواهب ولكنك لو انتضعت
وعرفت حقارة ذاتك لأجتنبت الدينونة ولما تطلعت الى نقائص الغير . فراقب نفسك لئلا

يقال لك أيها الطبيب أشف نفسك . إن رأيت نقيصة في قريك فابحث ذاتك هل هي فيك أم لا ، فإن وجدتها كامنة في شخصك فاجتهد أن تنتزعها ، وإن وجدت فضيلة في آخر فاكسبها منه إن كانت غير موجودة عندك ، لأن ذلك أليق وأفضل لك . ومن يستر معصيته يطلب المحبة ومن يكرر أمراً يفرق بين الاصدقاء » (أم ١٧ : ٩) .

قال القديس دوروثيوس : إن أصل الادانة هو عدم المحبة ، لأن المحبة تغطي كل عيب : أما القديسون فانهم لا يدينون الأخ ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم ، ويشفقون عليه ويعضدونه ويتحاليون في سبيل خلاصه ، حتى ينشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمة قليلا حتى لا تحرق الشبكة وتضيع ، فاذا توقفت ثورة حركتها حيثئذ يجرونها قليلا قليلا ، هكذا يفعل القديسون ، فانهم بطول الروح والمحبة يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه . كما فعل الشيخ القديس مقاريوس الكبير . إذ جلس على الماجور الذي كانت تحته المرأة ، لكي لا يجدها أولئك الذين نموا على الأخ ... بشفقة ومحبة ، لا باستقصاء وتعير .

لا تطمع أن يكون جميع الناس خالين من النقائص فلا بد أن يظهر من العجز والضعف نقائص كثيرة يجب أن تحتملها ، وإن لم تحتملها فكيف يحتمل الناس نقائصك . هل تظن في نفسك أنك خال من العيوب ، لا أحد بغير نقيصة ، ولا إنسان خاليا من عيب وما من أحد يحرز الكمال . بل كلنا في حاجة لأن نحمل بعضنا بعضاً ، ونصح بعضنا بعضاً ، لأننا جميعاً مفتقرون الى المعونة والمساعدة والصفح والسماح والشفقة ، كلنا في حاجة الى الرفق والتأني والاحتمال والغفران . اعرف ذاتك وما فيها من النقص والضعف والوهن ، ولا تعكر صفوك من زلات صغيرة تجدها في الغير . روض نفسك على ذلك ، وثبت علائق المودة بينك وبين اخوانك بذلك فإنك توصل دعائم الأمن والسلام . أيها المسيحي ان رأيت أخاك مذنباً أو مسيئاً فبادر بوعظه ونصحه وارشاده اذا تيسر لك ذلك والا فلا تشهر بعيوبه ونقائصه ، بل اتركه لمن يدينه ويكفيك ان تتألم له وتصلي من أجله . وان رأيت محبوا افرح له . وان رأيت اثنين متحايين فاعمل على ازدياد محبتهم . احذر التهمة لأنها نار مشتعلة وسم قاتل .

قال القديس مكاريوس : احفظوا ألسنتكم من الكلام بالشر على اخوتكم لأن الذي يقول شراً على أخيه يفضب الله الساكن فيه والذي يعمل كل واحد برفيقه فبالله يعمل . وقال أيضاً : احفظوا أذانكم من سماع كلام التهمة والوقية لكي تكون قلوبكم طاهرة لأنه بسماع الحديث النجس لا يمكن للقلب ان يحفظ طهارته بلا دنس .

ليتنا نسلك بالكمال المسيحي الذي يليق بأولاد الله بكل محبة وسلام متجنين كل شقاق وقتنة وخصام . وليتمجد اسمه القدوس من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثاني من الصوم الكبير معمودية التوبة

« كان يوحنا يعمد في البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » (مر ١ : ٤) .
في الوقت الذى نتحدث عنه الآن ظهرت شيعة تدعى شيعة الأسينيين وانتشرت في فلسطين لكن موطنها كان في واحة « عين جدى » .

كان هدف الأسينيين الطهارة الأدبية والطقسية . كانوا يسعون نحو المثل الأعلى للقداسة التى اعتقدوا أنها لن تتحقق في هذا العالم . ولذلك هجروا القرى والمدن ولجأوا إلى المغاير وشقوق الأرض ، وكرسوا أنفسهم للزهد والتقشف والأصوام والصلوات ، وكانوا يعملون أنفسهم ببعض أعمال زراعية خفيفة . ويخبرنا الذين بحثوا تاريخهم أن النقطة الرئيسية عندهم كانت هى الإيمان بكلمة الله الموحى بها . كانوا يرجون أن يصلوا إلى أسمى درجات الشراكة مع الله بالتأملات والصلوة وتعذيب الجسد والغسلات الكثيرة والتدقيق في حفظ نوااميس الطهارة الطقسية . وقد اتفقوا مع الفريسيين في حفظ السبت بالدقة المتناهية . كان طعامهم اليومي في أبسط الأنواع ، وكانوا يتناولون في أمكنة اجتماعاتهم الدينية . وبعد الاستحمام يتلون بضع صلوات ونصائح ثم يذهبون إلى غرف تناول الطعام بوجوه مغطاة كأنهم ذاهبون إلى هيكل مقدس . كانوا يمتنعون عن الأقسام ويحترقون الثروة ، ويمقتون جداً الحرب والعبودية ، ويواجهون التعذيب والموت بكل شجاعة ، ويعافون الإنفماس في الملذات .

وواضح أن يوحنا لم يكن عضواً في هذه الجماعة المقدسة التى كانت تختلف اختلافاً بيناً عن الفريسيين والصدوقيين في زمانهم . كان الأسينيون يلبسون ملابس بيضاء رمزاً للطهارة التى ينشدونها ، أما هو فكان يكتفى بلبس ثوب من وبر الإبل ووضع منطقة من جلد على حقويه . كانوا يغمسون الخبز بالزؤفا (الزعتر) أما هو فكان يغمسه بالعمس . كانوا يعيشون حياة اجتماعية أما هو فعاش وحيداً منذ فجر حياته .

وبالرغم من ذلك فإن يوحنا المعمدان لم يتأثر بأية ظروف كائنة في عصره . فإن الله منحه قدرة انفراد بها وحده . إما أنه كان شاعراً بهذا فيتين من تصرّحه الذى قال فيه : « الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى » (يو ١ : ٣٣) . ومن إجابة المسيح

للعريسين « معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس » يتضح أنه أراد أن ينقل إلينا نفس الفكرة . وفضلاً عن ذلك فإن الروح القدس يؤكد لنا على لسان الإنجيل الرابع أنه « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته » (يو:١:٦) كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية .

١ — الدعوة للتوبة :

إن معنى التوبة حسب التفسير الحرفي للكلمة في اليونانية هو « تغيير الاتجاه » . ولعله من الأفضل أن نقول : تغيير في وجهة نظر الإرادة . إن النفس غير الثابتة تختار طريقها وإرادتها دون مبالاة بناموس الله . « اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع . فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رو٧:٨) أما في التوبة فإن النفس تغير موقفها . لأنها لا تعود بعد ترفض نير إرادة الله كتور حرون بل تخضع له وتكون مستعدة أن تخضع . إن تأنيب الضمير يعمل عمله بصفة مستمرة ، والشعور بأباطيل كل المخلوقات موجودة بصفة مستمرة ، والرغبة المُلحة نحو الحياة الحقيقية ، ونحو الرجوع من الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله .

مما لا شك فيه أن التوبة مظهر من مظاهر الإرادة . في بدايتها قد لا يكون هنالك أى شعور بالفرح أو الصلح مع الله ، بل شعور بأن بعض طرق الحياة خاطئة وشريرة ومؤذية وعززة لله ، ورغبة تتحول إلى عزم على الرجوع عنها وطلب الله « الذى صنع الجبال وخلق الريح ، الذى يجعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض » (عا:١٣) .

يمكن اعتبار التوبة بأنها الجانب الآخر من الإيمان . هما وجهان لعملة واحدة ، ناحيتان لعمل واحد . إن كان عمل النفس الذى يأتى بها إلى علاقة طيبة مع الله يسمى رجوعاً عن الطريق الذى تسلكه فإن التوبة تمثل الرغبة في الرجوع إلى الله . يجب أن نكون راغبين في الرجوع عن الخطية وعن برنا الذائق ، هذه هي التوبة . ويجب أن نكون راغبين في أن نخلص بالله ، بطريقته ، ويجب أن تأتى إليه من أجل هذه الغاية ، وهذا هو الإيمان .

ونحن نحتاج إلى الرجوع عن برنا الذائق كرجوعنا عن خطايانا . تحدث أوغسطينوس عن مساعيه وراء البر وقال عنها إنها خطايا جميلة . وبولس الرسول تنصل من كل

المساعي التي بذلها للاصطلاح مع الله قبل رؤية وجه المخلص . يجب أن تكف عن جهودك التي تبذلها لتخلص نفسك . ليست هذه إلا « ثوب علة » على حد تعبير النبي (إش:٦٤) . لا شيء غير المخلص وعمله ينفع النفس التي يجب أن تواجه الفحص أمام العدل الإلهي .

تأتي التوبة أحياناً لإصغاء إلى مطالب المسيح . فإننا نستيقظ فجأةً لتحقيق من شخصيته ، ونرى كيف يحينا ، وكـم ينقصنا ، والجهود الشديدة الذي أظهرناه نحو آلامه وقطرات دماؤه وصلبيه وجمال صفاته وقوة مطالبه .

وفي أحيان أخرى تنتج التوبة من كرازة يوحنا المعمدان . عندما نسمع عن الفأس توضع على أصل الشجر ، وعن النار التي لا تطفأ المُلدة للإتهام التبن ، ترتعش فرائص القلب . عندما تؤخذ إلى حافة الهاوية فنضطر أن نركل بأن طريق الغرور الذي نسلكه ينتهي بالهلاك المحتم ، عندما تهديم ثقتنا في برنا الذاتي ونسمع كرازة المعمدان — في مثل هذا الوقت ترى النفس كل آمالها في أباطيلها التي صنعتها لنفسها ، وترجع منها كلها كما رجعت مريم من القبر الذي دفنت فيه كل آمالها فوجدت يسوع واقفاً ، ومجد القيامة بادياً على وجهه ، ومحبه الملتبئة تشع من عينيه .

وخلق بنا أن نميز بين الكلمتين « توبة » و « ندامة » . فالأولى هي أول عمل للإرادة عندما تنتعش وتحيا بالروح القدس فترجع من الأعمال الميئة لتعبد الله الحي الحقيقي ، والثانية تمثل الانفعالات التي تتأثر بقوة بمرور السنين بالروح القدس إذ يبين كل الآلام والأحزان التي سببتها ولا تزال تسببها خطايانا لرنا المبارك . إننا نتوب مرة واحدة لكننا نندم مراراً . إننا نتوب ونؤمن بالإنجيل ، نؤمن بإنجيل ابن الله ، وإذا نظر إلى الذي طعنوه نوح ، إننا نتوب عندما نطيع دعوته للمجيء إليه لنحيا ، ونندم إذ نقف خلفه باكين ، ونبدأ بأن نفعل قدميه بدموعنا ونمسحهما بشعر رؤوسنا .

إن لم يكن يوحنا المعمدان قد عمل عمله فيك فأحرص على أن تفتح قلبك لصوته الداوي . دعه يتمم خدمته . أحرص على أن لا ترفض مشورة الله .

٢ — علامات ومظاهر التوبة :

أ — الاعتراف : « واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم » ليس من الميسور أن نقول ماذا تعنيه هذه العبارة بالدقة . لكن هل المقصود أن الناس إذ أحسوا بتأنيب الضمير ومرارة النفس بسبب فساد حياتهم وشعورهم بخطاياهم الدفينة

وقفوا « مقرين ومخبرين بأفعالهم » كما حدث في موقف خالد بعد ذلك بوقت طويل (أع ١٩: ١٧-٢٠) .

اعترف المتمسك بمجرد المظاهر أن قبر خدماته الدينية المبيض يخفى عفونة وتنانة . واعترف المتشكك بأن سبب رفضه الديانة يعزى إلى بغضة لمطالب ناموس الله المقدس . واعترف الجموع بأنهم أنانيون أغلقوا أحشائهم ورفضوا أن يقدموا للفقراء ما يحتاجونه من لباس وطعام . واعترف العشار بأنه قد أبتر أموالاً أكثر من اللازم . واعترف الجندي بأنه تحت ستار وظيفته أزعج المساكين ووجه التهم الكاذبة لكثيرين من الأبرياء . واعترف صاحب السيرة الشريرة أنه كثيراً ما كمن للدماء وأهلك الأبرياء طمعاً في ربح أو حقداً عليهم وهكذا امتلأ الجو من صراخ وتهدات الجماهير المتألمين الذين رأوا خطيئتهم لأول مرة في نور الأبدية وفي ضوء هلاكها المحتوم . وهكذا كانت لهب « الغضب الآتي » تسطع أشعتها الفاحصة على التصرفات التي كانت ترى في غيبش الجهل والإهمال أنها لا غبار عليها .

وبجانب شاطئ ذلك النهر اعترف الناس بخطيئتهم لا إلى الله فحسب بل أيضاً إلى بعضهم بعضاً وإلى يوحنا المعمدان نفسه . وهنا زالت الأحقاد القديمة وسويت النزاعات السابقة ، وتبدلت كلمات الاعتذار والصفح ، وصافحت الأيدي بعضها بعضاً بعد مرور سنوات من القطيعة والنزاع .

إن الاعتراف علامة أساسية للتوبة الصادقة ، وبدونها يصبح الغفران مستحيلاً . « من يكتم خطاياهم لا ينجح . ومن يُقر بها ويُتركها يُرحم » (أم ٢٨: ١٣) « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يَغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو ١: ٩) طالما كنا ملتزمين الصمت فإن عظامنا تشيخ في آلامنا الداخلية ونحرقنا الحمى بهبط ولا يمكن أن نجد راحة ولو اضطجعنا على أريكة من حرير . لكن عندما نعتزف بخطايانا فإننا نجد الراحة في الحال « قلت اعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيئتي » (مز ٥: ٣٢) .

اعترف لي بخطيئتك أيها النفس المتعبة التي قد حرمت من رؤية المسيح . الأرجح جداً أن خطية دفينّة أو خطية لم يُعترف بها تحجب أشعة الشمس الحقيقية . لا تلتمس العاذر ، لا تهون شيئاً ، لا تترك شيئاً . لا تتحدث عن الأخطاء في الأحكام بل عن عدم استقامة القلب والإرادة . لا تكفّ باعتراف إجمالي بل أذكر خطاياك بالتفصيل ، قدم كل تصرف خاطيء أمام محكمة الله العادلة ، أكشف الأمرار وتحدث عن الرواية

المظلمة الأثيمة . أبدأ من البداية ثم أكمل اعترافك . وحالما تعترف بخطاياك فإنك تجد التأكيد بالغفران من ذلك الذى أحبنا وبذل نفسه كفارة لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم . حالما تنتهى من الاعتراف ، بل حتى فى أثناء الاعتراف نسمع الصوت الإلهى يؤكد لنا بأن خطايانا الكثيرة قد أبعدت عنا كبعد المشرق عن المغرب ، وقد طرحت فى أعماق البحر .

لكن الاعتراف يجب أن لا يكون لله وحده أو للكاهن وحده عندما تكون الخطايا قد أساءت إلى الآخرين . إن كان لأخينا شيء علينا وجب أن نبحث عنه — تاركين قرباننا على المذبح — ونصطلح معه أولاً . يجب أن نكتب خطاباً طالين الصلح أو ننطق بكلمات الاعتذار . يجب أن نُصلح ما أفسدنا . اصلاًحاً كريماً ونعوض ما أتلّفناه . يجب أن لا نتخلف وراء صفوف خطاة العهد القديم الذين أمروا بأن يضيفوا تحمّساً عند رد الحُسنات التى سببها لإخوتهم . والخطية الوحيدة التى تنبهر فى الاعتراف بها لإخوتنا هى تلك التى ارتكبتها ضدّهم . وما عداها فيجب أن نعترف بها لله على يد كاهنه .

ب — أثمار تليق بالتوبة « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » هذا ما قاله يوحنا المعمدان بشيء من الغضب عندما رأى الكثيرين من الفريسيين والصلوقيين يأتون إلى معموديته . لقد أصر على أن المسيحية العملية ليست أقوالاً بل حياة . ليست المظاهر والطقوس بل المبادئ . وقرر بأن صدق التوبة يجب أن تشهد له الآثار المناسبة « هل يجتنون من العنب شوكاً أو من التين حسكاً » (مت ١٦: ٧) .

ولعل طلب المعمدان هذا هو الذى بعث زكا على اعترافه للمسيح لما دخل إلى بيته . كان هذا العشار يعيش فى أريحا التى كرز يوحنا بمجوارها ، والأرجح أنه كان واحداً من العشارين الذين خلعت ألبابهم خدمته . إننا نتخيل التعليقات التى جرت على ألسنة أصدقائه حينما رأوه فتهامسوا بعضهم إلى بعض . قال واحد منهم « أليس هذا هو زكا ؟ » وقال الآخر « ماذا يفعل هنا ؟ » وقال ثالث « لعله قد جاء الوقت لكى يعود إلى صوابه » وقال رابع « أرجو أن يستطيع المعمدان التأثير على حياته » .

وكان هنالك ما مس ذلك القلب المتحجر لقد نبت فيه إيمان عظيم وعزم أكيد . لعله اشترك فى الاعترافات السابق الإشارة إليها . لكنه فعل أكثر من ذلك . فإنه لدى وصوله إلى أريحا صار إنساناً جديداً . لقد أعطى نصف أمواله لإطعام المساكين ، وإن كان قد وشى بأحد رد له أربعة أضعاف . كثيراً ما شوهه خادمه فى أحقر أحياء المدينة

باحثاً عن أفقر المساكين وموزعاً عليهم الصدقات بسخاء ، وسُر الكثيرون من الفقراء إذ وجدوا أن مبالغ محترمة تدفع إليهم مع قصاصة ورق موقع عليها من محصل الضرائب الغني يقول فيها « لقد أخذت منك مبلغاً من المال منذ سنوات دون أن يكون لي الحق فيه ، وها أنا أعيده إليك مع تعويض أربعة أضعاف » . وإن سأله أحد عن سبب كل هذا أجاب « لقد نزلت إلى الأردن وسمعت المعمدان ورأيت المسيح واعتقد أن الملكوت قريب وأن الملك قد اقترب وأريد أن أستعد له حتى إذا ما أتى أمكنه أن يحك في يتي » .

إنك لن تستطيع أن تصطلح مع الله إلا إذا اصطلحت مع أخيك الإنسان . ولا يكفي أن تعترف بالإساءات التي اقترفتها بل يجب أن تكون مستعداً للتعويض عنها على قدر استطاعتك . ليست الخطيئة أمراً هيناً ويجب معالجتها من جذورها وفروعها .

ج - معمودية التوبة : واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم « إن خاصية التطهير التي للماء قد اعطته أهمية دينية منذ الأجيال السحيقة . فالبشر نظروا إلى الخطيئة كتلوث في القلب وصاغوا طلباتهم لإزالتها في كلمات مشتقة من استعمال الماء : « طهروا بالزؤفا فاطهر اغسلني فأبيض أكثر من الثلج » .

لقد تافوا أن يشعروا بأنه كما يتخلص الجسد من الوسخ هكذا ينبغي أن تتحرر النفس من الدنس .

على أنه لم يكن في تعليم يوحنا شيء من هذا . فإنه لم ينادِ بمعمودية التطهير بل بمعمودية التوبة . كانت تعبر عن وترير إلى رغبة النفس وقصدها أن تعترف بخطاياها كشرط أساسي للحصول على الغفران الإلهي .

ليس أمراً جوهرياً أن نناقش الموضوع الخاص بالمصدر الذي استقى منه يوحنا معمديته . فالبعض يقولون إنه استقاها من عادات الأسينيين الذين كانوا يلزمون جميع المتودين من الأمم بممارسة هذا الطقس . لكنه يكفي أن نذكر بأنه قد أرسل ليحمد ، وإن فكرة معمديته كانت « من السماء » ، وإن الطقس إذ وصل إلى يديه اتخذ شكلاً جديداً وأهمية جديدة . كان يعني الموت عن الماضي ودفعه ، والقيامة إلى حياة جديدة أفضل .

من السهل أن نرى كيف أن كل هذا وجد قبولاً عند الشعب ومس قلوب الشبان بصفة خاصة . في ذلك الوقت كان هنالك بحوار بحر الجليل جماعة قليلة من الشبان

الغيورين الذين تأثروا جداً بالتيارات الفكرية المحيطة بهم ، وكانوا يمتقنون حكم الرومانيين وعلى أحر من الجمر انتظاراً لمجيء الملكوت .

عندما كانوا يقضون ساعات الليل في سفن الصيد كثيراً ما تحدثوا عن عهد الله القديم ، وعن مجيء المسيا ، وعن رجاسات خدمة هيكلهم المحبوب ، وإذا أتتهم الأنباء يوماً ما عن هذا الكارز الجديد الغريب تركوا كل شيء وهاموا على وجوههم حتى وصلوا إلى وادي نهر الأردن فوقفوا مبهوتين أمام كلماته .

تعرف يوحنا عليهم كلهم إما واحداً فواحداً أو جملة ، فأصبحوا أصدقاءه الحميمين وتلاميذه الموالين . نحن نعرف اسم واحد أو اثنين منهم (يوا: ١٠: ٤) ، أندراوس وفيلبس وهذان تركا معلمهما السابق لإتباع المسيح ، لكننا لا نعرف شيئاً عن الباقيين سوى أنه علمهم أن يصوموا ويصلوا ، وأنهم التصقوا بمعلمهم العظيم حتى حملوا إلى القبر جثته عديمة الرأس . وبعد موته التصقوا بذلك الذي سبق أن نظروا إليه بشيء من الشك بأنه منافس له .

كان ذلك يعنى شيئاً كثيراً ليوحنا . فإنه لم يكن له أصدقاء قط . ولا شك في أن محبة وولاء هؤلاء الشبان النبلاء والتفافهم حوله بعثت في نفسه راحة جزيلة ، لكنه كان يحول أنظاره بصفة مستمرة عنهم أجمعين كأنه كان يتطلع إلى شخصية أسمى . تبرز حالياً من الجماهير ، وإلى ذاك الذي يبعث صوته في نفسه أعظم فرح ويكمل فرحه لأنه سيكون هو صوت العريس نفسه .

وله المجد دائماً أبدياً ، آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الثاني من الصوم الكبير

تجربة المسيح على الجبل

ثم أوصد يسوع الى البرية ليجرب من إبليس (مت ٤ : ١)

نحن اليوم أمام الركن الثالث من الصوم الكبير . أمام يسوع المسيح الصائم . أمام آدم الثاني يبدأ من حيث انتهى آدم الأول .

كانت حرب في الفردوس بين الشيطان والإنسان وهزم الإنسان هزيمة كانت نتيجتها الطرد الى برية العالم ونحن الآن في البرية نرى حرباً ثانية .

١ - فندم إليه المحرب (مت ٤ : ٣) .

يظن بعض المفسرين أن التجربة كانت همسات من الداخل لعمل شيء مخالف لإرادة الله ، ويطبقون هذا التعليل على التجارب التي يقع فيها الناس . وهذا فكر خاطيء من أساسه لأن المسيح كلى القداسة ، ولا يمكن ان تأتيه أى ظلال من الهمسات الداخلية الخاطئة ، فالتجربة قد جاءت من الخارج . من شخصية حقيقية ولو أنها غير منظورة .. والذين يتوهمون أن الشيطان شخصية خيالية ليس لها وجود ينكرون وحى الكتاب المقدس الذى يثبت فى مئات من المواضع أن الشيطان شخص حقيقى ، بل رئيس وله ملائكة وجنود يستخدمهم فى الشر لإيقاع البشر فى الخطية . إنها حيرة كان يقفها الشيطان باستمرار ، كلما نظر الى السيد المسيح . كلما يرى فيه قوة خارقة للطبيعة تشير الى لاهوته ، يتبع الرب ذلك بمظهر ضعيف يبلبل فكر الشيطان فلا يصدق أنه الله .

نرى الرب يخفى عظمته بولادته فى مزود وبالحرب الى مصر وبعد ذلك المجد العظيم الذى ظهر به الرب فى الأردن : بعد شهادة يوحنا المعمدان ، ثم شهادة الآب وحلول الروح القدس يبدو الرب على الجبل جوعانا ضعيف الجسد ، يتحير الشيطان فى مظهره فلا يصدق انه الله . جاء الشيطان فى شك الى الرب ، محاولاً أن يعرف من هو . جاء يجربه ويختبره ، ليزي ماذا تكون طبيعته . كانت حرب شديدة استعمل فيها الشيطان كل ما فى العالم من أسلحة . « لأن كل ما فى العالم ، شهوة الجسد . شهوة العيون . تعظم المعيشة » (١٦ : ٢) . وكانت نصرة عظيمة . انتهت بزجر الشيطان وطرده . إذهب عنى يا شيطان . وبنعمة الله ستكلم عن النقط الآتية :

التجربة الأولى : بعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً (مت ٤ : ٢)

١ - شهوة الجسد :

كان يسوع المسيح جائعاً . هى بعينها تجربة الشيطان لأبونا الأولين فى الفردوس . حارب الإنسان الأول بالشك أحقاً قال الله لا تأكلا ؟ أحقاً يجرمكما الله الحنون من الثمرة الشهية ! وهل هذا يتفق مع حبة الله وجوده وحنوه ؟ لم يقدر الإنسان الأول أن يصوم عن شجرة واحدة فى الفردوس . « نظرت حواء الى الشجرة فإذا هى جيدة للأكل . أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » (تك ٣ : ٦) . فسقط الاثنان معاً ، وكان سقوطهما عظيماً إذ سقط معها الجنس البشرى ، وكان تحت حكم الموت واقعا ومقيما . والى اليوم يسقط كثيرون منا فى هذه المعركة . لقد صرخ بنو اسرائيل نريد لحما . أين قدور اللحم التى فى مصر ؟ فجاءهم الرب باللحم وطيور السلوى حتى صارت أكواما مكومة وأكاداسا مكدسة مسيرة يوم من هنا ومسيرة يوم من هناك . ويقول الكتاب المقدس إن الشعب الجشع الشوه أكل اللحم حتى خرج من مناخرهم فسقط مئات الألوفا موتا . ومن تجارب البطون أيضاً ، الشراب الفاسد الذى قال فيه سليمان الحكيم : « لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازهار العنين ؟ للذين يدمنون الخمر » (أم ٢٣ : ٢٩ — ٣٠) .

وكما حدث لموسى عند صخرة العبرانيين . لقد ورد فى (عدد ٢٠ : ١٠ — ١٣) ما يلى : « وجمع موسى وهارون الجمهور أمام الصخرة وقال لهم اسمعوا أيها المردة أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء . ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاة مرتين ، فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواسيها فقال الرب : لموسى وهارون : من أجل انكما لم تؤمنا فى حتى تقدسائى أمام أعين بنى اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التى اعطيتهما إياها ، هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو اسرائيل الرب فتقدس فيهم » (عد ٢٠ : ١٠ — ١٣) .

ومن هذا يظهر أن موسى جرب الرب فى مقدرته على ان ينبع من الصخرة ماء ، ولكن الرب أراد ان يتمجد ، فاستجاب وانبع ماء غزيراً . هذه هى التجربة فى قصاصها وعقابها . وليس أعظم من أسلحة الانتصار عليها إلا كلمة الله المكتوبة . كان يسوع جائعاً .. وكيف يجوع الإله ؟؟ إن يسوع الذى جاع هو الذى اشبع الخمسة آلاف من خمس خبزات . ولكنه آدم الثانى « الذى أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس » (فى ٢ : ٧) .

جاء ليعطينا من هذا الجوع دروساً روحية عميقة فيشبع نفوسنا بالنعمة . جاع ليعلمنا

أن آدم الأول هزم أمام شهوة الجسد أما هو فانتصر . صوب الشيطان السهم الأول : « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » (مت ٤ : ٣) . وكان السهم قويا ... ان يسوع الجائع ... ان يسوع الجائع يستطيع أن يحول الحجارة الى خبز ويأكل . إنه خلق الإنسان من تراب الأرض فكيف لا يخلق من الحجارة خبزاً ليأكل هو ويشبع وهل في هذا من شر ؟ ليس الشر في تحويل الحجارة الى خبز ولكن الشر أن يأخذ هذا الخبز من يد الشيطان . ينبغي أن نضع نصب أعيننا أن ابن الله أدخل نفسه آخذاً صورة عبد .. واجتاز آلام الحياة المختلفة ليكون معيناً للمجربين . فإذا استعمل لاهوته لإشباع الجوع فلم يكن بذلك قدوة للفقراء الجائعين . وهناك سبب هام للغاية وهو أن المسيح أخذ على نفسه أن لا يستفيد شخصياً من معجزاته فكانت كلها لخير الآخرين . حتى تم القول : خلص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلصها من الصليب . فقد تعب من الجوع والسفر وجلس عند البئر عطشاً في حاجة الى جرعة ماء وهو خالق البحار والأنهار .

احترس ولا تأخذ لقمة العيش من يد الشيطان .

كلها بعرق جبينك خذها من يد الله ولا تخطفها من يد الفقير . إياك والطمع . « فالتقوى مع القناعة تجارة عظيمة » (١ تي ٦ : ٦) تمثل بمن قال : « أعرف أن أجوع وأعرف أن أستفضل » (في ٤ : ١٢) . الرب يسوع يرد على المجرب : « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤ : ٤) .

إن الإنسان لم يخلق من جسد فقط بل هناك الروح الجوهرة الغالية التي هي نفخة الله التي جعلت التراب نفساً حية . هل نذكر طعام الجسد الفاني وننسى طعام الروح الخالدة .. إن الروح عندما تشبع تقوى على الجسد فتنسيه جوعه وبالعكس عندما تترك للجسد العنان يتحول الإنسان الى حيوان يعيش ليأكل لا يأكل ليعيش ولذا قال الرسول : أكبح جسدي واستعبده لنذكر هذا وليذكره من لم يصم وقد نسي الكثيرون الصوم أمام شهوة أجسادهم . لقد فضلوا شهوة الجسد . حتى على عقائدهم ومجدهم في خبزهم » (في ٣ : ١٩) . حجتهم الوحيدة الباطلة في ترك الكنيسة الأرثوذكسية . إن أصوامها كثيرة .. وأنسته بطنه إن أعظم سلاح هزم الشيطان كان الصوم . « إن هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مر ٩ : ٢٩) . ونحن في حرب مع الشيطان فما أحوجنا الى الصيام الكثير . إن حالنا اليوم غير حال الذين تمسكوا بالصوم لتتشبه برننا يسوع المسيح له المجد الذي هزم الشيطان . بالصوم .

التجربة الثانية : ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً (مت ٤ : ٨) .

أراه جميع ممالك العالم ومجدها .

نعم هي شهوة العيون التي كانت علة السقطة الأولى « نظرت الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر » (تك ٣ : ٦) فعين حواء التي رأت بها الشجرة واشتهتها هي التي كانت مفتاح السقوط الأول للجنس البشري . وعين داود هي التي اسقطته في خبطة التعدي ، « فرأى من على السطح » (٢ صم ١١ : ٢) . ان وعود الشيطان منذ القديم للإنسان وعود مغرية : جميع ممالك الأرض ومجدها أعطيك . إن قتلي العين في التاريخ أكثر ممن قتلهم السيف والرمح ، إن آلافاً من الشباب أذلّتهم وافقدتهم حياتهم الأبدية ، لقد ذكر الكتاب المقدس عينات من هؤلاء ..

إن السيد المسيح كشف عن سر هذا فقال : « سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً » (مت ٦ : ٢٢ — ٢٣) . عثرة العين .. عثرة قاتلة لهذا قال السيد المسيح له المجد : « إن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في جهنم » (مت ٥ : ٢٩) .

إن أفكارنا لا ترتبك بالعمل الشرير إلا بعد أن تحاربتا عيوننا ، ولذلك نسمع أيوب الصديق يقول : « وذهب قلبي وراء عيني » (أى ٣١ : ٧) ولكي يمتلك الله قلوبنا يطالبنا بأن نسلم إليه عيوننا ، يقول : « يا ابني أعطني قلبك وتلاحظ عينك طرق » (أم ٢٣ : ٢٦) . ما الذى أغرق العالم بالطوفان ؟ أليس نظر بنى الله الى بنات الناس أنهن حسنات ؟ (تك ٦ : ٢) وما الذى أذلّ شمشون ؟ أليس مشاهدته لجمال دليلا ؟ (قض ١٦ : ٤) . وما الذى أسقط داود ؟ أليس نظره الى جمال بتشبع ؟ (٢ صم ١٢ : ١٠) . وما الذى أضلّ سليمان ؟ أليس كل ما اشتتهه عيناه لم يمسكه عنهما ؟ (جا ٢ : ١٠) . من أجل هذا نسمع أيوب الصديق وقد اكتشف سر السقوط فقال : « عهداً قطعت لعيني فكيف اتطلع في عذراء ؟ » (أى ٣١ : ١) . ان الله يخاطب ملاك كنيسة اللاودكيين قائلاً : « كحل عينيك بكحل لكى تبصر » (رؤ ٣ : ١٨) . وهذا معناه أن يحتقر الانسان أباطيل العالم وأمجاده العالم وينظر الى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع .

فلتكن « عيوننا بسيطة لكي يكون الجسد كله نيراً » (لو ١١ : ٣٤) . أقطع عهداً مع عينيك أن لا تنظر إلى أى شئ ليس لك لتشتهيه . لقد أرى الشيطان يسوع جميع

ممالك العالم وهذا ليس بأمر غريب لأن ذلك كان بسماع منه ليعطينا دروساً في أسلحة الشيطان التي من أهمها أن يعلق قلوب اتباعه بحبة العالم . عرض الشيطان أمام السيد مجد العالم وجهاله تماماً كما يحارنا كل يوم ويجعل العالم أمامنا فتعبد للعالم ، ونسجد لرئيس هذا العالم ، ونسر في ركابه . « غير ناظرين إلى عالم أفضل وأعجاذ لا تفنى ولا تتدنس ولا تضمحل (١ بط ١ : ٤) » كان الرد قوياً والسهم شديداً . « للرب إلهك وحده تسجد وإياه تعبد » (مت ٤ : ١٠) . كان تجاسر الشيطان في هذه التجربة كبيراً . في أن يطلب من ابن الله أن يسجد له . لذلك زجره الرب يسوع وقال له أذهب يا شيطان . حسبك كباقي البشر الذين يسبحونه ويتعبدون له ليعطيهم العالم ، والعالم كله باطل الأباطيل وقبض الريح فيها من تسجد للشيطان وتتجدد في مملكته استيقظ من غفلتك وأعلم يا ابن إبليس أنك بمحبتك للعالم تعادى الله . حبة العالم عداوة لله . كلما ذهبت إلى الكنيسة اصغ لما يقول قارئ الكاثوليكون في نهاية القراءة . « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم . العالم يمضى وشهوته (١ يو ٢ : ١٥ ، ١٧) » التجربة الثالثة : ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل (مت ٤ : ٤) .

٣ — تعظم المعيشة :

ان علو الخير لا يتركنا حتى في أقدس الأمكنة « لأنه يحول دائماً ملتصقاً من يبتلعه » (١ بط ٥ : ٨) . « لقد مثل أمام الله بين أبنائه » (أى ١ : ٦) . وقال له الله من أين جئت فكان رده من الجولان في الأرض والتمشي فيها . إنه لا يترك مكاناً إلا ويدخله . اسمعه ماذا يقول للسيد : « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فلا تصدم بحجر رجلك » (مت ٤ : ٦) . ما نوع هذا السلاح ؟ وماذا كان قصد الشيطان ؟ كان الشعب اليهودي يملأ الهيكل وخارج الهيكل وكانت تجربته مغرية إذ لو طرح إنسان نفسه من أعلى مكان في الهيكل الذي يرتفع ستين ذراعاً عن مستواه الأرضي . ونزل سليماً ورآه الناس هكذا يعظموه ويمجدوه . إذاً هي تجربة التعظم . تجربة الكهنة والزهو ، ولما رأى الشيطان أن يسوع في التجربة الأولى والثانية قاومه بالمكتوب عزز كلامه بالقول « مكتوب أنه يوصى ملائكته بك » (مت ٤ : ٧) . « أما قائلنا الأعلى ورئيس خلاصنا » (عب ٢ : ١٠) . الذي سبق فحصدنا بالتواضع وقال : تعلموا مني فأني وديع ومتواضع القلب تجددوا راحة لنفوسكم . هزمه في هذه التجربة بقوله : مكتوب لا تجرب الرب إلهك . أعني إن السقوط من أعلى جناح الهيكل بقصد الزهو والخيلاء اتكالا على أن الله يوصى ملائكته . تجربة يقوم بها من ليس له إيمان في الله . ليكون لنا إيمان بالله

ونعشى بمحذر ، وإن جاءت تجربة بدون قصد فالله يرسل ملائكته كما أرسلهم قديماً لدانيال « وخلصه من الأسود الكواسر وسد أفواههم » (دا ٦ : ٢٢) . إن هذه التجربة من أشد التجارب فهي السلاح القديم الذى شهره ابليس فى الفردوس . سلاح المجد والعظمة « تصويان كالله » (ت لك ٣ : ٥) .

إن العظمة كثيراً ما تتحدر بصاحبها الى أسافل الحضيض . بل هى التجربة التى سقط بسببها الشيطان . وإن الله الذى يفتح أحضانه لكل تائب يقاوم المستكبرين . ويعطى نعمة للمتواضعين . لقد حاول الشيطان وتآمر لخراب كنيسة الله فى بدء تأسيسها فأدخل فكرة العظمة فى التلاميذ فسألوا الرب من هو أعظم فى ملكوت السموات فحضر لهم مثلاً عملياً إذ مسك طفلاً وقال : « إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ١٨ : ٣) . لقد تنازل السيد وغسل أقدام تلاميذه وقال لهم : « إن كنت وأنا السيد قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٤ - ١٥) . فلنحترس من هذه التجربة ولنعلم أن قبل السقوط تكون الكبرياء .

٢ - يسوع المنتصر :

لماذا يسمع ابن الله للشيطان أن يجربه بأخذه الى جبل عال ثم إلى المدينة المقدسة ؟ أن يسوع سمح ليعطينا دروساً فى كيفية الانتصار وهذه الدروس هى :

١ - أول سلاح للانتصار كان الصوم :

فاعلم علم اليقين أنك غالب للشيطان ومنتصراً عليه مادمت لا تعطى للجسد شهوته « لأن الجسد يشتهى ضد الروح » (غل ٥ : ١٧) . « صم بطهارة وبر وأنت تقوى وتغلب الشرير » (١ يو ٢ : ١٣) . « أما الروح فنشيط أما الجسد فضعيف » (مر ١٤ : ٣٨) .

٢ - السلاح الثانى مكتوب ... فى الثلاث تجارب :

نسمع صوت السيد مكتوب أنه ليس بالخيز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . مكتوب للرب إهلك تسجد وإياه وحده تعبد . قيل لا تجرب الرب إهلك . هذا هو السلاح القوى . سلاح المؤمن القوى البتار ، الذى يجب أن يتسلح به ليل ونهار ، حتى يستطيع الانتصار على ذلك العدو القهار « لأن كلمة الله أقوى من كل سيف نسلح ذى حدين » « هذا هو سيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف ٦ : ١٧) .

الذى نقطع به رأس الحية القديمة . اقرأ كثيراً وفتش الكتب وتسليح بهذا السلاح وأشهره « كسيدك تنطفئ جميع السهام الشرير الملتبهة » (أف ٦ : ١٦) . لقد نجح تيموثاوس في قيادته للكنيسة : « لأنه كان منذ الطفولة يعرف الكتب المقدسة » (٢٢ : ٣ : ١٥) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢٢ : ٣٢ : ١٦ — ١٧) .

وكلمة الله هى العزاء لقلوبنا : « هذه هى تعزيتى فى مدلتى لأن قولك أحيانى » (مز ١١٩ : ٥٠) . وكلمة الله هى النور لطريقنا : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥) . وكلمة الله حياتنا « يارب الى من نذهب وكلام الحياة الأبدية هو عندك » (يو ٦ : ٦٨) .

٣ — الامتلاء من الروح القدس :

أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس ، وكان أربعين يوماً يجرب من إبليس .

صل كثيراً لأنك امتلأت بالروح القدس بعد المعمودية ولكنك أطفأت هذا النور واحزنتم الروح القدس ببعده عن الله .

صل للرب يسوع ليملأك بهذا الروح . كل قداس ردد فى شرك مع الكاهن وقت صلاة الساعة الثالثة . روحك القدوس الذى أرسلته على تلاميذك الأطهار فى وقت الساعة الثالثة لاتنزع منى بل جدد فى داخلى روحاً طاهراً ومحياً روح القداسة والعدالة والسلطة أياها القادر على كل شيء . وما دام فيك روح الله فلن يغلبك الشرير .

٤ — اطلب مساعدة الأسد الغالب من سبط يهوذا :

وقد علمنا فى الصلاة الربانية أن نلجأ إليه عندما يهاجمنا الشرير . « نجنا من الشرير » (مت ٨ : ١٣) . « لأن ابن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣ : ٨) .

ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان وأتأ لا نجعل أفكاره فلنتسلح بسلاح الله الكامل لنتنصر كما انتصر سيدنا . تلك هى أهم الأسلحة الناجحة التى استخدمها الرب يسوع فى محاربة إبليس . بعدها أنصرف الشيطان مهزوماً يجر وراءه أذيال الخيبة والفشل .

ليعطنا الرب النصرة والغلبة على الشيطان . ولنسحقه فى كل جولاتنا ومعارك حياتنا منتهزين إياه إذهب عنا يا شيطان . ولإتأ المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثالثة من الصوم الكبير الانقسام

إن انقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت ان يثبت (مر ٣ : ٢٥) .

البيت المتحد : يحدثننا عنه العهد القديم مفتخراً بشأته ، ومبتهجاً بسلامه هو بيت يشوع بن نون الذى قال : « أما أنا وبيتى فنعبد الرب » (يش ٢٤ : ١٥) وكما يحدثننا العهد الجديد عن بيت نظيره وهو بيت كرنيليوس القائد الرومانى الذى ذكر عنه بقوله « كان تقياً وخائفاً لله مع جميع بيته » (أع ١٠ : ٢) . وصفات ذلك البيت أن أساسه من الصخر ، وقوائمه من جلمود ، وأبوابه من فولاز . يصارع عواقي الرياح ويقاوم أخطار الأنواء ، فإذا صدمت ذلك البيت لا تنال منه شيئاً بل يثبت الى الأبد . ذلك لأن الأساس الصخرى لذلك البيت هو الايمان ، وقوائمه الجلمودية هى المحبة ، وأبوابه الفولازية هى البر والتقوى . البيت المنقسم : هو مقام على الرمال وحوائطه من قشور وأبوابه من قش فإذا هبت الرياح وصدمت الأنواء ذلك البيت فيسقط ولا يكون فيما بعد ، ذلك لأنه تسوده الكبرياء ، ويرتويه الطمع ، وتكتنفه الأنانية ، واسم الله ليس فيه .

وقد تنقسم المدينة على ذاتها عندما يحارب سكانها بعضهم بعضاً ، كما ينقسم الإنسان الواحد على ذاته أيضاً عندما تسوده الانفعالات المتضادة والمتناقضة ما بين الروح والجسد ، والعقل والعاطفة ، وعامل الخير والشر . فما لا يريد أن يفعله إياه يفعل ، لذلك صرخ النبى داود بقوله : « وحد قلبى يارب لخوف اسمك » (مز ٨٦ : ١١) . وطبعاً ان الخصام والشقاق فى البيوت والطوائف والكنائس والمدن والممالك يوردها الانحلال والدمار . على أن عوامل الانقسام ومعاول الهدم لذلك : البيت ، وتلك المدينة ، وذات الانسان ، كثيراً ما تكون كما يأتى :

أولاً - الكبرياء ومصدرها محبة العالم :

سئل شيخ : ما هى أعظم الفضائل ؟ فقال : إذا كانت الكبرياء أشد الخطايا حتى أنها أهبطت طائفة من السماء الى الأرض ، فمن البديهي أن يكون الاتضاع الحقيقى المقابل لها أعظم الفضائل ، إذ هو يرفع الانسان من الأعماق الى السماء ، وقد طوبه الله قائلاً : مغبطون أولئك المساكين بالروح . أى المتضعين بقلوبهم فإن لهم ملكوت السموات . لذلك تتولد الكبرياء فى الانسان المحب للعالم ، كما قال الوحي الإلهى : « ان محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) « وقبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشاغب الروح » (أم

١٦ : ١٨) . والانسان المتكبر يريد السيادة على الجميع ويجعل نفسه فوق الكل ، وينسى أنه من تراب ، وإلى تراب يعود . تأمل في ذاتك : ماذا كنت ؟ وماذا أنت الآن ؟ وماذا تكون فيما بعد ؟ ألا تعلم أنك كنت عدما غير موجود ، وحين وجدت تكونت من مادة حقيرة دنية ، وأنت الآن جسد حقير بالي مفعم بنتانة ونفس مسكينة رازحة تحت أثقال لا حد لها .

تأمل في الأزهار والأشجار فانها أجمل من جسدك ، أما تخرج الأشجار زهناً وثماراً للذيدة شهية ورائحة عطرة أما جسدك فينتج أقداراً وأوساخاً . تأمل نهاية حياتك ألا يعود جسدك هذا إلى تراب ، ورماد ، فعلام تفتخر وأنت تراب ؟ وبم تتعالى وتكبر وأنت رماد ؟ ما هي حياتك ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع ٤ : ١٤) . ما حياتك سوى سلسلة أتعاب وشقاء . فما أضعف الإنسان وأوهى قوته وأشد ذله . إنه ضعيف ذليل أسير لأُمياله وعاداته . خاضع لإرادته وملكاته . ومع ذلك يتعالى ويظن أنه شيء . » تواضع قدام الرب فيرفعك » (يع ٤ : ١٠) . « لأن الله يقاوم المستكبرين . وأما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (١ بط ٥ : ٥) لأن الرب يكرم الذين يكرمونه . قالت السيدة العذراء : « تعظم نفسي الرب وتبتهج روعي بالله مخلصي ، لأنه نظر إلى اتضاع أمتة فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني » (لو ١ : ٤٦ — ٤٨) .

التواضع أفضل من العلم . رجل فقير قليل المعرفة ومتواضع أفضل بكثير من فيلسوف غنى متكبر . إذا الكبراء مرض خطير ، لا علاج له . ويحدثنا العهد القديم عن ملك : جبار ، تكبر واستكبر وظن نفسه الهاً مقتدراً وعظيماً متسلطاً ، فسقط أخيراً ، وكان سقوطه قاسياً وأليماً ، ففي وقت من الأوقات كان نبوخذ نصر الملك يتمشى على قصر مملكته بابل وقال : « أليست هذه بابل العظيمة التي بنتها لبيت الملك بقوة اقتداري وجلال مجدى . والكلمة بعد في فم الملك ، وقع صوت من السماء قائلاً لك يقولون يا نبوخذ نصر الملك : « إن المُلْك قد زال عنك ، ويطردونك من بين الناس ويكون سكنك مع حيوان البر ، ويطعمونك العشب كالثيران ، ويمضى عليك سبعة أزمان حتى تعلم أن العلى متسلط في مملكة الناس . وأنه يعطي لمن يشاء » (دا ٤ : ٣٠ — ٣٢) .

ويحدثنا أيضاً العهد الجديد عن ملك آخر نسي أنه إنسان وجعل نفسه الهاً ، في يوم معين لبس هيرودس الملك الحُلَّة الملوكية ، وجلس على كرسى الملك وجعل يخاطبهم فصرخ الشعب هذا صوت إله لا صوت إنسان . ففي الحال ضربه ملاك الرب ، لأنه لم يعط المجد لله ، فصار يأكله الدود ومات » (أع ١٢ : ٢١ — ٢٣) . وهكذا عوقب هذان

الملكان ، اللذان تجبرا واستكبرا بزوال ملكهما ، وخراب ديارهما .

ثانياً — الطمع ومصدره محبة المال :

نلاحظ الأفراد على اختلاف أجناسهم وتباين أديانهم وتنوع رتبهم في وسط هذا المجتمع الانساني يميلون إلى جمع المال بشتى الوسائل ويبدلون ما في وسعهم لنوال أكبر قسط منه فيجذبهم إليه فيجرون وراءه ويتخذونه معبوداً ثانياً لهم ألم يقل لنا عنهم السيد المسيح : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (مت ٦ : ٢٤) . فيجنون من وراء ذلك ثماراً رديئة رديئة .

فان المال يفتن كل بار وجمع المال أصل للبلاء في سبيل محبة المال يخسر الانسان الصداقة الأخوية ويدنس شرفه فيشكو غيره في المحاكم ويتسبب من وراء ذلك الخصام والنزاع في الحياة .

لو انصف الناس استراح القاضي وبات كل عن أخيه راضى يا من تحرق أموالك في تدخين السجائر وأنت يا من ترمى أموالك للماء جوفك بالخمر والمسكر . يا من تبعتها على الملاذ والشهوات . اعلم علم اليقين ان الله سيحاسبك على كل قرش يصرف في غير محله . فمما لا شك فيه أن الطمع مصدره محبة المال . « محبة المال أصل لكل الشرور الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان ، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة » (١٠ : ٦) . والنفس الجائعة لا شبع لها ، بل دائماً تطلب المزيد . ومن أحب الفضة لا يشبع من فضة . وكثيراً ما يكون الطمع هو محبة المال مجلية للهلاك والخراب . كما حدث لجيحزى تلميذ أليشع النبي قديماً عندما طمع في مال نعمان السريانى الأبرص فسعى وراءه واشتبهى أن يأخذ مما قد رفضه سيده أليشع ، وكان متعطشا للثراء مستعيدا لمحبة المال فأخذ من نعمان الشيء الكثير وادخله الى بيته وعاد يقف أمام رجل الله الذى سأله قائلاً : « من أين يا جيحزى ؟ فقال لم يذهب عبدك الى هنا أو هناك . فقال له : ألم يذهب قلبى معك حين رجعت الرجل من مركبته للقائك ؟ أهو وقت لأأخذ الفضة ولأأخذ ثياب ، وزيتون وكروم وغنم وقر وعبيد وجوار . فبرص نعمان يلصق بك وينسلك الى الأبد ، وخرج من أمامه أبرص كالثلج » (٢ مل ٥ : ٢٥ — ٢٧) ولعل هذا أيضاً يذكرنا بمحادثة يهوذا الاسخريوطى « الذى ذهب الى رؤساء الكهنة ، وقال : ماذا تريدون أن تعطولوني من الفضة وأنا أسلمه لكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » (مت ٢٦ : ١٤ — ١٦) . وكان حبه للفضة أن يبيع سيده بهذه الدرهمات القليلة حتى سقط من درجته الرسولية ، وأخيراً صارت « داره خراباً وأخذ

وظيفته آخر « (مز ١٠٩ : ٨) . فكم كان الطمع وحب المال سببا في خراب البيوت ،
وانهيار الأسر الآمنة .

ثالثا — الأنانية ومصدرها محبة الذات :

قال الآب نستانيون : ان الله كان على الصليب وبكلمة واحدة تركى ، ويوداس كان
من جملة الرسل ، وفي ليلة واحدة أضاع كل شيء ، من أجل ذلك لا يفخر أحد من
صانعي الحسنات ، لأن كل الذين وثقوا بذواتهم سقطوا . وتصدر الأنانية من محبة الذات
وهي من جوانب الكبرياء والأنانية ، تفقد الإنسان الأحاسيس والمشاعر نحو الآخرين وتركز
كل اهتمامه بذاته فقط وتجعل الانسان لا يعيش إلا لنفسه فقط ولقد قيل : ما استحق أن
يولد من عاش لنفسه فقط .

والانانية تجلب البغض . قال ماراسحق : الذى يبغض صورة الله لا يمكن أن يكون
محبوبا من الله . وتبذر عوامل الشر والكراهية . وتنتزع المحبة من القلوب ، فلا حساب
لصغير مع كبير ولا اكتراث للكبير مع الصغير . ويعيش الانسان بها مزهوا فخورا . يطلق
البخور للصنم أنا وليس أمامه إلا أنا صباحاً ومساءً دون أن يعلم أن ذلك سيقود الى
الخراب والانهيار . ويجدثنا العهد القديم عن جليات الجبار الذى وقف أربعين يوما يعير
صفوف الله الحى متفخراً بقوله : « أى اله يخلصكم من يدي ؟ وهو لا يعلم أنه يحجر
صغير بكف مقلع الفتى داود سوف يحطم كبرياءه وانانيته فيقتل ويقطع رأسه وينهزم
جيسته . ويهبط داره خرابا » (١ صم ١٧ : ١٦) .

هو ذلك البيت المتحد ، البيت القوى باتحاده ، الذى لا ينطفىء نوره ولا تخفى
سعادته . ليس فى العالم كله مكان يضاهى البيت السعيد جمالا وراحة . فأينما سافرنا وأينما
نزلنا ، لا نجد أفضل من البيت الذى يحيم عليه ظل السعادة . فالسعادة والبيت كلمتان
مترادفتان فى المعنى اذا عرف رباه — الأم والأب — ان يعيشا العيشة الهنيئة الصحيحة . إن
البيت هو البقعة المباركة العزيزة الحلوة فى كل الأرض أكثر من أى بقعة أخرى . قال أحد
المؤمنين لا تنسى أبداً ان حياتك البيتية هى الكتاب المقدس الذى يقرأه ابنك وابنتك
وزوجتك . إنهم يقرأونه بكل دقة . لنفتح لله بيوتنا حتى يدخل يتعشى معنا ونتعشى نحن
معه ولنصل دائما حتى يستطيع رب كل أسرة أن يقول ولله المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الصوم الكبير القلب والشيطان

« لأن من القلب تخرج أفكار شريرة ... » (مت ١٥: ١٩) .

يقوم القلب بدور خطير في حياة الإنسان الروحية والجسدية ، مرتفعاً به أو هابطاً به ، حياً أو ميتاً ، لذلك يقول الحكميم : « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (أم ٢٣: ٤) . ولقد طلب سليمان الحكميم شيئاً واحداً لا غير « اعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر » (١ مل ٣: ٩) واستجاب له الرب وقال له : « هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى أنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك » (١ مل ٣: ١١ ، ١٢) .

القلب هو ساحة قتال ومنطقة حرب بين الله والشيطان ، بين الخير والشر ، الحياة والموت . يقول السيد المسيح : « إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد ، ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه ، فأتى ويجده فارغاً مكتوساً مزيناً ، ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أشر أشد منه ، فتدخل وتسكن هناك . فقصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل » (مت ١٢: ٤٣-٤٥) .

إن يسوع المسيح يصور القلب البشري كساحة قتال تملؤه قوات الخير أو قوات الشر . ولا يمكن أن يكون هناك أرض محايدة دائمة ، وكذلك لا يمكن منع هذا الجانب من الاحتلال النهائي — إما الله أم الشيطان ، فلا بد أن يكون المالك للقلب هذا أو ذاك بهذا علم المسيح ، وهذا أيضاً ما تعلم به المسيحية اليوم وغداً .

إن العلم الحديث يثبت وجهة نظر الكتاب المقدس عن الإنسان كشخصية رابطة الجأش وسيد مصيره ، بل كميّدان لقوات الخير والشر المتصارعة ، عرضة لاحتلال قوات إبليس من جانب ولغزوة النعمة القادرة من الجانب الآخر .

وليس معنى هذا أن الإنسان قضى عليه أن ينحاز إلى جانب الشر أو إلى جانب الخير ، ولكن ليعلن أنه يوجد طريقان وقوتان ومبدآن . فيوجد الطريق الصاعد إلى فوق ، والطريق المنحدر إلى أسفل ، كما يوجد قوة المسيح وقوة الشيطان ، ويوجد المبدأ الصالح والمبدأ الشرير .

فأى طريق نسلكه ١٢ .. وأى مبدأ سيملك علينا ١٣ ومن سيكون معنا ، المسيح أم الشيطان ؟ فعلياً أن نختار !! إن ميزاناً دقيقاً للمصير مسلّم لكل واحد منا ، والله لا يسهه والملائكة لن تقربه وإبليس لن يستطيع أن يحركه . ولكن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يقرر مصيره . نعم ، هو وحده الذى يمكنه أن يلتقى قلبه فى الكفة بنفسه ، يمكنه أن يقرر فى أى اتجاه تتحرك إبرة الميزان وأية قوة ستكون هى السائدة على قلبه وحياته كلها .

إن الشيطان إذا سُمح له بالتخول إلى الحياة أو إلى القلب ، ففى الوقت المناسب يسيطر على الإنسان كله . « فدنجل إبليس فى يهوذا الذى يدعى الإسخريوطى ، وهو من جملة الاثنى عشر ، فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم ، ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة » (يو ١٣: ٢٧) .

إن ذلك التلميذ ، يهوذا ، الذى احتل الشيطان قلبه ، جعله يساوم أولئك القادة الدينيين الذين تسكن الشياطين قلوبهم وأسلم مخلص العالم إلى أيدي رؤساء الكهنة ، وكانت النتيجة صلب المسيح .

إن القديس يوحنا يضيف عبارة لها دلالتها « خرج (يهوذا) للوقت وكان ليلاً » (يو ١٣: ٣٠) . نعم كان بالنسبة ليهوذا ليلاً طبيعياً ، وكان ليلاً روحياً دون أن يظهر فيه نجم رجاء واحد . فذاك الذى كان يملك أن يتألق كأبهى النجوم فى سماء الإنجيل الخالد قاده الشيطان ليضع حبلاً يلفه حول عنقه ، ففعل وخنق نفسه فى شجرة ، وتمت ثقل جسمه انقطع الحبل تاركاً جسماً مجندلاً ليكون وليمة للدود والنار التى لا تطفأ أبداً . هذا مثال ورمز صامت لعاقبة خدمة الخطية واللذات والشيطان وتسليم القلب له .

لكن كيف نستطيع أن نقهره ١٤

يمكننا أن نقهره ونغلبه عندما نستطيع أن نظرده من قلوبنا ، وبعد أن نفصله من آثاره الآتمة ونحرره من عبودية إبليس وهذا فى أمور كثيرة نذكر بعضاً منها :

الأمر الأول — بدم المسيح :

« وهم غلبوه بدم الحروف » (رؤ ١٢: ١١) . نعم فالجلجلة (الصليب) هى دائماً الجواب الأساسى . إن الشيطان حاول أن يجعل الجلجلة الهزيمة الأخيرة ، ولكن يسوع المسيح له المجد جعلها ساعة النصر المجيدة الظاهرة « لكى يبيد ذاك الذى له سلطان

الموت ، أى إبليس » (عب ١٢: ١٤) .

إن غضب الله المشتعل ضد الخطية قد أحرق ما هو حول الجلجثة ، حيث يمكنك أنت ويمكنك أنا أن نجتمع حول صليب الرب يسوع المسيح ، آمين من نيران الهلاك .
ابداً سيترك إلى السماء عند صليب الجلجثة كن قريباً من الصليب والمسيح طول طريق سياحتك ، مواظباً على ممارسة الأسرار المقدسة التي تظهرك من كل إثم وخطية .

الأمر الثاني — بكلمة الله :

إن كلمة الله أكبر سلاح رادع لأسلحة الشيطان . والعجيب أن إبليس نفسه كان يستخدم هذا السلاح ، أليس هذا عجيباً ؟

لقد نصح الأسقف تيموثيوس في قيادته للكنيسة لأنه كان « منذ الطفولية يعرف الكتب المقدسة ... » (٢٢: ١٥: ٣) . حقاً إن « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً فى كل عمل صالح » (٢٢: ٣: ١٦، ١٧)

ويقول القديس بولس شاهداً لقوة الكلمة « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والخصاع ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤: ١٢) . ثم يقول أيضاً « خلوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » (أف ٦: ١٧) .

بعد أربعين يوماً أقضاها السيد المسيح صائماً ومصلياً كان ضعيفاً ومعيقاً بالجسد كإنسان تام . ففي هذه الساعة ، ساعة الضعف الشديد ، جاء الشيطان إليه بتجربة قوية تكاد أن تكون قاهرة:

جاء أولاً المجرّب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال السيد المسيح : « مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (مت ٤: ٤) وفى المرة الثانية : أوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت أنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ففعل أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . فقال له يسوع : « مكتوب أيضاً لا تجرب الرب الهك » (مت ٤: ٧) أما فى المرة الثالثة : يقول الكتاب المقدس : ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيتك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حيثذ قال له يسوع : « اذهب

يا شيطان ، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد (مت ١٠: ٤) .

الأمر الثالث — وسائط النعمة :

النعمة الإلهية سلاح جبار لو حصل عليها الإنسان لاستطاع أن يقهر إبليس وكل قواته ، كما قال السيد المسيح : « هذا الجنس لا يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم » (مت ١٧: ٢١) .

إن الصلاة هي باب الانتصار ، كما يقول القديس يوحنا الدرجي « إن المحن والعثرات والعوز والضيق التي تحمل بالإنسان لا يمكنه أن يحتملها أو ينتصر عليها إلا بمعونة الله التي تعطى للذين يسألونه في الصلاة » .

لقد انتصر آباءنا فنقلوا جبل المقطم ، وغلبوا بذلك مؤامرة اليهودى الذى باع نفسه للشيطان ، فدير هذه المكيدة . ولكن الكنيسة غلبته بالصلاة .

وانتصر أبونا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أبو الرهبان بالصلاة على قوات الظلمة في البرية . « أما منتظرو الرب فيجدون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » (إش ٤٠: ٣١) .

يقول السيد المسيح : « اسهروا إذن وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزعم أن يكون .. » (لو ٢١: ٣٦) .

لقد صعد موسى النبي إلى الجبل ، فانتصر شعبه بقيادة يشوع بن نون . وهكذا نحن حين نصعد على جبل الصلاة فلا بد لنا أن نتضرع على العدو .

فنشكر الله الذى أعطانا سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (الشيطان) .

الأمر الرابع — الاتضاع :

لا شيء يغلب الشيطان إلا روح الاتضاع لأن الله « يقاوم المستكبرين أما المتواضعون فيعظمهم نعمة » (يع ٤: ٦) . سقط الشيطان عن طريق الكبرياء ، ولا يوجد طريق إلى غلبته والانتصار عليه إلا بمحاربة الكبرياء .

سئل القديس مقار الكبير عن أعظم الفضائل ، فقال « إذا كانت الكبرياء أشد الرذائل حتى أنها أسقطت طغمة بأكملها من الملائكة ، فالتواضع أعظم الفضائل » .

كان القديس أوغسطينوس يصلى دائماً ويقول « يا ليتنى أعرف ذاتى وأعرفك » ويقول أيضاً فى الاتضاع : « إن الله هو أعلى » ، إن وضعت ذاتك ينحدر إليك وإن رفعت نفسك يهرب منك . فباتضاع الإنسان يمكنه أن يقهر إبليس ويتنصر عليه .

الأمر الخامس — مقاومته وعدم الخضوع له :

الذى علينا هو أن نقاوم الشيطان ولا نسمح له « قاوموا إبليس فيهرب منكم » (يع:٤:٧) . ولذلك ينبهنا الرسول بطرس فيقول : « اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يحول ملتصقاً من يتلعه هو ، فقاوموه راسخين فى الإيمان » (١بط:٥:٨، ٩) . أما القديس يوحنا فيشجع المؤمنين ويشهد لهم قائلاً : « وهم غلبوه .. بكلمة شهادتهم » (رؤ:١٢:١١) .

إننا لا نستطيع أن نستلقى على ظهرنا أو ننام على الوسائد الناعمة حيث الراحة ثم ندخل السماء ونحن متكاسلون .

يجب علينا أن نتكلم ونشهد للمسيح . علينا أن نقف على أقدامنا إلى جانب الله ، آخذين ترس الإيمان وسيف الروح ، ونخرج لنجاهد جهاد الإيمان .. وهكذا نمسك بالحياة الأبدية » (١اق:٦:١٢) .

إن أعظم ما يحتاجه العالم اليوم هو رجال ، رجال لا يشترون ولا يباعون ، رجال هم فى أعماق نفوسهم مخلصون وأمناء ، رجال لا يخشون أن ينادوا الخطية باسمها الحقيقى ، رجال ضميرهم مخلص وأمين كإبرة البوصلة ، رجال يقفون إلى جانب الحق ولو هوت السماء إلى الأرض ، رجال لهم قلوب من فولاذ لا تؤثر فيها حجة العالم ، قلوب انتصرت وملكت مع المسيح ولم يعد لإبليس أن يتسرب إليها ، قلوب تنفت من الخطية وتطهرت من الإثم وعانت نور مجد الله « طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت:٥:٨) .

« إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا أقرب مما كان حين آمنة . قد تنهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ولنلبس أسلحة النور ولنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل بالسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (رو:١٣:١١-١٤) .

وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من الصوم الكبير

الابن الضال

لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد (لو ١٥ : ٢٤) .

مر من الصوم الكبير المقدس أسبوعين والكنيسة تضع أمامنا اليوم مثلاً من أروع الأمثلة هو إنجيل في إنجيل هو بشارة للخطاة ورجاء عظيم للعصاة .

يظن البعض ان الله مثل بنى البشر الذين يمتنون الأشرار مقتاً ويتمنون لهم الهلاك والفناء سريعاً . هذا مخالف للحقيقة يا أحبة الرب . لا شيء يسر قلب الله ويهيج نفسه أكثر من أن يسمع أن إنساناً خاطئاً أظهر رغبته في التوبة والرجوع إليه والتقرب منه .

ابن يقف أمام أبيه بغير أدب ولا اعتبار ... لم يخطر بباله أن الوصية الأولى . في اللوح الثاني من لوحى العهد : « أكرم أباك وأمالك لكى تطول أيامك على الأرض أول وصية بوعد » (أف ٦ : ٢) . « نسى أن الرب يسوع مثلنا الأعلى كان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١) . ولكن هو العقوق . هى الطياشة . هى محبة المال الذى ينسى الإنسان إلهه ووصاياهم . الابن يشير بيديه ويرفع صوته « أعطني القسم الذى يصيبني من المال » (لو ١٥ : ١٢) . يريد أن يرث أباه الحى وكأنه كان ينتظر موت أبيه . ولكن عمر أبيه قد طال ولم يسرع الموت إليه بل يسير إليه بخطى بطيئة . وقف وكأنه ملاك الموت أمام الشيخ فى عناد وشر يطلب نصيبه من المال حمائناً الله من عدم احترام الوالدين . « لأن العين اختقرة والدها والمستهزئة اطاعة امها يأكلها الدود وتقودها غربان الوادى » (أم ٣٠ : ١٧) .

أخذ الشاب نصيبه من المال واستعجل في السفر الى هذه الكورة البعيدة . كيف جرؤ ذلك الابن أن يضحى ببيته ويسافر الى كورة بعيدة ؟ كيف ضحى بخنان الأب وعطف الأم ، ذلكما الأبوان اللذان يركن إليهما الابن وهما جناحاً قوة ، وأمان له . لقد عرف سليمان الحكيم قيمتهما فقال موصياً : « يا ابني احفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك أربطها على قلبك دائماً ، قلدها عنقك ، إذا ذهبت تهديك ، إذا نمت تحرسك ، وإذا استيقظت فهي تحدثك لأن الوصية مصباح والشرعة نور » (أم ٦ : ٢٠ — ٢٣) . إنها روح التمرد والعصيان التى ساقط هذا الشاب إنسياقاً وراء ما يسميه الكثيرون بالحرية ، إن الخاطئ يريد أن يبعد عن رقابة الله عن رقابة الضمير يبعد عن الكهنة والوعاظ .. قال

الجاهل في قلبه ليس إله » (مز ٥٣ : ١) . ماذا في الكورة البعيدة . فيها . خمر والقمار والخلاعة . والاستباحة فيها الفساد والإلحاد . وفيها أيضاً الهلاك والجوع . « البعداء عنك يبدون » (مز ٧٣ : ٢٧) .

إن الابن الضال كرر مأساة عيسو فأستباح لنفسه الشر والعصيان وباع امتيازات البنوة ، ورفض حضن الآب . لقد انفصل الابن عن أبيه ، وهذا يمثل انفصال المؤمن عن الله . ولقد قال القديس أوغسطينوس : موت الجسد هو انفصال النفس عن الجسد ، أما موت النفس فهو انفصال النفس عن الله ، فالخاطيء يعتبر ميتاً وإن كان حياً ، لأن أجرة الخطية هي موت . لقد بذر ماله بعيش مسرف وقد ألقى الابن الأكبر الضوء على حياة أخيه في هذه الناحية فقال لأبيه أكل معيشتك مع الزواني . إن صداقة هذا الشاب هي التي جنت عليه « فالعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٢ : ٣٣) . والصداقة الفاسدة كثيراً ما تجر على أصحابها وبالا ولذلك قالوا :

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
إن صداقة أصحاب الابن الضال لم تكن على أساس من الحب أو الاخلاص فبمجرد أن نفذ ذهبه ، ذهبوا عنه ، وبمجرد أن انتهت فضته ، انفضوا من حوله . وصدق عليه قول الشاعر :

ان قل مالي فلا خل يصاحبني
فكم عدو لبلد المال صاحبني
أو زاد مالي فكل الناس خلاني
وصاحب عند فقد المال خلاني

تلك هي الصداقة المغرضة النفعية .

هل غابت عنا صداقة يوناثان لداود ؟ هذه هي الصداقة العظيمة ، المحبة القوية كالصوت التي لم يقف في طريقها أى عائق أو أى معطل ، لقد انتصرت على كل شيء ... يا لها من صداقة صادقة ، ولذلك لمامات يوناثان رثاه داود بمرثاه خالدة بليغة يقول : قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان ، كنت حلواً لى جداً ، محبتك لى أعجب من محبة النساء . كيف سقط الجبارة ؟ والصداقة الفاسدة المفسدة أوصلته الى الجوع والفاقة . لقد اشتبهى أن يأكل الخرنوب طعام الخنازير فلم يجد . لقد أنفق كل شيء وحدث جوع شديد ، فابتدأ يحتاج ولبسائه نسيمه يعترف ويصرح هذا التصريح كم من أجير لأنى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً ؟ ولكن ... ما الذى جعله يحتاج ؟ لقد بذر ماله بعيش مسرف ... ثم ... أكل معيشته مع الزواني . التذير ... شر لا يضبط ، والسكر والمسرِف يفتقران الى رغيِف خبز .

ولما ابتدأ يحتاج لم يقبله أحد بل صار مخذولاً ومرذولاً من الجميع وطرد من الكورة ، ولم يجد له مأوى إلا أن يعيش مع الخنازير ، ويتمرغ في حماتها ، ويتلطخ بقذارتها ، وتشير الخنازير الى الشياطين الشريرة والأرواح النجسة ولم يكن له بد إلا أن يعيش معها ، ويبست في زرائها ، ويأكل من أكلها ويشرب من شربها ، فتهرأت ثيابه وانكشف لحماته ، وضمير لحمه وعظامه ، وتقرحت يدها ومسيقانه ، وسقط على الأرض وليس له من مغث ولا محجب . لم يجد خبزاً ولا أى طعام ، يملأ به بطنه الخاوية ، إلا الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، وحتى هذا الخرنوب لم يستطع أن يشبع منه ، فعندما كان يتسلق الشجرة ويهرها ، ليسقط منها شيء يأكله كانت الخنازير تسرع إليه وتأكله ولم يجد لنفسه منه شيئاً وكما تشير الخنازير الى الأرواح الشريرة والشياطين ، هكذا يشير الخرنوب الى الاعم الذى يشربه الأشرار كالماء ، والنجاسة التى هى طعامهم وشرابهم .

الرجوع الى النفس هو أساس إصلاح النفس .

وللرجوع الى النفس معناه استيقاظ الضمير ،

لقد رجع الابن الضال الى نفسه وقال : كم من أجبر لأنى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً . لقد أمسك فى يده ميزاناً وضع فى إحدى كفتى الميزان العالم والمال والشهوة واصدقاء السوء والزواني وأخيراً الجموع . ثم وضع فى الكفة الأخرى البيت ورعاية الآب ، الخدم والحشم والأكل الوفير ، وبعد هذه المقارنة رأيناه وقد رجع الى نفسه . هذه صرخة الضمير الصاحى الواعى . ليتنا جميعاً نستيقظ من غفلتنا وتصحو فينا ضمائرنا .

قيل عن القديس أرسانيوس الذى كان يشتهى البطيريك أن يأتى اليه ويأخذ منه بركة ، أرسانيوس هذا كان يبكى على خطاياها حتى تساقطت رموش عينيه . لقد كان ضمير أرسانيوس القديس يقظاً جداً حتى أنه كان يبكى بمرارة وبصوت مرتفع على خطاياها حتى أن تلميذه كان يسمعه ، ومرة قال له تلميذه لماذا تبكى يا سيدى ؟ قال له القديس أرسانيوس أبكى على خطاياى وجهالائى . فقال له تلميذه حتى أنت يا سيدى لك خطايا . فقال له الشيخ القديس صدقنى يا ابنى لو كشف الله خطاياى لما كان يكفى ثلاثة أو أربعة رجال ليبكوا عليها . إننا فى حاجة ماسة الى جلوسنا الى أنفسنا . وإلى يقظة ضمائرنا .

بعد أن رجع الى نفسه وقارن بين حالته التى آلى إليها وحالته التى كان عليها ، قرر الرجوع الى أبيه . وهكذا نحن علينا أن نفكر فى أنفسنا ثم نفكر فى الله والرجوع اليه . أقوم وأذهب الى أبى . قال الشاب أقوم الآن ، الآن وليس غداً أو بعد غد . الابن الضال

يقوم من نومه لا بل من موته : كان ميتا فعاش . استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح .

سئل يوماً أحد القديسين : متى أتوب يا سيدي ؟ عرف الشيخ نفسه ورغبته في حياة العالم ، فقال له اللعب الآن ، أعمل ما تشاء الآن ، ولكن في اليوم الذى يسبق مماتك تب . فابتهج الشاب ولكنه عاد يقول للقديس : ولكن يا سيدي لم تجربى بعد متى سأموت ؟ قال القديس ألا تعرف يوم مماتك ؟ قال لا . قال إذن تب اليوم . قال الوحي : « اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صباح الديك أم صباحا لئلا يأتي بغته فيجدهم نياما وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا » (مر ١٣ : ٣٣ — ٣٧) .

الى متى تنام أيها الكسلان ؟ متى تنهض من نومك ؟ إنها الآن ساعة لتستيقظ ؟ علينا أن نطلب رحمة الله حين نرجع اليه فيقبلنا . « يا أبى أخطأت في السماء وقد املك ولست مستحقاً أن أدعى لك إننا إجعلنى كأحد أجراك » (لو ١٥ : ١٨ — ١٩) . يا له من انسحاق عميق . يا له من اعتراف ذليل . ومنذ أن طرقت هذه الكلمات اسماع الأب الرحوم الشفوق الذى وقع على عنقه وقبله فرحا قبل أيضا توبته بعد اعترافه ، وكان هذا كافيا لرد اعتباره كأب في بيت الأب وكانت التوبة مع الاعتراف سر من الأسرار المقدسة التى يحصل بموجبها الإنسان الخاطيء على غفران خطاياه . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا ، ومن يكتم خطاياه لا ينجح . أليس هذا دليلا على ما ينبغي أن يفعله كل خاطيء ؟ أليس هذا تأكيدا لحقيقة الاعتراف بالكنيسة ؟ إن آدم عندما أخطأ خطيئة المعروفة لم يتركه الله بل مهد له طريق الاعتراف بخطئه وسأله : « هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣ : ١١) وهنا نستمع إلى أقوال القديسين أغريغوريوس وأوغسطينوس في هذا الشأن فيقولان : إن الله سأل الإنسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدم لهما سببا للاقرار بذنبيهما فينال الغفران باعترافيهما الذليل الوضع . ألم يقل السيد المسيح لتلاميذه : « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء » (مت ١٨ : ١٨) . نعم إن الاعتراف بالخطية أمام كاهن الله العلى قد يخللك أيها الخاطيء ، وقد تعتذر وتحتج بأن حيائك يمنعك من الاعتراف . ولكن هذا الاعتراف له نتائج خلاصية وهى :

١ — غفران الخطية (مز ٢٢ : ٥) ، (اش ٥٥ : ٧) ، (يو ٢٠ : ٢٣) ، (١ يو ٩ : ٩) .

- ٢ — محوها تماماً وعدم ذكر الله لها (اش ٤٤ : ٢٢) ، (خر ١٨ : ٢٢) .
- ٣ — خلاص النفس في يوم الرب والحصول على رجاء الحياة الأبدية في المسيح يسوع (لو ١٩ : ٩) ، (١ كو ٥ : ٥) .
- ٤ — التطهير من أذناسها والتبهر منها (مز ٥١ : ٢) ، (لو ١٨ : ١٤) .
- ٥ — النجاة من قصاصها المعد للمضمرين على آثامهم (مت ٣ : ٧ ، ١٠) ، (لو ١٣ : ٣ ، ١٩ : ٤٢ — ٤٤) .
- ٦ — المصالحة مع الله برينا يسوع المسيح الذي صالحنا بدمه ونقض السياج المتوسط أى العداوة (رو ٥ : ١) ، (أف ٢ : ١٤) ، (٢ كو ٥ : ١٥ — ٢١) .
- ٧ — الحصول على مرتبة البنوة التي يفقدها العصيان على أينا السموى (لو ١٥ : ١٨ — ٢٤) .

في اختصار نريد بنعمة الله ان نتقل بمحدثنا الى الأب .
ماذا كان موقف الأب مع الابن الضال ؟؟

١ — ترقب وانتظار :

واذا كان لم يزل بعيداً رآه أبوه . إن دل هذا على شيء فإنما يدل على ترقب الأب منذ اللحظة التي غادر فيها ابنه المنزل . لم يهدأ له بال ، ولم يقر له قرار ، ولم تغمض له عين طالما كان ابنه بعيداً عن احضانه .

٢ — استقبال حار :

تحنن .. ركض .. وقع على عنقه .. وقبله .
لو رجعنا الى الورا قليلا نرى مشهداً جميلاً .

نرى يعقوب الأب الشيخ يعانق يوسف المحبوب صاحب القميص الملون . « وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا » (تك ٤٦ : ٢٨ — ٢٩) . لقد أظلم العالم في عيني يعقوب حين سمع أن ابنه مات ، فلما سمع خير حياة يوسف تقول إحدى القصص أن ثوب يوسف طرح على عينيه فأبصر ، قال كفى يوسف ابني حتى بعد . أذهب وأراه قبل أن أموت ، ولما ظهر يعقوب لابنه « وقع على عنقه وبكى زمانا ... » (تك ٤٦ : ٢٩) . إنها دموع الفرح والبهجة بعودة الابن الضال يوسف . نفس المشهد ونفس الرواية .. إنها قصة الابن الضال في العهد الجديد : « رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله » (لو ١٥ : ٢٠) . حنان لا نظير له ... وقبله من الأعماق .

٣ - رد اعتبار :

« اخرجوا الحلقة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يده وحذاء في رجله ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فئاًكل وتفرح ، لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٢٢ - ٢٤) . إن الحلقة الأولى : يراد بها رد اعتبار رد النعمة والمحبة والحكمة السابقة للابن الضال . « فرحاً أفرح بالرب ، تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص كسائي رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ، ومثل عروس تتزين بحليها » (اش ٦١ : ١٠) .

حلة لم يدفع في ثمنها شيئاً . لأن يسوع وحده هو الذي دفع ثمنها . دفعه غالباً فوق عود الصليب » . « عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفتني بفضة أو ذهب بل بدم كريم كما هو من حمل بلا عيب » (١ بط ١ : ١٨ ، ١٩) . أما الخاتم : فإشارة الى العودة للبنوة المفقودة ، وقد ذكر لنا الوحي بأن فرعون حين وثق في يوسف وشهد له قائلاً : « هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله . نراه يخلع خاتمه من يده ويجعله في يد يوسف ويلبسه حلة ملوكية جميلة ، كل هذا دليل على رضا فرعون على يوسف وقبوله لديه » (تك ٤١ : ٣٨ - ٤٢) .

أما الحذاء : الذي أمر الأب بإلباسه للابن فيشير الى الطريق الجديد الصالح ، لذلك نسمع بولس الرسول يوصي المؤمنين قائلاً « فاثبتوا منطقين أحقاكم بالحق ولا تبسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد لإنجيل السلام » (أف ٦ : ١٤ - ١٥) .

وأما الذبيحة المسمنة : فإنما إشارة الى وليمة الخلاص التي قدمها حمل الله عن خطايها العالم . « وقدم ابن الله نفسه ذبيحة لكي كل من يأكل منه يحيا ولا يموت » (يو ٦ : ٥٤) .

فلنرجع الى الله عن طريق غوايتنا ، فهو يرقب رجوعنا وعودتنا ، وعندما نرجع اليه نرى القلب الكبير الرحيم يرحب بنا . ونسمع صوت الفرح والبهجة يعلن لنا افرحوا معي لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد .

نرى الابن الأكبر يعاتب أباه ها أنا أخدمك سنيناً .. أراد أن يوغر صدر أبيه ويذكره بما جناه الابن الأصغر . ولكن حنان الأب ورحمته غلبا هذه الأقوال فما أعظم محبة الله للثائب . إن الابن الأكبر يرمز لأمة اليهود . الشعب الحسود الذي حسد الأمم لما رجعوا ولم ينظر الى البركات الكثيرة التي نالها ولم يقدرها . « الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) . أما الابن الأصغر فيشير إلى جماعة الأمم غير اليهود . الذين كانوا بعيدين عن

رعوية الله وعن شركة النعمة ، ومع ذلك فقد قربهم الله إليه . وأدخلهم حجاله ومتعهم في بيته ، وتم في هذا المعنى قول الوحي عن السيد المسيح له المجد : « وأما الذين قبلوه فقد أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه » (يو ١٠ : ١٢) .

يا للبركات التي نلناها فلنحرص عليها ولا نبتعد عن أيينا مرة أخرى . الأب في سروره وفرحه يعلن لإبنه الأكبر ويكرر ما قاله للخدم « ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد » (لو ١٥ : ٣١) . فلنذكر أننا في حالة البعد عن الله نكون أمواتاً . « كنا أموات بالذنوب والخطايا » (أف ٢ : ١) . وعند عودتنا لبيت الأب نعيش ونحيا . والآن نكتفي بهذا القدر ، فماذا بقي لنا من كلام ؟ لا شيء سوى أن نرجع كما رجع الابن الضال ، وأن نتوب كما تاب ، وأن نودع أصدقاء السوء ، وأن نعترف بخطايانا ونتغير عن أشكالنا بتجديد أذهاننا لنختبر ما هي إرادة الله المرضية الكاملة .

الرب قادر أن يردنا إليه ، ويقرب البعيدين الذين يعيشون في كورة الحرية الفاسدة ليجددهم ويحررهم . « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٦) .

وله المجد الدائم من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الرابعة من الصوم الكبير

ليكن لك كما تريد

يا امرأة عظيم إيمانك (مت ١٥ : ٢٨) .

لم نسمع في هذا العصر ، ولا العصور السابقة ، إنساناً احتاج لأمر ما ، سواء كان مرضاً أصابه ، أو عوز ألم به ، ذهب الى شخص بشرى يثق فيه أنه لا يرجعه خائباً وطلب منه هذا الأمر فأجابته هذا الشخص قائلاً : ليكن لك ما تريد . ولماذا ؟ لأنه ليس صاحب السلطان المطلق على كل شيء كالله . ولكن إذا كان هذا الشخص حكيماً ماهراً فيصف له الدواء ولكن ليس في استطاعته الشفاء . وإذا كان رئيساً عظيماً وسألته لأجل حاجة ما ، يعمل كل ما في وسعه لما يوصلك الى ما تبتغيه من جهة حاجتك ، ولكن ليس في استطاعته أن يقول لك ليكن لك ما تريد .

وهكذا كل انسان تثق فيه أن عنده مرهما لجرحك ليس في استطاعته أن يقول لك ليكن لك كما تريد . لكن أتريد أن يكون لك كما تريد ؟ تعال الى يسوع صاحب العطايا الصالحة والمواهب الثمينة . الذى يهب لك ما تطلبه في أوانه إذ يقول : « اسألوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، أفرعوا يفتح لكم » (مت ٧ : ٧) . هو الذى يعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً (رؤ ٢١ : ٦) . ذهبت اليه امرأة كنعانية يقول عنها معلمنا مرقس الإنجيلي أنها أممية فينيقية سورية وطلبت منه أن يتكرم عليها بشفاء ابنتها لأن ابنتها كانت مجنونة جداً . وقالت له : « يا سيد أعنى ، ابنتى مجنونة جداً . فقال لها : « ليكن لك كما تريد . فشفيت ابنتها من تلك الساعة (مت ١٥ : ٢٨) . ولماذا أجاب يسوع هذه المرأة بهذا الجواب في الحال الذى هو كل ماتبتغيه منه له المجد ؟ مع العلم بأنه كثيراً ما نطلب منه تعالى طلبات لا تعطى لنا في الحال كما أعطيت ونالت هذه المرأة ؟ الجواب على ذلك هو للأمر الآتي :

أولاً — شعورها بأن يسوع هذا هو الله :

لأنها لما أتت إليه قالت له أعنى يا سيد . وهذه كلمة لا تقال إلا للخالق العظيم ، لأنه هو المعين وحده وهو الذى « به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) لأنها رأت أن كل الذين يصابون بأمراض مختلفة يأتون إليه فيشفون وجميع الأمراض العذالة التى عجزت الأطباء عن شفاها زالت بقوته فأنت اليه صارخة بصوت عظيم « يا سيد أعنى . فقال لها

ليكن لك ما تريد . مع ملاحظة أن هذه المرأة لابد أن تكون قد ذهبت إلى أطباء بابنتها فلم تفدها شيئا ، ولكنها لما رأت يسوع يقول كلمة للمريض فيشفى تركت أطباء العالم طارحة لإياهم خلف ظهرها وأتت إليه جاثية لتقبتها أنه هو الخالق العظيم وأنه بيده الحل والربط طالبة شفاء ابنتها . فبناء على هذه الثقة أجابها يسوع قائلا : ليكن لك ما تريد . فاذا وثقت في يسوع أنه هو الذى تجثو له كل ركبة بما فى السماء وعلى الأرض وبما تحت الأرض ، وإن يده أسست الأرض ، ويمينه نشرت السموات ، هو يدعوهم فيقفن معاً ، وهو أن لم يبنى البيت فباطل تعب البنائين . وأن الرجاء بالرب أفضل من الرؤساء فلا تضع ثقلك فى أحد من الناس مهما بلغت درجته ، فكل ما تطلبه باسمه يجيبك فى الحال ليكن لك ما تريد .

ثانياً — لأجل تواضعها :

قال التلاميذ ليسوع : اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فقال الرب . ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويعطى للكلاب فقالت : نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . فلم تقل كيف يدعوني كلبه ، وأنا نسي وحسى وأصلى وفرعى وعظمتى وجامى معروفة كما يفتخر أهل العالم بل قالت : نعم يا سيد أنا كذلك . فلأجل تواضعها هذا أعطاها الرب سؤال قلبها بقوله لها : « ليكن لك كما تريد » (مت ١٥ : ٢٨) . فالتواضع هو الذى يرفع الإنسان ويجعل الله يعطيه سؤل قلبه .

قال الكتاب المقدس : « يقاوم الله المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة » (١بط ٥ : ٥) . « تواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم فى حينه » (١بط ٥ : ٦) . فاذا أردت ان تستجاب طلباتك ، اطلب بتواضع ، بانسحاق قلب ، لأن الله يستجيب للمتواضعين .

يخبرنا القديس لوقا فى بشارته (الأصحاح الثامن عشر والآية ٩) أن السيد المسيح له المجد نظر الى قوم واقفين فى أنفسهم أنهم أعظم الناس جاها ومقاما وتقوى فضرب لهم هذا المثل قائلا : « إنسان صعدا الى الهيكل ليصليا ، واحد فريسى والآخر عشار ، أما الفريسي فوقف يصلى هكذا : اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما اقتنيه وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع وجهه الى فوق نحو السماء بل قرع على صدره قائلا : اللهم ارحمنى أنا الخاطيء . أقول لكم أن هذا نزل الى بيته مبرراً دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (لو ١٨ : ٩ — ١٤) . أفتريد أن يكون لك كل ما

تطلبه من يسوع بواسطة صلواتك من أجل احتياجاتك الجسدية والروحية ؟ أطلب متواضعاً حاسباً نفسك أنك كلا شيء وأنت كالبخار الذى يظهر قليلاً ثم يضمحل . ففى الحال تسمع الصوت الإلهى من السماء قائلاً لك : ليكن لك كما تريد .

« قال الله العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه . فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ، ومع المنسحق والمتواضع الروح ، لأحى روح المتواضعين ولأحى قلب المنسحقين » (اش ٥٧ : ١٥) .

ثالثاً — لأجل عظم إيمانها والثقة التامة فى يسوع أنه يستجيب لطلبها :

فعلاً لما نظر له المجد أن هذه المرأة لها الإيمان العظيم فى شخصه أنه يسمع لها ويشفى ابنتها حسب سؤل قلبها ، ناداهما « يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدن : فشفيت ابنتها فى الحال » (مت ١٥ : ٢٨) . وهذا ما يعلمنا إياه تبارك اسمه ، وهو أن جميع ما نطلبه باسمه بإيمان ناله . وذلك بقوله : « وكل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تتألمونه » (مت ٢١ : ٢٢) . فيا أيها المسيحى ، يجب أن تكون طلباتك بإيمان لدى الله ، لكى يعطيك ما تطلبه ، لأنه بدون إيمان لا تكون استجابة . وعليه فأطلب بإيمان غير مرتاب البتة ، لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تحبطه الريح وتدفعه ، « فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب » (يع ١ : ٧) .

« الإيمان هو الثقة بما يرحى والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) فلنتقدم دائماً بثقة الى عرش النعمة ، لكى ننال رحمته ، « ونجد عوناً فى حينه » (عب ٤ — ١٦) .

رابعاً — لأن طلبات هذه المرأة كانت طبق إرادة الله :

لم تطلب هذه المرأة الانتقام من أعدائها ، ولا الشر لجيرانها وأصدقائها ولا أن تكون غنية ذات ثروة كبيرة دون غيرها ، ولا أن يكون لها النسب والحسب العالمى ، بل طلبت شفاء ابنتها ، وهذا طلب يسر به الله لذلك لم يؤخر عن ابنتها الشفاء ، بل تبارك اسمه قال لها ليكن لك كما تريدن . ففى الحال نالت ابنتها الشفاء التام .

قال الكتاب المقدس : « وهذه الثقة التى لنا عنده ، أى عند الله ، أنه ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) . فأجعل كل طلباتك تكون حسب قصد الله ومشيئته لا حسب أهوائك الجسدية ، فتسمع صوت الله العزيز من السماء الذى يفرح قلبك بقوله : ليكن لك ما تريد .

ترآى الله لسليمان الحكيم وقال له : إسأل ماذا أعطيك فلم يطلب سليمان من الله

أياماً كثيرة ولا غنى ولا أنفس أعدائه ، بل طلب الحكمة . نظر سليمان الى نفسه ، فوجد أنه في مركز عظيم ، وهو يحكم على ألوف من النفوس وهو يملك على شعب أعظم من كل شعوب الأرض ، وإن عليه مسئولية عظيمة أمام الله نحوه .. أى نحو هذا الشعب . في حين أنه فتى صغير . فقال سليمان لله : « إنك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة ، وملكنتى مكانه ، فالآن أيها الرب الإله سيثبت كلامك مع داود أبى ، لأنك قد ملكنتى على شعب كثير كتراب الأرض ، فأعطينى الآن حكمة ومعرفة لآخِرج أمام هذا الشعب وأدخل ، إذ من ذا الذى يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم ؟ » (٢أى ١ : ٨ — ٢٠) . فرأى الله أن كل ما طلبه سليمان هو حسب قصده ومشيئته لأن سليمان لم يطلب الحكمة لينفقها في شهواته وملذاته العالية ، كلا ، بل لكى يعرف أن يدبر بها شؤون هذا الشعب العظيم ، ويميز ما هو خير وما هو شر في وسطه ، ويعطى كل واحد حقوقه لكى لا يقع تحت دينونة . لذلك أعطاه الله كل سؤل قلبه وأعطاه « غنى وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبله ولا للذين بعده » (٢أى ١ : ١٢) . وهكذا ما يعملهُ الله من-نَحُونَا في استجابة طلباتنا متى رآها أنها حسب قصده تعالى . ففى الحال يتنازل ويعطينا ما طلبناه منه ، لأنه هو قَرِيب لمن يسأله ، وهو مستعد أن يعطى كل واحد حسب سؤل قلبه من غنى مجده ، « لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به ، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٢ — ١٣) وهو « الذى لم يشفق على ابنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (رو ٨ : ٣٢) .

فأنظر أيها المسيحى الى هذه المرأة ، لما وجد يسوع له المجد هذه الشروط التى ذكرناها آنفاً متوفرة فيها أعطاهها سؤلها . فكلم بالخرى نحن المسيحيين المؤمنين باسمه . اذا وجد الله هذه الشروط فينا ؟ أفلا يتنازل جل جلاله ويعطينا ما نحتاج اليه في هذا العالم ؟ فالله يساعدنا جميعاً حتى نقوم باتمام هذه الشروط الأربعة لكى في جميع ضيقاتنا وأحزاننا وشدائدنا وتجاربنا يكون الله معنا ، إذ يقول :

وتطلبوننى فتجدوننى اذ تطلبوننى من كل قلوبكم . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل. عشية الأحد الرابع من الصوم الكبير المسيح والطبيعة

« تأملوا الزنايق كيف تنمو . لا تثعب ولا تفزل » (لوقا ١٧: ١٢) .

ألقى الرب يسوع موعظة الجبل ، وفيها وضع أسس الدستور للعهد الجديد . وقد ضمنها التعاليم والمبادئ الذى جاء من السماء — كالمعلم الأعظم — لينشرها بين الناس .

وفى هذه الموعظة تكلم يسوع عن أهم الأسس والمبادئ لعلاقة الإنسان مع الله ثم لعلاقة الإنسان مع الإنسان . وفى حديثه عن علاقة الإنسان مع الله لمس نواحي عديدة كان من بينها ناحية الاعتماد عليه فى مطالب الحياة . وفى هذا الحديث رأينا ناحية خاصة تتجلى فى حياة يسوع ، وتلك هى ناحية تقديره للطبيعة ونظرفته الخاصة إليها . فقد تكلم يسوع عن زنايق الحقل وعصافير السماء كلاماً كان ينبىء عن أشياء كثيرة ، وجدير بنا أن ندرس هذه الناحية فى حياة يسوع .. يسوع والطبيعة .

وأول ما يستلفت أنظارنا هو أن يسوع قد تحدث عن الطبيعة حديثاً يشف عن تقديره لجمالها وتأثره بهذا الجمال . وقد ظهر هذا التقدير فى قوله عن زنايق الحقل : « أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها » (لوقا ١٢: ٢٧) كم منا يمرون على الزنايق وينظرون إليها دون أن يحدث منظرها فى نفوسهم أى تأثير ؟ أما يسوع فقد أثبت فى حديثه هذا أنه أعجب بجماله وقدر ما أودعه فيها من روعه وبهاء .

وفى حياة يسوع نرى صورة بارزة لشغفه بالطبيعة وسعيه إليها ، يطلب راحته فيها ، فمعظم حياته كانت فى الجبال والبحر والبستان وبين الزروع . ومن شدة شغفه بالطبيعة اتخذ منها منيره يلتقى منها مواعظه — فتاره كان يجلس على الجبل ويتكلم ، وموعظته الشهيرة كانت موعظة الجبل ، ومرة أخرى يدخل السفينة فى البحر ، ومنها يلتقى حديثه على الناس ، كما حدث عندما دخل سفينة بطرس ، وسأله أن يعبد قليلاً عن البر ، ثم جلس ، وصار يعلم الجموع فى السفينة .

وهناك كلمة قلت تبين لنا بوضوح كيف اعتبر يسوع الطبيعة بيته الذى يخلد إليه وفيه يستريح ، وتلك هى « ومضى كل واحد إلى بيته ، أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون » ، ومعلمنا لوقا الإنجيلي يقول لنا عنه إنه « كان في النهار يعلم في الهيكل وفي الليل يخرج ويبيت في الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون » (لوقا ٢١: ٣٧) وخطوات يسوع الروحية كان يقضيها كلها في الطبيعة .. فقبل عماره ، وقبل أن يضطلع بمهام رسالته ، مضى إلى البرية حيث بقى أربعين يوماً صائماً مصلياً . ولما أزمع على اختيار تلاميذه « خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليل كله في الصلاة » . وفي وقت آلامه لم يجد إلا جشيمانى في جبل الزيتون مكاناً يختلئ فيه مع أبيه ، يصلى إليه فيه ويناجيه .

تلك كانت حياة يسوع . إنها كانت الحياة التى تجد راحتها في الطبيعة ، في الطبيعة تبدأ وتستريح ، وتستخدمها كأمثال وحكم تقرب بها مفاهيم الملكوت ومحبة الله ورعايته إلى الناس في حديث للذيد مؤثر ومرح .

ولقد عنى يسوع بترويض تلاميذه في هذه الناحية ليرى فيهم الاحساس بجمال الطبيعة والتوجه إليها . فكان كثيراً ما يصحبهم إلى الجبال والبراى للاستجمام والراحة .

وفي حياة المسبحين الحقيقيين تظهر هذه الناحية ، واضحة جليلة . إن الناس يهتمون حياة التقوى بأنها الحياة الجامدة التى لا تحس بجمال في الحياة .. حتى جمال الطبيعة . والحقيقة هى على النقيض من ذلك . فبقدر ما يتعمق الإنسان في حياته المسيحية بقدر ما تصفو روحه وتتسامى ، تتنه فيه حساسيته بالجمال الذى أودعه الله في الطبيعة ، والجمال الذى أضفاه عليها ، والمسيحيون الحقيقيون هم الذين يحسون بهذا الجمال ويقدرونه ، ويعرفون كيف يتمتعون به ويجدون سرورهم فيه .

وعلى العكس ، أولئك الذين يعيشون في الجسد .. هم الذين تتحدر بهم شهواتهم إلى أسفل ويفقدون حساسيتهم بجمال الطبيعة النقية الطاهرة ، فلا يطلبون سرورهم منها ، ولكنهم يسعون إلى التناييع الملوثة القدرة .

والذى يحتاجه الناس هو أن تفتح عيونهم ليتأملوا الطبيعة البريقة فيتبين ما فيها من جمال صنعته يد الخالق بحكمة فائقة ، يرونه في زنايق الحقل وأمواج البحار وتمايل الأشجار ، وسحب السماء والوديان والتلال والجبال . فقلوبى لمن أدرك ما في الطبيعة البريقة الطاهرة من جمال وراح يطلب سروره منها لا من الغرور الباطل والوهم والخيال .

إن أول ما نراه في حديث يسوع عن الطبيعة هو حديثه عن جمالها والبهاء الفائق الذي أضفاه عليها .

ثم تحدث يسوع عن نور الطبيعة وأثره في معرفة الله وإدراك محبته ففي حديثه عن زنايق الحقل « إن سليمان في كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها » قد أعلن لنا أشياء كثيرة عن الله .

وكان أول ما أعلنه هو وجود الله .. إن يسوع في كلامه عن جمال الزنقة قد أعلن علامة المقصد في الخلق : أن هناك عقلاً مفكراً قد أبدع هذا الجمال الذي فاق في بهائه حُلل سليمان في كل مجده . ومن يكون هذا العقل المفكر غير الله القوي في قدرته والعظيم في فهمه وحكمته ؟

وعلامة المقصد ظاهرة في خلقه الله بأسرها وفي كل ناحية من نواحيها .. في الطبيعة الصامتة ، وفي الكائنات الحية الناطقة وغير الناطقة ، في عالم النبات وفي عالم الحيوان وفي الإنسان ، في جميع الكائنات نرى أن كل شيء قد صُنِعَ بقصد ولغاية ، وكل ذلك في حكمة بالغة النهاية تنبئ عن وجود صانع حكيم قوي قادر .

وفي القديم هتف المزمع قائلاً : « ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت . ملائكة الأرض من غناك » (مز ١٠٤: ٢٤) وفي هذه الأعمال العظيمة المجيدة رأى كتاباً مفتوحاً يُخبر بوجود الله فقال : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه » (مز ١٩: ١) .

لقد أعلن يسوع في حديثه هذا عن وجود الله ، ثم تحدث في الوقت ذاته عن الله كقوة فائقة القدرة .. فكيف صانع كان يعمل في حُلل سليمان ؟ وكيف من الوقت كان يضيع في إعداد كل واحدة منها ؟ ولكن زنايق الحقل أكثر جمالاً من حُلل سليمان التي تزدان بها الحقول في كل مكان ، هذه الزنايق تتكون بمجرد الكلمة الأمرة دون يد تعمل ولا وقت يذل .

وفي هذه نرى الله في قدرته الفائقة ، وهذا الذي نراه في زنايق الحقل هو بعينه الذي نراه في عمل من صنع الله . لا ، بل نلمسه في تصرفات الله التي يُجريها معنا في حياتنا اليومية .

وفي القديم ظهر الله لإبراهيم وقال له : « أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً » (تك ١٧: ١) وهكذا عرفه جميع الآباء « كالإله القادر على كل شيء » ، وفي هذه المعرفة وجدوا سلام نفوسهم وطمأنينة قلوبهم .

الفنان الأعظم

إن يسوع في حديثه عن الزينة قد أعلن وجود الله وأعلن قدرته الفائقة ، ثم أعلن الله لنا ، كالفنان الأعظم ، أنه يصنع كل شيء جميلاً ، حتى عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور يخلع عليه من جمال صنعه ما فاق سليمان في كل مجده .
إن الكتاب يُقرر أن الله عندما أبدع خلقته كان يرى ما صنعه فإذا هو حسنٌ وجميل . وحينما استعرض خلقته بأسرها عندما فرغ من صنعها رأى كل ما عمله فإذا هو حسنٌ جداً .

ومن يستطيع أن يجهل ما في الطبيعة من روعة وجمال .. في الأنهار والبحار .. في النباتات والأشجار .. في الشمس المشرقة والقمر المضيء والكواكب المتناثرة .. في الوديان المنبسطة وفي الجبال العالية ؟! لقد كان جمال الطبيعة موضع تأمل القديسين لأنهم كانوا يرون فيه جمال الله كما يرون فيه عظمة فنه ودقة صنعه ، وفي هذا يقول المزمع : « بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز ١٤٣: ٥) .

الله في عنايته

وفي حديث يسوع عن الزينة تكلم عن الله في وجوده وفي قدرته وفي عظمة فنه .. وأخيراً تكلم لنا عن الله في عنايته « فإذا كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً في التنور يلبسه الله هكذا ، فكيف بالحرى جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان .. فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس لأن أبائكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » . وفي هذا الحديث مس يسوع ناحية من أدق نواحي الحياة وهي ناحية الخطر الذى يصيب الإنسان من الاهتمام والقلق ، فقلق الفكر كما يفسد إيماننا ويشوش على حياتنا الروحية فإنه كثيراً ما يصيبنا في صحتنا . ونفسياتنا بأضرار بالغة تعكر علينا صفو حياتنا ، وأحياناً تقضى علينا ، وقد أثبت التجارب أن القلب هو أعدى أعداء الإنسان وأشدّهم خطراً .

ويسوع في حديثه عن الزينة إنما أراد أن يعلن لنا عناية الله الكاملة بنا ، والتي فيها ما يكفى لطمأنيتنا وإبعاد القلق عن نفوسنا .

لقد وعد الله شعبه منذ القديم قائلاً على لسان موسى النبي : « والرب سائر أمامك هو يكون معك لا يهملك ولا يتركك » (تث ٣١: ٨) . وداود يتحدث قائلاً :

« كنت فتى وقد شخت ولم أرَ صديقاً تخلّى عنه ولا ذرية له تلتبس خبزاً » (مز: ٣٧: ٢٥) ولهذا يقول أيضاً : « اتقوا الرب يا قديسيه لأنه ليس عوز لمتقيه . الأشبال احتاجت وجاعت أما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير » (مز: ٣٤: ٩ ، ١٠) ، هكذا يقول بولس الرسول أيضاً : « كونوا مكتفين بما عندكم ، لأنه قال لا أهملك ولا أتركك » (عب: ١٣: ٥) .

لقد تحدث يسوع عن الطبيعة في جمالها ثم عن الطبيعة في رسالتها عن الله ، وأخيراً يتحدث عن نصحه للإنسان ليفيد من الطبيعة في جمالها ورسالتها . وهذا النصيح قد أودعه في هذه الكلمات « تأملوا زنايق الحقل » ، فهو يريدنا أولاً أن نستمتع بجمالها .. قال الرسول بولس إن الله « يمنحنا كل شيء للتمتع » . وفي خطابه في لسترة قال متحدثاً عن الله : « وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مشمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً » (أع: ١٤: ١٧) .

وخلاصة القول أن الله قد وفر لنا في الطبيعة كل ما يلزم لسرورنا وأنه يمنحنا هذه الناحية كل شيء بغنى لتتمتع به وننعم بجماله .

وهنا يوجهنا يسوع ربنا إلى ضرورة الاستفادة مما قد أعدّه لنا إلهنا من الطبيعة الجميلة .. إنه يدعونا أن نتأمل فيها ونستمتع بجمالها . ويسوع يرى بهذا إلى أكثر من غرض واحد .. فهو في الوقت الذي فيه يريد أن يوفر لنا سرور الحياة وبهجتها يريد أيضاً أن يوجهنا إلى الطريق السليم للاستمتاع بالحياة ويدرأ عنا شر الانحراف إلى السبل الخاطئة التي نطلب سرورنا منها ، فحجر علينا متاعب ونكبات تؤذيها في حياتنا الروحية ، كما تقضي على سلامنا وهنائنا .

إن في الطبيعة البريقة ما يكفي لاستمتاعنا وسرورنا . وليس غدر لإنسان يطلب سروره من غيرها . والحكيم هو الذي يقصر مسرته على الطبيعة وجمالها ، مبتعداً عن ضروب اللهو الباطل ليجنب نفسه نتائجها المريرة التي يقاسمها كل من سار وراء أحلامها الخادعة الزائلة الفاشلة .

إن يسوع عندما قال : « تأملوا زنايق الحقل » أرادنا أولاً أن نستمتع بجمالها ، ثم أراد أن نستوحيا ونأخذ ما نستطيع أن نستخلصه من الدروس النافعة منها . إنه يريدنا أن نتأملها لتكشف لنا عن الله في قدرته وجمال فنه ودقة صنعه ، ثم في عنايته بخليقته . وما أشد حاجة المؤمنين إلى ساعات هادئة يقضونها في الطبيعة البريقة ، يقرأون على

صفحاتها معاني الحب الإلهي للإنسان ودلائل عنايته الفائقة بخليقته ، فينشدون مع المرنم قائلين : إذ أرى سمواتك عمل أصابعك ... القمر والنجوم التي كونتها ... أहतف متسائلاً ... من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده ؟ (مز ٨: ٣، ٤) .

ثم ما أشد حاجة المؤمنين في ساعات الشك والضيق أن يستوحوا الطبيعة لتحذتهم عن عناية الله الفائقة ، فتدخل الطمأنينة إلى نفوسهم وتسكن ما فيها من خوف وهلع وتقبحا شر الاضطراب والفرع .

هكذا كان رجال الله القديسون يفعلون ، فإنهم كانوا يقدسون أوقاتاً هادئة للتأمل في الطبيعة البريقة ، يستمتعون بما أودعه الله من جمال فيها ويطلبون سرورهم منها ، ثم يستوحونها ليتلقوا دروساً ثمينة في الحياة على صفحاتها .

فالمرنم يهتف قديماً قائلاً : « لهجت بكل أعمالك ، بصنائع يديك أنا أتأمل » (مز ١٤٣: ٥) وقيل عن إسحق إنه « خرج عند إقبال المساء في الحقل ليتأمل » (تك ٢٤: ٦٣) .

فإلى الطبيعة الهادئة البريقة .. فتأملها لنستمتع بجمالها وروعها ثم لتستوحيا ونفيد من رسالتها .

ولربنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قدامس الأحد الرابع من الصوم الكبير

السامرية

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

كنا فى الأحد الماضى نتكلم عن مثل فى رجوع الخاطيء ، واليوم نحن أمام نفس خاطئة ترجع . رجعت رجوعاً حقيقياً وكانت سبب بركة . نحن اليوم أمام حقيقة لا مثل . نرى ابن الله كم يتعب من أجل الخطاة ، كان متعباً من السفر وكان ظمآنًا وجوعاناً .. ومع هذا كل كانت محاولة طويلة . انتهت برحمته تلك النفس الخاطئة . طلب منها ماء ليشرب ولم ترد أن تعطيه بحجة العداوة القديمة التقليدية بين اليهود والسامريين . فكان اليهودى يتنجس إذا لمس سامرياً ولا يمر يهودى فى سفره بالسامرة إلا إذا كان مضطراً ، حتى صار اسم السامرى عاراً ومرادفاً لكلمة شيطان . قال اليهود عن المسيح : « إنه سامرى وبه شيطان » (يو ٨ : ٤٨) .

وقد صمم يسوع على المرور بالسامرة لينزع هذه الروح الخبيثة من قلوب تلاميذه ، وليفتح الباب لقبول الغرباء عن اسرائيل . لأنه جاء ليخلص الجميع ، والنفس ثمينة لديه بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو أى أمر آخر . أطال أناته عليها حتى طلبت هى منه ماء الحياة . أعطاهما من ماء الحياة فتركت جرتها ونسيت ماء البئر . ارتوت وجرت من بطنها أنهار ماء حى . أروت مدينتها وكانت واسطة خير فرأى كثيرون من أهل مدينتها الرب يسوع المسيح ، من رآه لا يحتاج لسامرة تشرح له عنه . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم » (يو ٤ : ٤٢) . فاغلظت الجواب للسيد : كيف تطلب منى ماء لتشرب .. وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية واليهود لا يعاملون السامريين . وهنمة الله وإرشاده تتأمل فى :

أولاً — السيد المسيح والمرأة السامرية :

أ — مواعيد مربية :

جلس يسوع المسيح على البئر متعباً . الساعة السادسة يعنى (الساعة الثانية عشر ظهراً) . وفى تلك الساعة جاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء .

هل كان مجيء المرأة على سبيل الصدقة ؟

لو تقدمت فى الصباح أو تأخرت الى المساء ماذا كان جرى ؟

إنها لم تأت على سبيل الصدفة أبداً . ولو تأخرت أو تقدمت لضاعت منها تلك الفرصة الذهبية . إنها لم تكن تعلم أن الله رتب هذه المواعيد ، ولكنها لابد علمت بعد أن آمنت أن كل خطوة يخطوها الإنسان هي بترتيب من الله الذى عين أزمنة كل شيء . رتب السيد المسيح له المجد أن تخرج المرأة فى تلك الساعة لتنال بركة الخلاص ولكي تكون سبب بركة لكثيرين .

ب - السامرية تجهل يسوع :

جهلته ورفضت أن تعطيه ليشرب وظنته يهودياً عدواً ولم تعرف أنه رب اليهود والسامريين بل هو السامرى الصالح الذى نزل من عرش مجده ليعالج المرضى بالخطايا ويشفى جراحاتهم . رفضت أن تعطيه ماء واستغربت كيف يطلب منها ماء وهو يهودى ، وهي سامرية . ثم نسمع يسوع يتحدثها عن الماء الحى فيقول لها : « لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطنى لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً » . (يو ٤ : ١٠) . ثم نسمع رد الغباء فتقول : « يا سيد لا دلو لك والبر عميقة فمن أين لك الماء الحى . أأعطاك أعظم من أينما يعقوب الذى أعطانا البئر ؟ » (يو ٤ : ١١ - ١٢) .

آن للسامرية أن تدبش من كلام السيد المسيح الذى يطلب منها جرعة ماء ليطفىء ظمأه وفى نفس الوقت يدعى أن لديه ماء حيا يعطيه لإياها إذا ما طلبت . وحقا أن العالم يدبش من يسوع وديانته . فهي ديانة قوة ومظهرها الضعف . ديانة غنى لا يستقصى فى مظهر من الفقر . ديانة تعزية عميقة مع أوجاع وأحزان . كما يقول بولس الرسول : « بمجد وهوان ، بصيت ردىء وصيت حسن ، كمضلين ونحن صادقون ، كمجهولين ونحن معروفون ، ككاثنين ونحن أحياء ، كمؤدين ونحن غير مقتولين ، كحزائى ونحن دائماً فرحون ، كفقراء ونحن نفنى كثيرين » (٢ كو ٨ : ٦ - ١٠) .

وفى كثير من ظروفنا واحواننا يظهر المسيح أمامنا كأن لا دلو له والبر عميقة ولكن سرعان ما يغمرنا بمراحمه وعطفه فيقوم ويتنهر البحر والريخ فيحدث هدوء عظيم . لقد صدق الله يوم قال : « هلك شعبى من عدم المعرفة » (هو ٤ : ٦) . وأيضاً قول الرسول : « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢ : ٨) . وجهلها وغياؤها ولد فى نفسها التعصب المقيت . اسمعوها تقول للمسيح : كيف تطلب منى ماء لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية لأن اليهود لا يعاملون السامريين . وقد استرسلت فى أسلوب تعصبها فقالت . أبأؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . حل لها يسوع المشكل بأنه ستأتى ساعة لا يكون السجود فى هذا الجبل ولا فى أورشليم

« لأن الله روح والذين يسجلون لله فبالروح والحق ينبغي أن يسجلوا » (يو ٤ : ٢٤) .

وشعب السامرة مزيج من الوثنيين واليهود ، ولهذا تأصلت العداوة حتى رفض اليهود إشراك السامريين في ترميم الهيكل بعد الرجوع من السبي ، وانتقم السامريون من اليهود بتدنيس الهيكل بعظام الموتى ، فزاد الحقد بين الشعبين ، واختار السامريون قمة جبل جرزيم لتقديم العبادة لأنها أقدم من الهيكل وأقدس منه في نظرهم لاعتقادهم أن ابراهيم قدم اسحق ابنه على قمة هذا الجبل . والسامريون يرفضون كل الكتاب ما عدا الأسفار الخمسة الأولى لموسى النبي .

إن المسيح لم يتمشى مع السامرية في أسلوب تعصبا ، بل انتقل الى إيجابية النقاش فقال : « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا لا يعطش الى الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٢ — ١٤) .

وهنا نرى ماء تعطيه يثر يعقوب وماء آخر يعطيه يثر يسوع . ان يثر يعقوب مأوها يشفى غلة تعود مرة أخرى . أما الماء الحى الذى يمنحه يسوع لطلابه فيطفىء ظمأ الروح التى لا تنفى وهى تعطى راحة داخلية .

كان هذا الماء الحى يعطيه يسوع للمرأة وتشرب وهى لا تشعر بطعم هذا الماء . والماء الحى لا يحتاج الى حاسة الذوق لتستطعمه . بل هو ماء الروح القدس ينبع فى قلوب المؤمنين حتى يفيض على الآخرين . ماء ينسى صاحبه ماء الدنيا المالح فينسى من ارتوى بالنعمة . مال الدنيا ومجد العالم . ويذكر يسوع وحده . ولما ارتوت المرأة قالت أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء . « قال لها يسوع الذى يكلمك هو » (يو ٤ : ٢٦) . أخبرها بكل شيء . ومن غيره يخبر بكل شيء ؟ لذلك تركت جرتها ومضت الى المدينة تروى أهلها بما ارتوت وتدعوهم إلى من قال لها كل ما فعلت ... إنه المسيح . إذ تركت المرأة جرتها ما أعظم التضحية فى سبيل المسيح .

ثانياً — سوخار تعرف المسيح :

كانت المرأة تجهل المسيح ، ولكنها بعد ان عرفت عرفت الناس به . وبعد أن أتوا ورأوه طلبوا منه أن يمكث فى سوخار ، فمكث يومين . وبعد اليومين قال : من آمن به للمرأة السامرية . لسنأ بعد بسبب كلامك تؤمن . لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح غلص العالم .

لا شك ان المؤمنين من أهل سوخار مدينون للمرأة السامرية بدين كبير والمرأة يشهد عنها الكتاب أنها كانت السبب في إيمان كثيرين . « فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت » (يو ٤ : ٣٩) . إن المرأة التي أفسدت مدينة السامرة كانت هي السبب في تقديسها . المرأة التي كانت رسول الشيطان في السامرة أصبحت رسول المسيح في نفس المدينة وبسببها آمن به كثيرون .
إن الله يدعونا جميعاً الى الكرازة به .

لقد أمر السيد المسيح بصراحة فقال : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) . ويأمر الرسول بولس تلميذه تيموثاوس : « اكرز بالكلمة ، أعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب » (٢ تي ٤ : ٢) . فالوعظ ضروري ، كيف يسمعون بلا كرز . والرب أمر تلاميذه أن يعلموا ويتلمذوا جميع الأمم ، وأن يكرزوا بالتوبة . وبولس الرسول كان دائماً بحث على التعليم والوعظ . « أعكف على القراءة والوعظ والتعليم . لأنك اذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١ تي ٤ : ١٣) ، (١٦) . عظ ، وبخ ، انتهر في وقت مناسب وغير مناسب . والرسول يقول عن نفسه ويلّ لي إن كنت لا أبشر . ولكن لماذا نرى الخدمة في هذه الأيام قليلة الفائدة . لأن المبشر يريد أن يظهر على حساب المسيح . لا يريد أن يعرف الناس بالمسيح ولكنه يريد أن يعرف الناس اقتداره في الخطابة والوعظ ، وأصبح الوعظ خطابة من واعظ سواء ارتوى أو لم يرتو ، شرب هو من الماء الحى أو لم يشرب .

إن المرأة كان كل همها أن تجعل الناس يأتون إلى يسوع ، وما دامت النفس وقفت أمام يسوع فما حاجتها بالمرأة . « لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن » (يو ٤ : ٤٢) . انها أول امرأة ارسلت رسول بين الأمم . ان كل التلاميذ الى تلك الساعة لم يتعدوا اورشليم أما هي فقد تعدت اورشليم وبشرت في مجموعها الخمس قارات ما عدا اورشليم .

با لفخر المرأة في مريم أم الله وفي السامرية أم المؤمنين . يا لفخر المرأة اذ عرفت كيف تستخدم مواهبها انها قلبت مدينة برمتها في أربعة وعشرين ساعة انها قالت لأهل وطنها هلموا انظروا إنسانا قال لي كل ما فعلت . خرجت كل المدينة شيوخاً وكهولاً اطفالاً وشباناً نساء وعذارى سيدات محطعات الجسم وناقهاات الصحة . المدينة برمتها بفضل تأثر المرأة .

أيها الأحياء ان القوة ليست فيها ولكن القوة في الذى آمنت به . ان الاتصال حصل بين الله والإنسان خذوا رجلاً مكهراً روحياً وألقوه في المدينة بعد أيام قليلة تتحول المدينة . قال

ملك الهنود لتوما الرسول : كم مسيحياً عندك فقال له قل كم وثنياً بقى .

ثالثاً — المعلم والتلاميذ :

كل هذا .. وكل المناقشة التى كانت بين الرب والمرأة والتلاميذ فى المدينة يتعاون طعاما . لم يرتض المسيح الحكيم العظيم أن يشهر بالمرأة السامرية أمام أحد ، بل عندما أراد أن يكشف حياتها وأسراها صرف تلاميذه ليحضروا طعاما ، مع أنه لم يكن فى حاجة إليه بدليل أنه لم يشأ أن يأكل حيناً أحضروا الطعام لديه . ثم أتوا واستغفروا أنه كان يتكلم مع امرأة . كانت المرأة لا قيمة لها عند اليهود ، كان اليهودى يفضل أن تحرق الشريعة ولا تمسحها يد امرأة ولم يرفع أحد من قدر المرأة إلا يسوع . طلبوا من السيد أن يأكل ... ولعله لم يشرب أيضاً .. لأن المرأة تركت الجرة ومضت . كان رد السيد : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتم عمله » (يو ٤ : ٣٤) .

إن رسالته هى أن يرد الضالين ويشر المساكين ، ويرسل المأسورين الى الحرية . لكم كان شيع نفسه حين ملأ شبكة الملكوت بصيد عظيم وبأ له من صيد دسم . المرأة السامرية وكل أهل مدينتها .

رابعاً — ان الحصاد كثير :

وهذا ما يجب على كل خدام للمسيح عليه أن يدعو الناس ليختبروا المسيح بأنفسهم .. تعال وأنظر . إن قوة الكرازة هى فى الشهادة الاختبارية كما قال داود النبى : « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب . وكما قال يسوع لتلاميذه أن يكونوا شهوداً له الى أقصى الأرض . يجب على كل خدام الانجيل أن يدرسوا بكل تمنع هذه التعاليم . ويطلبوا من رب الحصاد أن يهبنا قوة ونعمة لنشعر بالمسؤولية . ليحول أنظارنا من البحث الكثير عن لقمة العيش لنتجه بأنظارنا الى حقل النفوس وقد أبيضت . حقاً لقد أهمم يسوع بالفرد وعلمنا « أنه يكون فرح فى السماء بخاطيء واحد يتوب » (لو ١٥ : ٧) . « ويكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب » (لو ١٥ : ١٠) . لقد فرحت السماء والملائكة بالسامرية الواحدة التى خلصت وتقدست بفضل المسيح الواحد .

ما موقفك أيها المسيحي من مستقبلك ؟ هل تقبل ان تشرب من الماء الحى كما شرحت منه المرأة السامرية ؟ وهل تعزم ان تترك جرة خطاياك وتطرحها عند قدمى المسيح المخلص ؟ إسأل نفسك ... وليفتقدك الله برحمته كما افتقد السامرية فتصيح مع داود النبى قائلاً : قلبا نقياً أخلق فى ي الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى ولربنا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الخامسة من الصوم الكبير

توعد الفريسيين بالموت في خطاياهم

إن لم تؤمنوا أنى أنا هو تموتون في خطاياكم (يو ٨ : ٢٤) .

بعد أن ألقى السيد المسيح له المجد خطابه عن نور العالم في أوائل هذا الأصحاح ، ختم هذا الخطاب بوعيد وجهه إلى من يصرون على رفض الإيمان ، ويتضمن الهلاك الذى ينتظرهم يوم الدين . وإنجيل قداس هذا الصباح المبارك الذى يتناول هذا الوعيد يبين فيه المخلص هلاك رافضى الإيمان ، وأن تكفيرهم الذى حملهم على رفضه تفكير أرضى . وأن مصدر هذا الإيمان سماوى يحم الأخذ به .

أولا — هلاك رافضى الإيمان :

بدأ رب المجد يحذر اليهود المُصرين على رفضه من أن تفوتهم فرصة الإيمان به مدة إقامته بينهم وهى قصيرة فقال لهم فى عيد المظال : « أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى » (يو ٧ : ٣٣) . أى أننى بعد قليل سأصلب وأموت ، ثم أقوم وأصعد إلى أبى الذى أرسلنى ، وكل ذلك بمرتهى ومحض إختيارى . ثم إنكم بعد ذلك ستطلبون مسيحاً آخر عالمياً ، أو تطلبون عودتى ثانية فلا يكون هذا ولا ذاك لأنه لا يكون مسيح غيرى أو بعبارة أخرى أنكم أيها اليهود ستطلبون تتوقعون مجيء المسيح الموعود به ، وتتوقون إليه ، وتنتظرونه ملكاً زنياً ، ومنقذاً عالمياً ، فلا تجدونه لأنه يكون فى السماء ، فتتركون فى حال اليأس والعجز لأنكم تركتمونى أنا ابن الله ، ويمثل هذا نطق هوشع النبى على إسرائيل وافرايم ويهوذا لما تعرفوا فى إنهم فقال : « يذهبون بغنمهم وبقرهم ليطلبوا الرب ولا يجدونه . قد تنحى عنهم » (هو ٥ : ٦) . وبعد أن قال لهم يسوع أنا أمضى وستطلبوننى فلا تجدوننى ابتداءً يقول وتموتون فى خطيتكم لإصراركم على الكفر وبغضكم لى ، وستطرحون فى جهنم لأنكم برفضكم لى ، وأنا الواسطة الوحيدة للخلاص ، تبقون بلا توبة ولا مغفرة ولا تبرير . وختم وعيده بقوله أنه بعدم التوبة والإيمان لا يمكنكم أن تشاركوا فى أفراح السماء وأبجادهما حيث أكون أنا على الدوام مع أبى لأنى مساو له فى الجوهر .

ثانياً — تفكيرهم الأرضى :

أما هؤلاء اليهود ففسروا كلامه تفسيراً يدل على زيادة بغضهم له ، إذ قالوا ألعله يقتل نفسه ، فكأنهم أرادوا أن يقولوا إن كنت قصدت بكلامك المضى إلى دار الموتى فلا نريد

أن نتيحك إلى هناك بل سنذهب إلى السماء لأننا أولاد إبراهيم الذين مصيرهم لا محالة إلى السماء . وتفسير اليهود هذه المرة موافق لرغبة قلوبهم في قتله مع أن معنى كلامه ظاهر بأنه يعود إلى السماء حيث لا يمكنهم أن يأتوا كما بينه هو بقوله الآتي . أنتم أرضيون أصلاً وطبعاً . وهمكم في الأمور الجسدية . وترغبون في غنى العالم وأجاده . فلا تستطيعون أن تدخلوا السماء إلا إذا ولدتم ثانية ، أما أنا فقد نزلت من السماء ولا أطلب هذا العالم ، وبعد موتى سأعود إلى السماء . ثم قال لهم قد قلت إنكم تموتون في خطاياكم التي منها الكفر ، إذ لا غفران إلا بالإيمان . فإن لم تؤمنوا أنني أنا المسيح مخلص العالم ، وأني الله المتجسد ، والحي منذ الأزل ، وواهب الحياة للمؤمنين ، والذي قيل عنه في نبوة إشعياء النبي « لكي تعرفوا وتؤمنوا أنني أنا هو » (اش ٤٣ : ١٠) ، تموتون في خطيتكم .

ثالثاً — وهو مصدر الإيمان :

لم يفهم اليهود تماماً قصد السيد له المجد من قوله إني أنا هو ، فسألوه قائلين من أنت ؟ وعندئذ رد عليهم قائلاً : أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به . أي أنني منذ بدء خدمتي على الأرض أوضحت لكم تماماً الحق ، وذكرت مراراً ، وأقول دائماً إني الأول والآخر ، وقد أوضحت لكم أنني الماء الحي ، ونور العالم ، وخبز الحياة النازل من السماء ، ولكنكم لم تفهموا لأن بغضكم لي وإصراركم على كفركم بي قد ختم على قلوبكم . ثم مضى يقول لهم أنه في إمكانكم أن أدينكم على أمور كثيرة وخطايا لا تحصى رداً على إهاناتكم ومقاوماتكم لي . فوق ما حكمت به عليكم من قبل ، ولكن مهما قاومتوني ومهما توقحت فאלله الذي أرسلني صادق ، وأنا أتكلّم وأعلم بما سمعته منه ، وبناء على ذلك فكل ما أقوله صدق وحق ويجب على الجميع الإيمان به . ولكن بما أنني أثبتت لخلاص العالم لا لدينوته فسأكتفي الآن بمخاطبتكم عن كيفية نوال الخلاص ، تاركاً دينوتكم إلى يوم أجلس على كرسي الدينونة لأدين كل إنسان حسب أعماله .

ويقرر البشير بعد ذلك أنه رغم وضوح كلامه . لم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب لأن جهالتهم وكبريائهم حالتا دون ذلك ، وظلوا على ما هم فيه من ضلال . فها قد بينا لكم أن قلة الإيمان هي أصل جميع الشرور . والإيمان هو مصدر كل عمل صالح . فيجب علينا أن نكون راسخين في الإيمان بنعمة وتعطف ربنا وإلهنا يسوع المسيح . الذي له المجد إلى أبد الأبد . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الصوم الكبير أنواع الناس إزاء المجيء الثانى

« متى جاء ابن الإنسان ألعلمه يجد الإيمان على الأرض » (لوقا ١٨ : ٨) .

لقد تعلمنا من الكتاب المقدس أن السيد المسيح له المجد « لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولاً » (٢ تس ٣ : ٢) .

والارتداد — إما أن يكون إنكار الإيمان المسلم مرة للقديسين أو السلوك بروح أهل العالم الحاضر الشرير .

وفى هذه الأيام نرى روح الإرتداد ظاهرة : أولاً : فى ارتداد الناس عن الحق المقدس ، واتباعهم أرواح مضلة وتعاليم شياطين .

ثانياً : فى سلوك الناس ضد حق الإيمان فكثيرون لهم صورة الإيمان فقط ، كما قيل عن البعض : « لهم اسم أنهم أحياء ولكنهم أموات » « ولهم صورة التقوى ولكنهم منكرون لقوتها » (٢ تي ٣ : ٥) .

ومن ذا الذى تفوته صيغة الاستنكار فى سؤال السيد « متى جاء ابن الإنسان ألعلمه يجد الإيمان على الأرض » (لوقا ١٨ : ٨) . وإذا نظرنا إلى ذواتنا بإمعان كما قيل : « جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم » (٢ كو ١٣ : ٥) . ثرى ماذا يكون حكمنا على أنفسنا ؟ هل لنا حياة الإيمان الذى به نرضى الله ؟ هل لنا الإيمان الذى غايته خلاص النفوس ؟ الإيمان الواهب القوة ، الإيمان الحى المثمر ، العامل بالحب ؟ إن الكتاب المقدس قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بالنسبة للمجيء الثانى للمسيح :

١ — الذين ينكرون المجيء الثانى إنكاراً تاماً :

هؤلاء يتكلمون عن المجيء الثانى بنوع من السخرية والهزاء « عالمين هذا أولاً أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون ، سالكين بحسب شهوات أنفسهم ، وقائلين أين هو موعد مجيئه . لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة » (٢ بط ٣ : ٤) .

ليس بغريب أن يتفوه هؤلاء بهذه الأقوال ضد هذا الموضوع الهام ، لأن بطرس الرسول سبق وتنبأ عنهم .

٢ — الذين يحرفون بمعنى المسيح ثانية ولا ينكرونه وإنما يقولون إن قدومه سيطيء :

« ولكن إن قال ذلك العبد الرديء في قلبه سيدى يطيء قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها ويجعل نصيب مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٤: ٤٨ — ٥١) .

إنها عبارات صريحة تدل على موقف من يقولون حتى في قلوبهم « سيدى يطيء قدومه ولا يصرحون بذلك علناً . إنه موقف رهيب وخيف للغاية في نفس الوقت .. ينكر الفريق الأول الجيء الثاني ويقابلونه بروح السخرية والاستهتار ، ويعترف الفريق الثاني بالجيء الثاني وحقيقته ، إلا أنهم يستبطفون بجيء في قلوبهم . القسم الأول يصرح في كلامه بعدم عقيدته بالجيء الثاني . والقسم الثاني يعتقدون ببطء قدومه في قلوبهم فقط . حكم الرب يسوع على مثل هؤلاء بأنهم أردياء ومراؤون — وقادهم هذا الاعتقاد إلى عدم التدقيق في الحياة الشخصية ومعاملة زملائهم معاملة سيئة — ليس الضرب بالعصا هو المقصود ، بل كثيراً ما تكون ضربات اللسان والقلم أقسى وأشد هولاً .

٣ — الذين يؤمنون ويرحبون بمعنى الرب ثانية :

ألم يكن الرسول بولس ومن معه منتظرين هذا الجيء ؟ (١ تس ٤: ١٣ — ١٨) . وهكذا كان يتوقعه كل القديسين في كل العصور . لماذا نتخوف من حقيقة صريحة كهذه ؟ إنها تدعو إلى السهر واليقظة والأمانة . وقد دعا الرب يسوع جماعة المنتظرين حكماء وأمناء ، وأنهم يستحقون المجازاة عند مجيئه .

مثل هؤلاء يشتركون مع يوحنا الرسول الذى عندما سمع آخر وعد كتابى « يقول الشاهد بهذا نعم . أنا آتى سريعاً » أجاب في الحال « آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢: ٢٠) .

ولا غرابة إذا كان الرسول بولس سينال إكليل البر ، وكذلك جميع الذين يحبون ويرحبون بمعنى الرب ثانية .

قال أحد الكتاب « إن نوعين من يرحبون بمجيء المسيح ثانية ، وهم الروحانيون والمتأملون » — ويظهر لي أنه من مقاصد الرب أنه يسمح بوقوع هذه الحرب والضيق الشامل حتى تكون الكنيسة مستعدة ، وحتى تشترك في هذا النداء قلبياً « آمين . تعال أيها الرب يسوع » .

موقف المؤمنين إزاء المجيء الثاني

١ — واجبنا أن نكون منتظرين وساهرين ومستعدين :

« لتكن أحقاؤكم منطقة وسرجكم موقدة . وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم أنه يتمنطق ويتكلمهم ويتقدم ويخدمهم . وإن أتى في المزيج الثاني أو أتى في المزيج الثالث ووجدهم هكذا فطوبى لأولئك العبيد . وإنما أعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . فكونوا أنتم مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان » (لوقا ١٢: ٣٥-٤٠) .

٢ — علينا أن نطلب في الصلاة سرعة مجيئه :

« منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب » (٢بط ٣: ١٢) . « الروح والعروس يقولان تعال » (رؤ ٢٢: ١٧) .

إنه في كل مرة سمع فيها يوحنا الرسول عن مجيء الثاني للمسيح أجاب من قلبه وبلفه قائلاً « نعم آمين » فمثلاً عندما سمع الروح يقول : « هوذا يأتي مع السحاب وستراه كل عين ، والذين طعنوه ، وينوح عليه جميع قبائل الأرض » صلى وقال « نعم آمين » (رؤ ١: ٧) — ولما سمع آخر وعد كتابي فاه به الرب نفسه « يقول الشاهد بهذا نعم أنا أتى سريعاً » أجاب في الحال وقال : « آمين . تعال أيها الرب يسوع » (رؤ ٢٢: ٢٠) وهذه هي آخر صلاة في الكتاب المقدس .

إن الروح القدس يطلب سرعة مجيء الرب . وكذلك العروس تنتظر وتطلب سرعة مجيء الرب . ولماذا يطلب الروح سرعة مجيء الرب ؟ لأنه ساكن فينا وبيننا — ساكن في المؤمنين الذين يحزنونه بسبب أعمالهم وعصيانهم في الملوك وفي الخدمة مدة عشرين قرناً كاملة . احتمال فيها ارتداد وضلال الكنيسة المنظورة . وكذا هو موجود في وسطنا

يراقب كل ما يحصل من مفسد ومظالم على الأرض وهو . فهو يطلب هذه الأسباب سرعة مجيء الرب .

وتطلب العروس كذلك سرعة مجيء الرب لأنه طال الزمان وهي تنتظر عريسها آتياً . إنها تتوقع ذلك اليوم السعيد ، الذى فيه تنفض غبار القبر ، وتقوم بأجساد مجده بل وتتوق بكل تأكيد إلى اليوم المجيد الذى فيه « يحضرها لنفسه » (أف: ٢٧: ٥) .

إن الروح والعروس يشتركان فى هذا النداء حتى يأقى المسيح ، ليس كما جاء فى المرة الأولى « وهو وديع وراكب على حمار » (زك: ٩: ٩) — بل سيأقى فى مجد آييه مع الملائكة القديسين بقوة ومجد كثير وسترى هذا كل عين والذين طعنوه — إن الروح القدس نفسه هو الذى أضرم فى العروس هذه الرغبة المقدسة .

العرس

« لنفرح ونهلل لأن عرس الخروف قد جاء وامراته قد هيأت نفسها . وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بيباً . لأن البز هو ثياب القديسين » (رؤ: ١٩: ٨) .
وله العز والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد الخامس من الصوم الكبير

أحد الوحيد (المخلع)

ها أنت قد برئت : فلا تخطيء أيضاً ثلثا يكون لك أشر (يو ٥ : ١٤)

الطبيب الحقيقي شافى أمراض الأرواح والأجساد يزور مستشفى بركة بيت حسدا وكان اليوم سبتاً ، ماذا عمل في هذه الزيارة السعيدة . إنه يقف أمام مريض ، تمرد على الله ، وقرغ في وهدة المعاصي فعاث في الأرض شراً وفساداً ، وداس الشرائع السماوية . وانغمس في وحل الخطية . كانت علته شديدة الفلج وكان مطروحاً من مدة ثمانى وثلاثين سنة أنه أنعم عليه بنعمة الصحة والعافية .

وبنعمة الله نتأمل في هذا الموضوع في الخمس نقط الآتية :

أولاً — يسوع في زيارة مستشفى بيت الرحمة :

بيت حسدا : ومعناها بيت الرحمة لأن الله كان يظهر رحمته بالمرضى الذين يلقون فيها . وباب الضأن : سمى كذلك لأنهم كانوا يأتون منه بغنم الذبيحة الى الهيكل ، أما البركة فشدها سليمان الحكيم لخدمة الهيكل إذ كانت معدة لغسل ذبائح الضأن . وهى ترمز لبركة المعمودية التى بحلول الروح القدس عليها تشفى من الخطية ، وكانت بركة لها خمسة أروقة تشير الى الخواص الخمسة وهم (النظر الشم السمع الذوق اللمس) .

كان المستشفى متسعاً . وكان مرضاه أمراضهم مستعصية عى ، وعرج ، وعسم . وكان طبيب المستشفى ملاكاً وقيل هو ميخائيل . ولم يكن بالطبيب المقيم . بل كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء . وكان الشفاء للمحظوظين . من ينزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . أى أن ماءها لم يكن نافعاً ما لم يتحرك ، ويفيد هذا أيضاً أن قوة الشفاء التى لهذا الماء لم تكن طبيعية فيه بل كانت هبة من الله يودعها فيه على يد ملائكة .

وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . وأن مرضه قد استعصى على الشفاء طيلة هذه المدة وأن المخلص اختار مرضه العضال لإظهار قدرته على الشفاء . إن من أمر بإعطاء الأجر لعبادة المرضى وزيارتهم . « كنت مريضاً فزرتونى » (مت ٢٥ : ٣٩) . نراه اليوم في زيارة هذا المستشفى . ان يسوع الرحيم نراه اليوم في زيارة مستشفى بيت الرحمة . انه يعطينا الدرس العملى . في زيارة المرضى . وليست هذه هى المرة الأولى والأخيرة

التي زار فيها يسوع المرضى أو خلع نعمة الشفاء عليهم . إن حياته العملية كلها الشفقة
بمرضى الأرواح والأجساد . وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى
الجميع » (مت ٩ : ٣٥) ، (مر ٣ : ١) ، (لو ٦ : ١٩) ، (يو ٤ : ٤٧) .
ولقد لخص الكتاب المقدس عمل يسوع بالقول : « الذي جال يصنع خيراً ويشفى جميع
كل المتسلط عليهم إبليس » (أع ١٠ : ٣٨) .

ثانياً — شفاء المفلوج :

أو لم يكن هناك مريض غير هذا المريض ؟ كانت الأروقة الخمسة مملوءة بأسرة المرضى .
ولم شفى يسوع هذا المفلوج ولم يشف باقى المرضى . هل كان هذا المريض محظوظاً أو هل
هناك استثناءات . حاشا لله من المحابة فالجميع أولاده . ولكن حكمته العالية أن يشفى
مريضاً ويبقى الآخر فى علة . وينهض واحداً من مرضه ويسمح أن يموت الآخر بمرضه .
فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . وكان الشفاء . والشفاء العاجل بعد
ثمان وثلاثين سنة ، كانت العافية والعافية التامة . « قم احمل سريرك وأمشي فحالا برىء
الإنسان وحمل سريريه ومشى » (يو ٥ : ٨ — ٩) .

مرض مدته ٣٨ سنة ... يعالج بكلمات قم .. أحمل .. وأمشى . والنتيجة حالا برىء .
يا له من طبيب عجيب ودواء غريب . إن الأطباء اذا عاجلوا مريضاً وخففوا عنه وطأة المرض
لا يسمحون له أن يزاوّل أعماله . ويتناول طعامه المعتاد إلا رويداً رويداً . أما يسوع اذا ما
منحنا الصحة الروحية والجسدية منحنا معها القوة على القيام بواجباتنا على الوجه الأكمل
فى الحال . إن الله السخى فى العطاء ، لا يعطى إلا بسبغاء ، وهب الرجل كمال الصحة
حتى أن الذى كان ملقياً عند البركة مدة طويلة بلا حركة ، يقوم فى الحال ولا تحمله أقدامه
فقط بل ويحمل سريريه « مبارك إسم الرب إلهنا الذى قال أنا الرب شافيك » (خر ١٥ :
٢٦) .

ثالثاً — اليهود والذى شفى :

وكان فى ذلك اليوم سبت . نسوا مرض المريض وطول مدته . نسوا أنهم لم يشفقوا عليه
فى أثناء مرضه ويحملونه ليلقوه فى البركة متى تحرك الماء .

قدم المريض شكواه ليسوع من قساوة قلوبهم . ليس لى إنسان . وذكروا شيئاً واحداً .
« أنه سبت . لا يحل لك أن تحمل سريرك » (يو ٥ : ١٠) يا للعجب فى التمسك بحرفية
الناموس — إن الرجل أجابهم بأن الذى شفاه . صاحب القوة والسلطان . هو الذى أعطاه

الحل في أن يحمل سريره يوم السبت . لقد كرر اليهود اعتراضهم على يسوع من أجل السبت . وكرر يسوع الشفاء يوم السبت . قالوا بعد شفاء المولود أعمى . « هذا الانسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » (يو ٩ : ١٦) . واليوم يطلبون قتل يسوع لأنه عمل هذا في سبت » (يو ٥ : ١٦) . سبت ... ما هذا السبت ؟ هل يترك المريض في مرضه يشقى ويتألم لأنه سبت . « هل إذا سقط خروف واحد منهم في حفرة في السبت أفما يحسكه وبيقمه ؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذا يحل فعل الخير في السبوت » (مت ١٢ : ١١ - ١٢) ولكن هذا المريض بالذات . كان مقطوعاً . ليس لى إنسان . فالمرضى الآخرون كان بجوارهم أهلهم وأقاربهم على أتم الاستعداد لحملهم بسرعة والقائهم في البركة متى تحرك الماء . ولكن مريضنا كان بينا هو أت . بعد جهد شديد في البحث عمن يلقه في البركة ، ينزل قدمه آخر ، أليس في هذا أعظم درس لمن تركه الأهل والأقارب وأصبح بلا سند ولا عضد .

ان يسوع معين لمن ليس له معين . انه رجاء لمن ليس له رجاء . (أوشية المرضى) . هذا المريض رآه يسوع مضطجعاً . طوى لمن وقعت عليه عين يسوع وهذه العين لا تقع صدفة ، بل عندما يصرخ المتضايق بقلب عامر بالآمان وثقة وطيدة ، ينظر الله من السماء . هذا المريض بالذات ، طالبت مدة علته . له زماناً كثيراً . ثمان وثلاثين سنة ! نحتاج إلى الصبر .. في تجاربنا . اللهم املأ قلوب المجربين بالصبر .

كانت المدة طويلة وكان الليل يطول وما من شئ . واليوم تقف « شمس البر وأشعة الشفاء في أجنحتها » (ملا ٤ : ٢) بعد طول غياب أمام هذا المريض فتجدد فيه الرجاء بعد اليأس « سمعتم بصير أيوب ورأيتم عاقبة الرب لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف » (يع ٥ : ١١) .

أبى هبنا مع التمسك بالناموس روحاً وعقلاً . « لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (٢ كو ٣ : ٦) .

لقد أكل التلاميذ من السنابل .. يوم السبت . واعترض اليهود هل يتركون جوعى لأنه سبت ؟ ولما اعترضوا قال لهم يسوع : « أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » (مت ١٢ : ١ - ٤) . قال اليهود للذى شفى إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريك . لقد ثار اليهود على المسيح من أجل كسره يوم السبت . فأراد أن يعلمهم أن الانسان لم يخلق من أجل السبت بل السبت من أجل الانسان . والى الآن لا يزال جماعة

السبتين يثورون من أجل حفظ يوم السبت ذون الأحد وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السبتين يريدون أن يعودوا بالمسيحية الى الأركان الضعفية التي عناها بولس الرسول يوم قال : « وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالخرى عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضاً الى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعيدوا لها من جديد تحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين » (غلا ٤ : ٩ - ١٠) .

هذا وإن حفظ يوم السبت ما هو إلا دعوة الى التهود لأن السبت كان العلامة العظمى التي يتسم بها اليهودى على حد قول الله لموسى : « وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلاً : سيوتى تحفظونها لأنها علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقُدسكم فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم » (خر ٣١ : ١٣ - ١٤) . وقد تنبأ هوشع بصراحة بىطلان السبت « لا أعود أرحم بيت إسرائيل أيضاً ، بل أنزعهم نزعاً ... وأبطل كل أفراحها ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها » (هو ١ : ٦ ، ٢ : ١١) .

وهكذا نرى السيد المسيح يهوى الجو كله ليوم الأحد ليحل محل السبت فيدخل كملك ظافر الى أورشليم يوم الأحد ، ويقوم من القبر يوم الأحد ، ويظهر لمريم المجدالية ، وللمريمات ولبطرس ، ولتلميذى عماوس ، وللتلاميذ ، ولتوما يوم الأحد ، ولأن المسيح أيضاً يملأ تلاميذه بالروح القدس ويمنحهم السلطان يوم الأحد ، والرسول أيضاً نراهم يصلون ويعبدون يوم الأحد . والمسيحيون الآن يرغم تعدد مذاهبهم وتباين عقائدهم نراهم بالاجماع يقُدسون يوم الأحد . أليس كل أولئك تثبت لنا ضرورة تقديس الأحد .

رابعاً — مقابلة ثانية :

شفى المريض .. حمل سريره ومشى .. ولم يعلم اسم من شفاه . لأن يسوع اعتزل إذ كان فى الموضع جمع . يا لنكران الذات . وهذه ليست أول مرة : « أوصاه أن لا يقول لأحد » (لو ٥ : ١٤ ، ١٦) . يسوع لا يظهر نفسه . يعتزل . تعلم نكران النفس ولا تقف بعد أن تصنع خيراً . ليهتف لك الناس ويعلنوا عن اسمك ويعلوك . أعمل الرحمة للرحمة والخير للخير . « وأبوك الذى فى الخفاء يمازك علانية » (مت ٦ : ٤) . « أنا أصغر الرسل » (١ كو ١٥ : ٩) ، « أول الخطاة » (١ تي ١ : ١٥) « كسقط ظهر لى » (١ كو ١٥ : ٨) ، من هو هذا الرجل الذى يقول هذا ؟ بولس المجاهد الذى وهو الرسول العظيم يقول : لست مستحقاً أن أدعى رسولاً لأنى اضطهدت بيعة الله . فمن أنت ومن أنا ؟

بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل . انها مقابلة ثانية . في الهيكل هل تذكر أن تذهب الى الهيكل بعد أن يشفيك يسوع أو يخلصك من أى ضيقة . انها مقابلة ضرورية . انها مقابلة لاعطاء نصيحة وقائية . ودرهم وقاية خير من قطار علاج . « ها أنت قد برئت فلا تحطئي أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) إذا سبب المرض . الخطية . وكما جرت وتجر الخطية الأمراض والأحزان . إن نظرنا الى شفاء الرجل والمدة التي قضاه مطروحاً لكرهنا الخطية . وهل هناك أشر من الشر الذي رآه الرجل ؟ نعم . هناك الجحيم المقيم والبعد عن الله . « في البحيرة المتقدة بنار وكبريت » (رؤ ٢١ : ٨) .

إن المرض يشفى . وإن لم يشف فراحة القبر خير عزاء للمتألمين . ولكن العذاب الذي ينتظر الأشرار لا نهاية له . « ويصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهراً وليلاً » (رؤ ١٤ : ١١) . فلا تعد للخطية لئلا يكون لك أشر . أعترف بخطاياك . لك سنيماً طويلة مريضاً بالخطية . أرجع اليوم لكي تعيش بصحة جيدة روحية تامة في عشرة يسوع الرحيم .

خامساً — اليهود مرة ثانية :

عرف الرجل من المقابلة الثانية اسم يسوع . فمضى وبشر بهذا الاسم العظيم . الذي أبرأه . وإذا بالنتيجة العكسية — بدل أن يؤمن اليهود بهذه القوة الخارقة ، يطردون يسوع ويريدون قتله .

إن القلب . يظل قاسياً حتى وإن رأى أعظم الآيات . « ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » (لو ١٦ : ٣١) . أو لم يروا العيازر بعد أن قام من الموت . هل آمنوا . كلا بل طلبوا ان يقتلوا العيازر . وتأمروا على يسوع وقال كبير كهنتهم : « خير لنا أن نموت واحد عن الأمة ولا تهلك أمة بأجمعها » (يو ١١ : ٥٠) . اللهم خلصنا من قسوة القلب والتعصب الأعمى وأفتح عيون قلوبنا لئلا نؤمن بك إيماناً حقيقياً . رد يسوع عليهم بعد أن فكروا في قتله ، أنى يعمل وأنا أعمل . أيها المؤمن : لا ترهب ثورة الثائرين أو شكايه المشتكين ، إن إيمانك القوى لا ترعزه الجبال وكنيستك أبواب الجحيم لن تقوى عليها .

كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه . كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله . كانت المؤامرة لقتل المسيح لسببين : الأول أنه نقض السبت ، والثاني أنه ادعى الألوهية ، وهذا ما سنيينه الآن .

هل كان المسيح هو الله حقاً ؟ نعم فمعاني الآيات تثبت بذلك . المسيح هو الله لأنه القدوس المعصوم من الخطأ . « من منكم يكتنئ على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) .

إن عمل يسوع وعمل أيه ، كله لخير البشرية . في السبت وغير السبت . فلنعمل الخير دائماً ولنواظب على عمله ما دامت فينا نسمة حياة ولكن أمناء الى الموت . ولنتعلم من سيدنا له المجد الرحمة بالمرضى ولنكره الخطية سبب البلوى ونعيش في طاعته . نسأله أن يبعد عنا قساوة الرقاب ويبهنا الرحمة بأنفسنا . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الجمعة السادسة من الصوم الكبير

الميلاد الثانى

ينبغى أن تولدوا من فوق (يو ٣ : ٧) .

فى إحدى ليلالى الربيع المقمرة بينا كان القمر يرسل أشعته على جبل الزيتون حيث يجيم الهدوء ويسود السكون ، جاء شيخ الى المسيح متقدم فى الأيام يدعى نيقوديموس رئيس لليهود ، ودار بينهما حديث هام .

كان نيقوديموس عضواً فى السندريم ، رجلاً مقتدرًا فى الأقوال والتعاليم ولكن كانت تنقصه الشجاعة الأدبية والاقدام ، إذ أنه أتى ليلاً إلى المسيح خوفاً من اليهود . جاء يبتغى النور تحت جناح الظلام . نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً — حيث الليل يمثل ظلمة المعرفة المعتمدة بحسب الناموس . « وهو واحد منهم » (يو ٧ : ٥) . جاء فى ظلام الليل ليبحث إلحاح اليهود بصفة عامة « نحن نعلم » (يو ٣ : ٢) — وبخاصة الهيئة الحاكمة والمتعلمة — على ضرورة مواصلة الناموس لعمله ، أى التمييز بأعمال الناموس كأساس لاسترضاء الله للخلاص واستعادة الملك لإسرائيل .

أتى إليه مُعجباً بتعاليمه ومعجزاته التى رآها فى أورشليم قائلاً له : يا معلم كما يدعوه كثيرون اليوم . « نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » (يو ٣ : ٢) . فسرعان ما حول المسيح نظره الى أمر أعظم وهو أنه مخلص قبل أن يكون معلماً ، وانتقل به من الملكوت الأرضى الى الملكوت السماوى مجيباً إياه الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله .

كيهودى كان نيقوديموس يعتقد بحق ميلاده الطبيعى أن له مكاناً فى هذا الملكوت ، ولكن ما كان أشد اندهاشه لما أجابه المسيح : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو . روح » (يو ٣ : ٥ — ٦) . ثم قال له : لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . وهنا انتهى الحديث فى تلك الليلة الخطيرة بتعجب مزدوج . أتى إليه معجباً وتركه متعجباً . نيقوديموس يتعجب من السيد المسيح ويقول له كيف يمكن أن يكون هذا . والمسيح يتعجب من نيقوديموس يقول له : .أنت معلم لإسرائيل ولست تعلم هذا . يوجد اليوم

خلفاء كثيرون لنيقوديموس الذين هم معلمون زقادة في الكنيسة ولا يعلمون هذا . يجهلون أهم تعليم في الكتاب وأول مبدأ في الحياة المسيحية ألا وهو الميلاد الثاني ، الذى صلى من أجله داود قائلاً : روحاً مستقيماً جدد فى داخلى ، وتبأ عنه حزقيال : أعطيك قلباً جديداً ، وأنشد عنه أشعيا : إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستاناً . وكتب عنه يوحنا فى رؤياه : ها أنا أصنع كل شىء جديداً . هو رسالة العهدين القديم والجديد ، وأول خطوة نخطوها فى حياتنا الروحية ، فالكنيسة فى أشد الحاجة الى معرفة هذا التعليم واختباره علمياً فى حياة الكبير والصغير ولكى نخطط بهذا التعليم الخطير نتأمل فى ثلاثة أسئلة : سألها نيقوديموس وهى ماذا ؟ ولماذا ؟ كيف ؟ أيولد الإنسان وهو شيخ ؟

أ — لم يفهم نيقوديموس قصد المسيح فسأل ماذا ؟

ب — لقد شعر بعدم لزومه لأنه رئيس لليهود ومعلم لإسرائيل فقال لماذا ؟

هكذا يوجد بعض المسيحيين لا يرون ضرورة له لاكتفائهم بمحاثهم الأدبية فيسألون لماذا .

ج — أخيراً قال مندهشاً شاعراً بصعوبة هذا التعليم كيف يمكن أن يكون هذا ؟

واليوم نسمع الصوت من كل حذب وضوب ويسأل كيف . ثلاثة أسئلة ماذا . ولماذا . كيف . وبعبارة أخرى ماهية الميلاد الثانى . ضروريته . كيفيته .

١ — ماذا — ماهية الميلاد الثانى وعلاماته :

ما هى الولادة الجديدة ؟

لو وجهنا هذا السؤال لبولس لرجع بنا الى تلك الموقعة الفاصلة فى حياته التى حدثت قرب مدينة دمشق ولصاح بنا قائلاً : ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد منضت وهذا الكل قد صار جديداً . فهو يميزنا من اختباره المسيحى الذى جاز فيه عندما ولد ثانية ، ويقول لنا تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم . إذا الميلاد الثانى هو عبارة عن تجديد القلب والشعور والعواطف والميول والارادة . هو تجديد وليس تهذيب . تغير وليس تطور ، هو بداية شىء جديد وليس اصلاح شىء قديم .

الميلاد الثانى هو بداية الحياة الروحية كما أن الميلاد الأول هو بداية الحياة الجسدية ، هو طبيعة جديدة بها نصير شركاء الطبيعة الإلهية ، هو انتقال من حالة الى حالة هو كراهية الشر والالتصاق بالخير . وهى تحويل الخاطئ الى مؤمن والشرير الى بار ، ورئيس اليهود نيقوديموس المعاند والمرقع الى تلميذ للمسيح متضع . وشاول المضطهد الى بولس المضطهد . ومعان الضعيف الى بطرس القوى ، وأوغسطينوس الشاب الخليع الى ذلك القديس الرفيع .

كيف تعرف نفسك ان كنت ولدت ثانية أم لا ؟

ان يوحنا الرسول يبيننا على هذا السؤال موضعاً علامات :

أ — الولادة الجديدة فيقول « من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (١ يو ٣ : ٩)
فلا يقصد بذلك عدم الوقوع في الخطية ولكن عدم الاستمرار فيها . المولود من الله لا يعيش في الخطية وغير المولود يعيش فيها فالفرق بينهما كالفرق بين الحروف والخنزير . فالخروف لا يستطيع أن يعيش في الأرواح ، فعندما يسقط فيها يقوم ، يبتئ الخنزير يتلذذ بالتمرغ فيها . المتجدد يهرب من الخطية والخطاء يسقى وراءها ، الأول يكرهها والثاني يحبها ، الأول يقاومها والثاني يستسلم لها ، فهل أنت عبد للخطية أو عدو مقاوم لها .

ب — هنا علامة أخرى « المولود من الله يحب الأخوة » (١ يو ٣ : ٢٤) . كل من يحب فقد ولد من الله ، عندما نولد من الله فيشع قلبنا بمحبة الجميع ، الأصدقاء والأعداء ، الأخيار والأشرار .

ج — وعلامة ثالثة ظهرت في حياة بولس عندما ولد ثانية « هوذا يصلى » وهى العلامة التى عرف بها حنانيا . شاول المتجدد . فعلمة الحياة في الطفل عندما يولد هى الصراخ ، وعلامة الحياة في المولود ثانية هى الصراخ أو الصلاة .

أرسل الله روح ابنه في قلوبنا صارخاً يا أبا الآب . فياليتنا نرى علامة التجديد هذه في كثيرين منا فيقال عنهم هوذا يصلون في مخادعهم هنا وهناك . لنفحص ذواتنا الآن في نور الروح القدس والكلمة لنعلم إن كنا مولودين من الله أم لا . يجب أن تتأكد من ميلادك الثانى لأن من يولد مرة يموت مرتين ، الموت الجسدى والأبدى . ومن يولد مرتين يموت مرة واحدة . لأن الموت الثانى يصبح لا سلطان له عليه . إن كنت غير مولود من الله فالمسيح يقول لك : ينبغى أن تولد من فوق .

٢ — لماذا ؟ أو ضرورة الميلاد الثانى :

لما يقول السيد المسيح ينبغى فهذا هو الوقت الذى يجب أن نستيقظ فهو قلما يستعمل صيغة الأمر فلذا لما يستعملها هنا فهذا لأنه يرى ضرورة حادة لا مفر منها فيقول : ينبغى لجميعكم أن تولدوا ولادة جديدة . والمسيح يرى ضرورة مثلك للميلاد الثانى :

أ — فهو ضرورى لرؤية الملكوت :

ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فالغير مولود من الله هو أعمى لا يرى شيئاً . لأن عينيه الداخلتين مقفولتان فيصفه بولس برجل

مظلم الفكر له عين ولا يبصر كطفل قبل أن يولد له عين ولكن لا يرى بها إلا بعد الولادة ، فهو لا يرى جمال الملك الذى هو « أبرع جمالا من بنى البشر » كما رآه داود فقال : لكى أنظر الى جمال الرب . جمال صفات المسيح ، من محبة وتواضع ووداعة . الغير المتجدد لا يرى لذة فى الاقتراب من الله ولا يتمتع بجمال الشركة معه وذلك لأنه لم يحصل على القلب النقى الجديد لأنه « طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) . الغير مولود من الله لا يرى جمال الملكوت . لا يرى جمال المسيحية ومجدها فملكوت الله هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس .

ب — الميلاد الثانى ضرورى لدخول الملكوت :

هنا ضرورة أخرى يراها المسيح .

ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . العالم الطبيعى ينقسم الى أربع ممالك مملكة المعادن الجامدة ثم مملكة النبات ثم مملكة الحيوان وهى أرقى من النبات ثم مملكة الانسان وهى أسمى من الجميع . والطريق للدخول فى الممالك الحية لا يتم إلا بالولادة ، فلكى يدخل مخلوق ما فى ملكوت الحيوان يجب أن يولد من الحيوان ولكى يدخل فى ملكوت الانسان يجب أن يولد من الانسان . ولكن فوق ملكوت الانسان يوجد ملكوت خامس أعلى وهو ملكوت الله ، ولا يمكن الدخول إليه إلا عن طريق الولادة من الله ، لا عن طريق التدنيس الخارجى والبرياء فهل دخلت الى هذا الملكوت الأعلى فبالميلاد الأول نحن ندخل فى ملكوت الانسان . وبالميلاد الثانى ندخل فى ملكوت الله . ومن لم يدخل ملكوت الله بالتجديد وهو على الأرض لا يقدر أن يدخلها عندما يصل الى السماء فعندما تصل إلى باب السماء يوجه إليك هذا السؤال هل تقدر أن تظهر علامة ولادتك الجديدة ؟ فإذا أظهرت ذلك تدخل السماء وإلا فتحرم منها . فالضرورة موضوعة عليك ينبغى أن تولد من فوق لتدخل السماء . إن لم تولد من الله فأنت لست ابناً لله وليس لك الحق فى الميراث الذى تكلم عنه بطرس قائلاً : « مبارك الله ... الذى ولدنا ثانية لرجاء حى لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ بط ١ : ٣ - ٤) .

ج — الميلاد الثانى ضرورى للطبيعة البشرية الفاسدة :

هنا ضرورة ثالثة للميلاد الثانى يراها المسيح فيقول لنيقوديموس ينبغى أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . المولود من الجسد إنما هو جسد أى طبيعته فاسدة والمولود من الروح إنما هو روح أى طبيعته إلهية متجددة . لقد رأى

المسيح ضرورة تجديد نيقوديموس مع أنه رئيس لليهود ، معلم لإسرائيل ، حافظ للناموس ، خبير بالكتاب ، عضو بالمجمع ، متدين ، وبلا لوم ، له أخلاق فاضلة فصفاته كانت سبباً كافياً لإغفائه من ضرورة الميلاد الثاني . بل اسمه كاف لأن يخلصه من تلك الضرورة الحاتمة واسمه ؟ نيقوديموس ، معناه النقى الدم الشريف الحب وكأننا نسمع المسيح يقول له مع نقاوة دمك وجمال صفاتك وتدينك يا نيقوديموس ، ينبغي أن تولد من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو ، والذين في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . الطبيعة البشرية فاسدة ساقطة لا تحتاج إلى إصلاح بل إلى تجديد ، إلى تغيير وليس إلى تقليد ، لأنها ميتة لا تحتاج إلى علاج بل إلى حياة .

٣ — كيف ؟ كيفية الميلاد الثاني :

لنأت الآن إلى السؤال الأخير : كيف ؟ كيف أحصل على الميلاد الثاني ؟ ليس بالقوة ولا بالقدرة بل بروحي قال رب الجنود . ليس بالولادة الطبيعية من والدين مسيحين ، فقد تولد يهودياً ولكن لا يمكن أن تولد مسيحياً ، فالمسيحي الحقيقي لا يولد من إنسان بل من الله . كيف ؟ أصعب إلى جواب المسيح لنيقوديموس على سؤال كيف يمكن أن يكون هذا فيجيبه المسيح قائلاً : أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا ألم تقرأ في حزقيال : أرش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم .

لكي تحيا حياة جديدة : ينبغي أن يموت ابن الانسان ، ولكي تولد من فوق : ينبغي أن يرفع ابن الانسان ، كل من يؤمن به يحيا ، فبالإيمان والأعمال تولد من الله . كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنون باسمه . فالإيمان هو القبول والقبول هو الإيمان ، فأقبل يسوع الآن مخلصاً لك تولد ثانية . التفتوا إلى واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض . فبدونه لانولد ثانية . كما أن المسيح ولد في الجسد من الروح . هكذا المسيحي يولد من الروح ولادة روحية ، فعندما يحل في قلوبنا يجدد طبيعتنا ويحرق أشواك الخطية بناره المطهرة .

ينبغي وفي ختام حديثي أترك لكم كلمة واحدة هي ينبغي فهي شعار المسيح في فجر الحياة وهو بعد غلام إذ قال : ينبغي أن أكون فيما لأني . وفي نهار الحياة ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار . وفي ليل الحياة قال وهو سائر إلى الجلجثة ينبغي أن يتألم ابن الانسان ينبغي شعار الصبي في صباح الحياة ، والشاب في ظهر الحياة ، والشيخ في مساء الحياة . شعار بولس الضرورة موضوعة على فهل هي شعارك ؟ وبوحنا في الأصحاح

الثالث من إنجيله يستعمل هذه الكلمة في ثلاثة مواضع يجب أن نتخذها شعار لنا :
أ — ينبغي أن تولدوا من فوق :

هذا شعار لك ان كنت خاطئاً إذ يجب أن تتشبه أنك تحت ضرورة لازمة له . يجب أن لا نهضاً أو تسكت إلا بعد أن تتجدد . قل الآن ينبغي أن أولد من فوق ، ينبغي أن أرجع الى المسيح ، ينبغي أن أرى المسيح ، فتسمع الصوت يناديك كما نادى زكا قائلاً : ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك . في قلبك . اليوم حصل خلاص لهذا القلب . اليوم يوم خلاص لك أيها الشيخ ولك أيها الشاب ، لك أيها السيدة ولك أيها الشابة . سأل نيقوديموس أيولد الإنسان وهو شيخ ؟ ضعيف أو وهو شاب محاط بالتجارب والشرور .
نعم أيها الشاب يمكنك اليوم بنظرة الى المصلوب أن تخلص وتتجدد .
ب — ينبغي أن ذاك يزيد وأنا أنقص :

شعار المتجدد بقدر ما ننقص نحن يزيد المسيح . ويقدر ما: نضع نفوسنا على الصليب بقدر ما يرتفع المسيح على العرش .

ج — ينبغي أن المسيح ينمو فينا ونحن ننمو في المسيح :
كأطفال مولودين الآن اشتوا اللبن العليل الغش لكي ننمو به .
ان الكنيسة اليوم لم تشدد على الكرازة بالتجديد ولم تضعه كشرط أساسى للعضوية . فالمسيح جعل هذا الشرط أساساً ضرورياً للعضوية إذ قال لنيقوديموس إن أردت أن تنضم الى كنيسة وتدخل ملكوتى ينبغي أن تولد ولادة جديدة . ألا تضع هذا الشرط شعاراً لك ؟
ان عملنا ذلك فستكون الكنيسة ناهضة ومنتعشة لأنها تكون مكونة من أعضاء أحياء .
نحتاج الى كنيسة أعضاؤها وخدمها مولودون من الروح وممتلئون من الصلاح . ولربنا وإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الصوم الكبير

الباب الضيق

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو ١٣: ٢٤) .

بعد أن شفى السيد المسيح المرأة المنحنية يوم السبت في بيرية ، أخذ يجتاز في مدن وقرى كثيرة وهو في طريقه إلى أورشليم للمرة الأخيرة . وهنا تقدم إليه واحد بالسؤال الذى انفرد معلمنا لوقا الإنجيلي بإيراده وهو « أقليل هم الذين يخلصون » وفصل الإنجيل الذى يتناول إجابة المخلص على هذا السؤال وما تلاه من تحذيره لسامعيه من هيرودس ، يبين فيه هلاكه للمتهاونين الذين لا يدخلون من الباب الضيق ، أى الذين لا يحملون الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة ، وخلص المجاهدين الذين يحملونها .

أولاً — هلاك المتهاونين :

على أثر شفاء المرأة المنحنية في بيرية أخذ السيد المسيح يتجه إلى أورشليم في طريقه إليها المرة الأخيرة . إلا أنه لم يذهب إليها رأساً في خط مستقيم ، بل أخذ يمر في مدن السامرة وبيرية وقراها . وفى خلال ذلك وجه إليه أحد الحاضرين سؤالاً قائلاً « أقليل هم الذين يخلصون ؟ » ولا بد أن الذى وجهه كان من غير التلاميذ ، وأن غايته كانت مجرد الوقوف على جلية أمر مبهم بالنسبة له ، لا طلباً للفائدة .

ويبدو من السؤال أن موضوعه كان مثار خلاف بين اليهود ، ففريق منهم كان يرى أن الذين يخلصون هم كل أولاد إبراهيم ، فى حين كان يرى الفريق الآخر أن أقلية منهم فحسب هى التى ستفوز بالخلاص ، استناداً إلى أنه لم يخلص من كل جنود الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر إلا اثنان هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة . ورغم ما كان بين الفريقين من خلاف فقد كانا متفقين على أن الخلاص مقصور على اليهود . وقد أراد السائل أن يعرف رأى المخلص فى هذه القضية عسى أن تؤكد إجابته كثرة الذين يخلصون ، فيزداد اطمئناناً إلى خلاص نفسه . ويظهر من عبارة « فقال لهم » أن السائل كان نائباً عن كثيرين من الحاضرين ، وأن السيد وجه إجابته إليهم ، ويرى بعضهم أن الاعتقاد الناتج عن هذا السؤال كان عقيدة كل الجماعة ، وهذا ما جعله يوجه الإجابة إليهم جميعاً .

فقال لهم : « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » ، وهو قول مستعار من العرف الذى كان متبعاً فى الأعراس فى ذلك الوقت فقد كانت هذه تقام ليلاً ، وكانت تزين البيوت بالمصابيح ، ويدخلها المدعون من باب صغير ضيق يُغلق عقب دخولهم جميعاً ، ثم يتمتعون بالأفراح ومشاهدة الأنوار أما الذين يرفضون فكان لا يُفتح لهم الباب مهما قرعوا ، فيقفون فى الظلمة الخارجية . وقد استعار السيد المسيح للسماء تعبير « الباب الضيق » ، ليس لأنه ضيق فى حد ذاته ، بل بالنظر إلى الضيقات المتعلقة بالحياة المقدسة لأنها تضاد الطبيعة الفاسدة . ويدعى أن الشهوات الجسدية تمنع من الدخول فى ذلك الباب . ويرى بعضهم أن هذا مسيح بوصايا الله العشر ، فهو باب الإيمان والطاعة ، وهو مع ما يكتنفه من اضطهادات وصعوبات باب أمن وراحة ضمير . فهو ضيق فى الدنيا ، واسع فى الآخرة . فكأن رب المجد قال للسائل : لا فائدة لك من معرفة عدد الذين يخلصون ، كثروا أو قلوا ، فالمهم هو معرفة الكيفية التى بها يدخل الإنسان إلى ذلك الملكوت . وتتلخص هذه فى الدخول من الباب الضيق ، وذلك بحفظ أوامر الإنجيل والثبات على الإيمان فى الضيقات والشدائد وعدم الاستسلام للشهوات .

واستطرد المخلص يقول : « إن كثيرين سيقبلون أن يدخلوا ولا يقدرّون » أى أن من لا يجتهدون فى الأعمال الصالحة ، ولا يدخلون من باب التوبة والإيمان وحمل الصليب حينما تكون الفرصة سانحة ، يظلّون دخول السماء بعد فوات الآوان ، فلا يقبل التماسهم ، ويطرحون فى الظلمة الخارجية ، وهم كما قرر السيد المسيح غير مرة كثيرون ، فقد سبق أن قال : « ادخلوا من الباب الضيق . لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك . وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه » (مت ١٣: ١٤) . وتتضمن الإشارة إلى كثرة الهالكين إنذاراً بأن خطر الهلاك محقق بنا ، وأنه لا سبيل إلى اتقائه إلا بالاجتهاد الكامل فى خلاص نفوسنا .

ثم يمضى رب المجد فى حديثه عن هؤلاء المتكاسلين المتباطئين ، فيقول إنهم حينما يشاهدون « رب البيت قد قام وأغلق الباب » أى حينما يشاهدونه قد ظهر وأدخل القديسين إلى ملكوته ، يشتاقون هم أيضاً إلى الدخول ومشاركتهم فى النعيم ، بدليل وقوفهم خارجاً يقرعون الباب « قائلين يارب يارب افتح لنا » وكلمة « رب البيت » يُشير بها السيد إلى نفسه ، كأنه صاحب بيت يقيم وليمة وأصديقه الذين يأتون فى الميعاد ثم يغلق الباب فى وجه الذين يحضرون بعد فوات الوقت ، ولكنه يرد عليهم قائلاً : « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أن التماسهم الدخول يكون بغير جدوى ، لأن

الوقت الذى عينه لطلب الخلاص هو فرصة الحياة التى يُغلق بعدها الباب . ولكن كيف يتنكر لهم سيد الكل بهذه الإجابة القاسية وهو سيدهم وخالقهم ؟ وكيف لا يعرف مكانهم ؟ بل وكيف لا يعرف آثامهم وتصورات أفكارهم ، وهو علام الغيوب الذى لا تخفى عليه خافية ؟ إن المقصود فى الواقع هو أنه لا يعرفهم ورثة الملكة لأنهم لم يحفظوا وصاياه وأوامره .

ثانياً — خلاص المجاهدين :

ثم يمضى سيد الكل فيبين لمستمعيه خطأ استنادهم إلى دواعي واهية لثبرير دخول ملكوته فيقول : « حيثذ تبدئون تقولون أكلنا قدامك وشرنا وعلمت في شوارعنا » ، أى أنكم تأخذون فى تذكير رب البيت بما كان بينكم وبينه من أسباب الألفة والمؤانسة والمجالسة ، كالأكل والشرب وتعليمه فى شوارعكم والإشارة هنا إلى الزمن الذى كان فيه بينهم بالجدس ، وفاتكم أن كل هذا لا ينهض مبرراً قوياً لدخول ملكوته لأنكم لم تعملوا بوصاياه ، وذهبت تعاليمه بينكم صرخة فى وادى ، بل ليتكم لم تسمعوها حتى لا تزداد دينوتكم ويرد عليكم قائلاً « لا أعرفكم من أين أنتم » أى أنني لا أعرفكم المعرفة المقرنة بالهبة ، فلقد عرفتمكم أشخاصاً ، وسمحت بانتسابكم إليّ كلاميد ، ولكننى لا أعرفكم خاصتى لأنكم لا تعرفوننى حقيقة . لقد خدعتم غيركم من الناس ولكنكم لا تستطيعون خداعى . ثم ختم كلامه القاسى بقوله : « تباعدوا عني يا جميع فاعلى الظلم » فأعمالكم الشريرة هى علة طردكم ودينوتكم ، وبمثل هذا القول خاطب مستمعيه فى موعظة الجبل ، إذ قال : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحيثذ أصرح لهم أى لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلى الإثم » (مت ٢٢: ٧ ، ٢٣) ، وبمثل هذا خاطب العذارى الجاهلات (مت ١٢: ٢٥) ، والذين عن يساره (مت ٤١: ٢٥) .

ويستفاد من كل هذا أن القرب من المسيح هو خلاصة أفراح السماء ، والبعد عنه هو أشد ما يقاسى المرء فى جهنم . وقد قرّق المخلص أمامهم بين حظ الأشرار وحظ الأبرار فى يوم الدين بقوله : « هناك يكون البكاء وصرير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً » ، أى أن الحزن والغضب واليأس سيكون من نصيبكم متى رأيتم هؤلاء الآباء وجميع الأنبياء فى ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً . فسوف ترونهم متمتعين بالقرب من سيدهم ،

فتزدادون شعوراً بالشقاوة والآلام . ويستدل من ذكر الآباء والأنبياء هنا أن قديسى العهد القديم سيشاركون قديسى العهد الجديد فى الأجداد السماوية ، لأنهم جميعاً أعضاء فى الكنيسة الواحدة التى هى عروس المسيح .

ولكى يوضح سيد الكل لمستمعيه أن الذين يخلصون لا يكونون من اليهود فحسب ، بل من الأمم أيضاً ، يمضى قائلاً : « ويأتون من المشارق والمغارب ومن الشمال والجنوب ويتكثرون فى ملكوت الله » أى أن الأمم سيدعون إلى الكنيسة أيضاً ، ويشتركون مع الآباء والأنبياء فى فوائد الملكوت .

واختتم إجابته على سؤال سائله بقوله « وهذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين » (مر ١٠: ٣١) ويريد بالذين يصيرون أولين الخطاة من اليهود ومن الأمم الذين يقبلونه سيداً وفادياً ، وبالذين يصيرون آخرين من يرفضونه من اليهود ، ومن الأمم فى كل زمان ومكان ، وكذا من لا يثبتون على الإيمان به .
وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الصوم الكبير

المولود أعمى

فمضى واغتسل وأتى بصيراً (يو ٩ : ٧) .

رثت الكنيسة المقدسة أن يتلى في يوم أحد التناصير فصل الإنجيل الخاص بمعجزة شفاء المولود أعمى وهو التاسع من بشارة القديس يوحنا . وكما جاء في نبوة اشعياء القائلة : « قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا . هوذا الحكم هو يأتى ويخلصكم حينئذ تفتتح عيون العمى وأذان الصم تفتتح » (اش ٣٥ : ٤ - ٥) .

وواضح سر اختيار هذا الفصل ومناسبته لمن يقبلون العماد في هذا اليوم . فهم عميان ، بالخطيئة ، وولدوا عمياناً بالخطيئة الأصلية ، من بطون أمهاتهم . وبنعمة المسيح يغتسلون في جرن المعمودية ، وهى لهم بمثابة عين سلوام الجديدة فينهضون بعد الاغتسال فيها أطهاراً من خطاياهم الجديدة والفعالية السابقة على المعمودية وتفتتح عيونهم وبصائرهم الباطنية فيعاينون ما لم يكونوا قادرين على معاينته قبل المعمودية . إذا المعمودية هى مدخلهم الى الحياة الجديدة ، الى الكنيسة المسيحية بأسرارها وأجنادها وامتيازاتها الروحية ، والى ملكوت الله .

أماننا اليوم أعمى استنار قلبه بشمس البر قبل عينيه ، وببصرون عميت قلوبهم وببصائرهم عن رؤية كوكب الصبح المنير . أماننا لإنسان ولد من بطن أمه أعمى ، وكان من ترتيبات العناية الرحيمة أن أغدقت عليه من نعمائها ما جعل عينيه تبصران ، وقلبه يفتتح لرؤية نور الحياة .

إن هذا الأعمى يمثل لنا قصة البشرية الساقطة التى أعمتها الخطيئة وصارت فاصلة بينها وبين إلهها .

وبنعمة الله سنتكلم عن النقط الآتية :

١- كان إنساناً فقيراً :

ودليلنا على فقره شهادة الجيران الذين قالوا : « أليس هذا هو الذى كان يجلس ويستعطي ؟ آخرون قالوا هذا هو ، وآخرون إنه يشبهه ، وأما هو فقال « إني أنا هو » (يو ٩ : ٨ - ٩) . والعجيب أن نرى يسوع ملك الملوك ورب الأرباب ينشغل بفقر متسول ويضيع وقته الثمين من أجل شحاذ فقير . ولكن لم نعجب ؟ أما اختار الله فقراء هذا العالم

أغنياء في الإيمان. وورثة الملكوت ؟ ألم يكن رسل المسيح فقراء وأكثرهم من الصيادين ؟ بل ألم يكن المسيح نفسه فقيراً . « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما هو فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠) . بل وفي مولده لم يكن له موضع في المنزل .

ومن هنا نستخلص بأن الفقر ليس عاراً بل « عار الشعوب الخطية » (أم ١٤ : ٣٤) . ألم يكن أرسانيوس معلم أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس ابنا ملك الروم ؟ . ألم يكن هؤلاء العظماء جميعاً من أغنى أغنياء العالم ولكنهم عن طيب خاطر اشتبهوا الفقر من أجل ذلك الذي « من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) . إن الفقر ليس عيباً ولا ذنباً ولذلك يقول الحكيم . « زينة الانسان معروفة والفقر خير من الكذب » (أم ١٩ : ٢٢) .

٢ - ثم أنه كان مؤمناً مطيعاً :

إن رجلاً غير هذا الأعمى ما كان ليسمح أبداً لشخص أن يصبغ وجهه بالطين ويطيئه ، ثم ينصت إليه وهو يأمره بالذهاب إلى بركة سلوام ليغتسل فيخضع له . ولكن هذا الأعمى كان على قدر كبير من الطاعة والإيمان . آمن بمن يتحدث معه ، ثم أطاعه . والإيمان والطاعة عنصران قهوان في حياة الانسان . ان ابراهيم عميد المؤمنين لو لم يكن له الإيمان الفعال بإلهه لما خضع وأطاع أوامره القاسية بأن يقدم وليده ووحيدة اسحق الذى يحبه ذبيحة على الجبل ؟ ولذلك نقرأ في رسالة العبرانيين : « بالإيمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب » (عب ١١ : ١٧) .

٣ - ثم أنه كان على خلق عظيم :

وأهم ما أعجبنى في اخلاق هذا الرجل الأعمى أنه لم يسمح لنفسه أن يدين غيره . فعندما أوقفوا هذا الإنسان أمام المحاكمة سألوه : « أعط مجداً لله نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء فأجاب ذاك وقال : « أخاطيء هو لست أعلم إنما أعلم شيئاً واحداً إني كنت أعمى والآن أبصر » (يو ٩ : ٢٤ - ٢٥) . إن هذه الكلمات إن دلت على شيء فعلى الأخلاق العظيمة ، إن هذا الأعمى كان بصير القلب ، مخلص النفس ، لم يشأ أن يدين غيره .

ولنا في قصة الأنبا موسى الأسود أكبر عظة ،

إن موسى دعى مرة الى مجمع عقد خصيصاً لإدانة أحد الرهبان ، فتأخر قليلاً ثم ذهب الى المجمع حاملاً فوق ظهره كيساً من الرمل مثقوباً في مؤخرته وتتقاطر منه ذرات الرمال

فقال له الآباء ولماذا تفعل هكذا ؟ قال الأنبا موسى إن خطاياى تسير ورأى ولا تفارقنى وأنا لا أبصرها ، وأنتم دعوتونى لكى أحكم على راهب مثلى لا يزيد عنى خطية ولا أقل عنه إنما . فتمعجب الجميع وقرروا العفو عن ذلك الأخ المخطيء . وهكذا نحن علينا ألا ننظر الى خطايا الناس بل لنذكر خطايانا ونتبع قول معلمنا الصالح : « لا تدينوا لكى لا تدينوا لأنه بالدينونة التى بها تدينون تدينون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مت ٧ : ١ — ٢) .

٤ — ثم معترفاً بألوهية المسيح :

عدة اعترافات خطيرة صريحة أعلنها الأعمى تثبت ألوهية المسيح ، قال مرة : « إنه فتح عينى وتعلم أن الله لا يسمع للخطاة » (يو ٩ : ٣٠ ، ٣١) ثم استطرد يقول : « ولكن إن كان أحد يتقى الله ويصنع مشيئته فلماذا يسمع ، منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى » (يو ٩ : ٣١ — ٣٢) . إلى أن قال : « لو لم يكن من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً » (يو ٩ : ٣٣) .

بهذه الاعترافات يعلن الأعمى : قداسة المسيح ، وتقواه ، وعمله الإعجازى ، وألوهيته . أعلن هذه الاعترافات الصريحة الخطيرة وهو فى صدد المحاكمة والإحراج ، إنه يذكرنى باللص الجون الذى وهو على الصليب فى أخرج الساعات يعترف برؤية المسيح فيناديه ويناجيه أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك .

إن هذا الأعمى اعترف بلاهوت المسيح وهو يعلم أن اليهود قد تعاهدوا على أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع » (يو ٩ : ٢٢) وهذا أسمى مراتب الاعتراف والشجاعة كل ذلك لأن المسيح وهبه نعمة البصر . ونحن المؤمنون الذين أنعم علينا رب الحياة بكل النعم المنظورة وغير المنظورة متوجة بنعمة الفداء ، لماذا لا يزال كثيرون منا يخافون الاعتراف به ويحاولون إنكاره . إن هذا الأعمى عرض نفسه لكل صنوف الضيق والاضطهاد من أجل المسيح الذى شفاه ، لم يخش فى إعلان الحق لومة لائم أو اضطهاد حاكم .

٥ — كان شجاعاً فى توبيخه :

لقد كان قوياً عفيفاً فى توبيخه لحكامه الظالمين ، قال لهم : « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً العلکم تريدون أن تصيروا له تلاميذ » (يو ٩ : ٢٧) . اغتاظوا وشتموه وقالوا له : « فى الخطايا ولدت أنت بمجملتك وأنت تعلمنا

فأخرجوه خارجاً » (يو ٩ : ٣٤) . قالوا له نحن تلاميذ موسى وأما أنت فتلميذ ذاك . لقد كان جريماً في اعترافه وشهادته له مع أنه لم يكن قد رآه من قبل ودافع عنه أمام اليهود الذين تعثروا به وبالرغم من جبن والديه عندما سقلا عنه فقالا : « أنه كامل السن إسألوه » (يو ٩ : ٢١) . فلما سئل آمن به واعترف بمجد أعماله . حقاً ما أخرجنا في هذا العصر الى روح الشجاعة في الحق ، هذا العصر الذى انعدمت فيه الشهادة لله .

٦ — أمانته وبعيته للمسيح :

طرد المولود الأعمى بعد تفتيح عينيه من المجمع ولكنه لجأ الى هيكل الله وحيداً .. فريداً .. مغضوباً عليه : ففتش عنه السيد المسيح ووجده وواجهه أتوثن بابن الله ؟ فقال له : من هو ياسيد لأؤمن به ؟ فقال الذى يكلمك هو . وفي الحال سجد وآمن . وأعطاه المجد والحمد والشكر على فضله ومعروفه . فبلا أدنى شك عندما واجه النور الحقيقي الذى جاء الى العالم . واشرق في قلبه وعينه . فكيف يتحول عنه : لو تحول القمر قليلاً عن الشمس لا نطفأ لأنه يستمد نوره من الشمس ، ولما أشرق النور في عيني هذا الانسان علم أن يسوع هو شمس البر والشفاء في أجنتها .

٧ — فريسون منافقون :

حقاً ما أجدر الفريسيين بالألقاب التى تبرع بها يسوع وهى لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، وهى لكم أيها الكتبة والفريسيون ... الخ تلك بعض من كل اللعنات التى صيها السيد المسيح على رؤوس الفريسيين المرائين المنافقين ، الذين جاءوا اليوم يضايقون الأعمى ويضطهدونه لأنه اعترف بالمسيح الذى شفاه . لقد كان نفاق الفريسيين منصّباً على أن المسيح ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت . إن ما صنعه يسوع من شفاء لا يعد كسراً ليوم لأن عمل الرحمة لا يدخل ضمن نطاق الأعمال الدنيوية التى من شأنها تكسر الوصية . ولذلك نراهم وقد انقسموا على ذواتهم ، هذا يقول : إن المسيح خاطيء لأنه لا يحفظ السبت ، وآخر يقول : وكيف يقدر إنسان خاطيء أن يعمل مثل هذه الأعمال .

٨ — ثم ... هم عميان يتخططون :

إن من يقرأ بإمعان محضر المحاكمة الذى حرره الفريسيون للمولود الأعمى يحكم بغير صعوبة على عمى قلوبهم وظلام أفكارهم ، لقد فتح الأعمى عيونهم على منافذ كثيرة أمامهم لقد حدثهم عن المسيح نور العالم .

كانت حياته على الأرض نوراً من نور . قال له المجد : ما دمت في العالم فأنا نور العالم
فحيثما كان بين الناس فهو نور الناس ، لأنه باعث النور الحقيقي » (الذى يضىء لكل
إنسان) . وعن المسيح الطبيب العجيب قالوا للسيد عن المولود أعمى أخطأ هذا أم أبواه
حتى ولد أعمى . فأجاب يسوع له المجد : « لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله
فيه » (يو ٩ : ٣) . وعن المسيح القدوس الذى بلا خطية ، وعن المسيح الذى لم يسمع
منذ الدهر أن أحداً غيره قد فتح عينى مولود أعمى . لقد وضع أيديهم على عدة حقائق
بارزة ، وأوقفهم على عقائد قوية لا يدخلها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، ومع ذلك
أهملوا هذه الفرص ، واغفلوا هذه الحقائق . وأطفأوا الشموع التى أنازها لهم الأعمى .
وأخذوا يتخبطون في ظلام أفكارهم ، وعمى قلوبهم .

وهكذا كم من فرص ثمينة تضيع منا في سبيل خلاص نفوسنا . لقد سأل الأنبا بموا
القديس العظيم الأنبا انطونيوس عما يصنعه من أجل خلاص نفسه فقال له : لا تتكل على
برك ، ولا تصنع شيئاً تندم عليه . وأمسك لسانك ، وبطنك ، وقلبك . وهكذا كان عناد
الفريسيين هو الذى أغلق عيون قلوبهم فلا ترى . وتم فهم قول الرب يسوع في نفس
الموضوع : « لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين
يبصرون » (يو ٩ : ٣٩) .

ونحن في أيامنا هذه ما أكثر الذين يدعون البصر وهم في حاجة الى من يقودهم الى
الطريق السوى ويرشدهم الى نور الهداية ، وإلا ما معنى أولئك الذين يتعمقون في وضوح
النهار كما يعرفون في الليل البهيم ، أن البصر لا يفيد صاحبه ان لم يهديه بصيرته فتتير له
السبيل فيأمن من شر الغفار والزلق . ليقل كل من استنار بنور الإيمان وحصحصر له ضوء
الحق فاعتصم به ما قاله الضرير كنت أعمى والآن أبصر . ليقل الذين كانوا في أودية
الضلال هائمين ، والذين يحرقون الفضيلة وعمالها ثم ارتدوا الصواب واكتجلبت أعينهم بنور
السماء ونعمة الرجاء كنت أعمى والآن أبصر . حقاً ان فاقد البصر ولم يفقد البصيرة فهو
العاقل الحكيم . ولربنا المجد دائماً الى الأبد آمين .

عظة انجيل قداس الجمعة السابعة من الصوم الكبير

حتى تقولون مبارك الآتي باسم الرب

قال السيد : هوذا ييتكم يترك لكم خرابا .. حتى تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب (لو ١٣ : ٣٤ - ٣٥) .

البيت هو الهيكل العظيم المشهور الذى بناه سليمان الملك فى مدة لا تقل عن سبع سنوات . وقال اليهود أنه أعيد بناؤه فى مدة لا تقل عن ٤٦ سنة على يد رزبابل عامل ملك فارس وهو يتألف من قسمين : القدس و قدس الأقداس .
فالأول : يحتوى على مذبح البخور ومائدة خبز الوجوه والمنارة .
والثانى : يحوى تابوت العهد وعصا هرون التى أفرخت ويدخله رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة يوم عيد الكفارة .

ويرمز قدس الأقداس والقدس الى السماء وطن الملائكة المقربين والتابوت الى الله موضوع عبادة الخلائق أجمع . والمذبح الى ذبيحة المسيح فوق الجلجثة ، والمرحضة الى المعمودية ، والمائدة الى العشاء السرى ، والمنارة الى بشارة الإنجيل ، والبحور الى بركات الفداء . ويعنى السيد بقوله لليهود : لن تروننى حتى تقولون مبارك الآتي باسم الرب : أى حتى ترجعوا الى الله وتؤمنوا بى مسيحاً وقادياً وموضوع عبادة مع الآب والأبن والروح القدس . والمقصود ببيتكم فى النص بيت اليهود الذى كان فى سالف الزمان بيت الله ولكن بسبب رفضهم المسيح وعدم قبولهم له ملكاً ومخلصاً أبى المسيح أن يدعو الهيكل بيت الله فدعاه بيت اليهود وحكم عليه بالخراب فخرّب بعد الصلب بأربعين سنة عن يد جيوش الرومان وقادهم تيطس .

وهذا يقودنا الى التأمل فى نقطتين هامتين وذلك حسب التقسيم الطبيعى للآية الأولى الخراب والثانية البركة .

فالأولى : لماذا يترك لهم بيتهم خراباً ؟

لأنهم أعموا عيونهم عن الحق وقتلوا البرىء كقول أشعيا النبى : « أعمى عيونهم وأثقل آذانهم وأغلق قلوبهم حتى لا يرجعوا ليشفيهم » (اش ٦ : ٩ - ١٠) . لما أراد ييلاطس أن يقنع اليهود بأن المسيح برىء وأن الأولى بهم إطلاقه فى فرصة العيد والحكم على باراباس اللص القديم . صرخوا فى وجهه قائلين : أصليه . أصليه : ولما تضايقوا من الحاحه فى آخر

الأمر قالوا : دمه علينا وعلى أولادنا : كلمة سهلة على الأقواء قالها اليهود ولكن لسوء حظهم لم يترخوا في عواقبها ولم يظنوا أنها تنفذ عليهم وعلى أولادهم حرفياً وقد تنبأ المسيح على خراب الهيكل (مت ٢٤ : ١٥) وهذا هو الأصحاح الهام الذي يشرح لنا العلامات التي تسبق القيامة وخراب أورشليم ضمناً .

قال السيد له المجد : « لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (مت ٢٤ : ٣٤) وقد كان ودمرت أورشليم وأحرق الهيكل بواسطة الرومان . وقد مات نحو مليون نسمة من أولادهم بالجوع والسيف والصلب قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان شاهداً لتلك الحوادث . أنه لم يبق محل في أورشليم للصلبان ولا صلبان للناس . وقد ظل اليهود من ذلك الزمن الى الآن نحو عشرين قرناً وهم تائهون ومفروقون في أنحاء العالم وتحت الضغط في كل مكان ولم تستطع أمة سواهم أن تحتل ما احتملوه ذلك قصاص قولهم : دمه علينا وعلى أولادنا .

صحيح أن دم المسيح البريء قد وقع عليهم وعلى أعقابهم وسيكون وقعه أمر ما داموا مبتعدين عنه وغير معترفين به رباً ومسيحاً . قال صاحب الرؤيا : « هوذا يأتي مع السحاب وتنتظره كل عين ويبكى عليه الذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . وأسباب ذلك أولاً : وقوع الدينونة عليهم . ثانياً : لرفضهم يسوع مخلصاً لهم .

أيها الأتباع ليس اليهود وحدهم هم الذين ينوحون عليه لأنهم طعنوه فعلاً يوم الصلب بل ينوح معهم الذين طعنوه من كل أمة وجنس ومن المسيحيين أنفسهم الذين طعنوه ويطعنونه كل يوم بآثامهم ورفضهم إياه لأنهم يقبلونه إسماعاً ويرفضونه فعلاً . (عب ٦ : ٦) . وتوجد أمور كثيرة نطعن نحن بها يسوع المخلص الحبيب كل يوم :

- ١ — عدم محبتنا لبعض
- ٢ — عدم سماع كلمة الله وهجر الكتاب المقدس
- ٣ — تفضيل الذهاب إلى الملاهي والجلسات المستهزئة على الذهاب إلى الكنيسة والجمعيات .
- ٤ — عدم التناول من الأسرار الإلهية المقدسة .
- ٥ — التغافل عن الفقير والأرملة واليتيم فتقصيرنا في هذه الواجبات المقدسة يعد طعناً في جنب يسوع الذي قال : الحق الحق أقول لكم ان ما فعلتموه بأحد أخوتي . في قد فعلتم .

والثانية : حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب :

ان بيت اليهود بقى خرابا وآلامهم واضطهاداتهم وتفرقهم على سطح الأرض ما زالت ولكن الى حد محدود . وهذا الحد هو الوقت الذى يعترفون بأن المسيح هو ابن الله الحى وأنه هو هو المبارك الذى أتى باسم الرب وهو الذى صلبوه . نعم وليس ذلك فقط بل يتألمون وينوحون عليه كما ينوح الأب على وحيد له . وهنا يشترك كل واحد أن يسأل سؤالا وهو هل يا ترى يأتى وقت لليهود فيه يقبلون المسيح الحبيب وللأجابه على ذلك أقول نعم لأن الكتاب المقدس يقول فى (رو ٩ : ٢٧) : « وإن كان عدد بنى إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص » .

وانى أورد هنا بعض من النبوات التى لم تتم بعد ولكن إتمامها لا مفر منه فى المستقبل على أن اليهود سيرجعون وذلك من الكتاب المقدس نفسه :

١ — عندما أضيق عليك وتصيبك كل هذه الأمور فى آخر الأيام ترجع الى الرب الهك وتسمع لقوله (تث ٤ : ٣٠) .

٢ — لأن بنى اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم ولكن بعد ذلك يعودون ويطلبون الرب الههم وداود ملكهم ويعترفون بالرب ويحبونه فى آخر الأيام (هو ٣ : ٤ — ٥) .

٣ — فأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الى الذى طعنوه وينوحون عليه ككنايح على وحيد له ويكونون فى مراة عليه كمن هو فى مراة على بكره (زك ١٢ : ١٠) .

٤ — فأنى لست أريد أيها الأخوة ان تجهلوا هذا السر . فلما تكونوا عند أنفسكم حكماء — إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل الى أن يدخل ملء الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل ... فإنه كما كنتم أنتم مرة لا تطيعون الله ولكن الآن رحمهم بعضيان هؤلاء هكذا هؤلاء أيضاً الآن لم يطغيخوا لكى يرحمواهم أيضاً برحمتكم (رو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١) . حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب . وهذه العبارة مقتبسة من (مز ١١٨ : ٢٦) وقد وردت أيضاً فى (مت ٢١ : ٩) وهى الترتيلة المشهورة التى رتلها بعض التلاميذ والشبان والأطفال عند دخول يسوع بموكبه الحافل الى أورشليم عقب اقامته لعازر من بين الأموات . وسيترتها كل اليهود ذات يوم عن يقين بأن يسوع هو المسيا أى المنتظر المسيح ابن الله وسيرحبون به أى ترحيب ويأسفون ويكون ويندمون على رفضه وطعنه والتمثيل به فى الأيام السابقة هذا من جهة

اليهود . ولكن ماذا تكون حالتنا نحن الذين ولدنا من آباء وأجداد مسيحيين وعائشين
في وسط مسيحي ؟

هل نحن نقبل يسوع قبولاً حقيقياً .

هل نقبله مخلصاً وفادياً لنا فعلاً ؟

هل نصرخ بأعلى أصواتنا قائلين مبارك الآتي باسم الرب . وكأنني اسمع همساً في الآذان
— وكأنني أسمع البعض يقول نعم نحن نقول مبارك الآتي باسم الرب ساعة التوزيع . صحيح
نحن نقول ذلك ولكن هل نحن فاهمون لماذا نقول ذلك ؟ هل نحن فاهمون أن في تلك
اللحظة يكون ملك المجد مشرفاً المذبح المقدس ؟ وقد تحول الخبز والخمر إلى جسده ودمه
الأقدس حتى نقول المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة . ورش
الكاهن الماء إلى أعلى دليل على أنه له المجد في الوقت نفسه موجود في السماء لأن السماء
كرسيه والأرض موطنه قدميه .

ان كان الأمر كذلك فلماذا لا يحلو لنا السلام والكلام والحكايات وضرب المواعيد إلا في
هذه اللحظة عنها وقت التوزيع ؟

آه يا أحياناً أنكم تجلبون عليكم لعنة بدل البركة في تلك الساعة إذ كان من الواجب
ان نقف في الكنيسة بأدب وخوف ورعدة أثناء القداس الإلهي فمن باب أولى ان هذا
الاحترام وهذا الخوف وهذا الأدب يكون أضعاف ذلك وقت التوزيع حتى نقول مبارك الآتي
باسم الرب على حق . وحتى نكون فاهمين معنى ما نقول . ان العبادة التي يطلبها الله منا
هي عبادة القلب المنكسر والروح المنسحق كما قال داود النبي في ترانيلته . القلب المنسحق
والمنكسر يا الله لا تحقره . وان تكون عبادتنا مع السكون والمهدوء والنظام وعجم الكلام
والحركة قطعياً في الكنيسة حتى تتصل الأرواح بخالقها وتصفو الأفكار من كدرها ويتم
الشركة السرية مع الله وخصوصاً وقت التوزيع . وله المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى
الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الصوم الكبير لماذا سعف النخل ؟

« فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله » (يو ١٢: ١٣) .

باكر ، إن أراد الرب وعشنا ، سنحتفل بدخول السيد المسيح أورشليم راكباً جحشاً ، رمزاً لتواضعه وأنه ملك السلام . ولذلك حملوا في موكبه أغصان الزيتون . ولكنهم حملوا أيضاً سعف النخل . قال الإنجيل : « ولما كان الغد سمع الجمع الكثير الذين جاءوا إلى العيد أن يسوع أتى إلى أورشليم . فأخذوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله وهم يهتفون قائلين : « المجد لخلصنا : مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل » (يو ١٢: ١٣) .

إذا كانت أغصان الزيتون ترمز إلى دعوته إلى السلام ، من حيث أن المسيح هو ملك السلام ، فإن سعف النخل — يرمز إلى سيرة المسيح وسيرة الذين يتبعونه في طريق السماء . سعف النخل — يؤخذ عادة من قلب النخلة — يتميز ببياض لونه — ونصاعته . وفي بياضه يرمز إلى طهارة المسيح ونقاوته ، في قلبه النقى وسيرته الطاهرة . ليس في السعف ما يشين نقاءه وصفاء لونه . وكذلك « المسيح لم يصنع خطيئة ولم يوجد في فمه مكر » (١بط ٢: ٢٢) ، بل « ولم يعرف الخطيئة » (٢كو ٥: ٢١) . وقد قال جهراً « من منكم يكتنئ على خطيئة » (يو ٨: ٤٦) . ثم أن سعف النخل يتميز أيضاً باستقامته . وفي هذا يرمز إلى المسيح ، ملك السلام ، وإلى استقامته في سيرته وتعليمه وفي طريقه . « فإن طرق الرب مستقيمة » (هو ٩: ١٤) . وقد شهد عنه القريسيون وتلاميذهم مع الهيرودسين قائلين : « يا معلم ، نحن نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تحايى وجه إنسان » (مت ٢٢: ١٥ ، ١٦) .

وكما يتميز ، سعف النخل باستقامته يتميز أيضاً بجدته . وهذه الجدة في جوانب السعف وفي طرفه المدبب اللدقيق ، ترمز إلى دقة التعليم المسيحي وتدقيق السيرة المسيحية في التزامها بالمشيئة الإلهية بغير عوج أو انحراف ، وبعبارة أخرى ، أنها تُشير إلى أرثوذكسية الإيمان المسيحي وأرثوذكسية السيرة المسيحية معاً ، وهو ما تقتضيه الأمانة .

التامة للسائرين في طريق المسيح وعدم التساهل في الحق الإلهي ، وكما يقول الرب يسوع في سفر الرؤيا : « فكن أميناً حتى الممات ، وأنا أعطيك إكليل الحياة » (رؤ ٢: ١٠) وكما يقول أيضاً بقمه الطاهر : « ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجي » (رؤ ٢: ٢٥) .

إن أغصان الزيتون وسعف النخل يرمزان إلى فضيلتين عظيمتين تكمل إحداها الأخرى .

الفضيلة الأولى : هي فضيلة المسالمة والعمل على إيجاد السلام ، والسعى إلى صنع السلام في كافة المجالات — الإلهية والإنسانية ، الروحية والاجتماعية .

ثم الفضيلة الثانية : هي استقامة السيرة — واستقامة القصد واستقامة التعليم .

وإذا كان السلام يقتضى التسامح في الحق الخاص ، فإن الاستقامة تقتضى التدقيق وعدم التساهل في الحق الإلهي ، والحق العام وحق الغير . وإذا كان السلام ينطوى على الرقة والرحمة ، فإن الاستقامة تنطوى على الحزم والدقة والعدل . وإذا كان المسيح الملك أعلامه أعلام الزيتون وسعف النخل ففيه له المجد التقت الرحمة بالعدل في وحدة متكاملة من غير تعارض أو تنافر أو تناقض « فقد جعل الاثنين واحداً » (أف ٢: ١٤) . « الرحمة والحق تلاقي . العدل والسلام تلاهما . الحق من الأرض أشرق ، والعدل من السماء يطلع » (مز ٨٥: ١٠) .

هذا هو المسيح ، بل هذا أيضاً هو المسيحي السائر على درب المسيح — يجمع في حياته وسيرته وتعليمه الرحمة والعدل معاً ، السلام والاستقامة معاً : يجمع التسامح على قدر طاقته في حقه الخاص مع التشدد في حق الله وحق القريب . يقرن اللطف في غير ضعف مع الحزم في غير عنف . يجمع في شخصه الاثنين معاً دون أن يقع في تناقض . يسير نظراً وعملاً في طريق السلام مع الاستقامة والتدقيق ، في انسجام وتكامل ، واتزان وتوازن .

المسيح ملك ، لكن أين مملكته ؟ والآن ، وفي باكر اليوم العظيم ، في عيد أحد الشعانين ، دخل المسيح أورشليم معلناً أنه ملك . نعم . إنه ملك روحاني . ولكنه ملك ولكن فأين مملكته ؟

لقد قال المسيح إن مملكته ليست من هذا العالم ، وذلك حتى لا يزعم ملوك الأرض ولكي يطمئنهم أنه لم يأت لينافسهم ممالكهم الأرضية ، ولا جاء لينتزع منهم سلطانهم

الزمني ، موضحاً أنه ملك على صعيد آخر ، على مستوى آخر ، على طراز آخر .
وإذن فقد جاء ملكاً ، وليؤسس لذاته ملكاً ، وإن كان ملكاً على صعيد روحاني ،
لا مادي ، وعلى مستوى سماوي لا أرضي ، وعلى طراز أبدي ، لا زمني .

جاء ليكون ملكاً في الأرض ، كما هو في السماء . لم يكن من الأرض لأنه نزل
من السماء ، والذين يتبعونه يصيرون منتسبين للسماء وإن كانوا من الأرض . قال
لتلاميذه وللمؤمنين : « لستم من العالم بل اخترتكم من العالم . لأجل هذا يبغضكم
العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩ ، ١٧ : ١٤ - ١٦) .

وإذا كان المسيح ملكاً ، فأين مملكته ؟ مملكته في السماء . لكنه قد جاء من السماء
ليمد نطاقها إلى الأرض ، « ليصير ملك العالمين لربنا وللمسيح » (رؤيا ١١ : ١٥) . وهذا
هو سر الحرب التي أثارها الشيطان وجنوده بين الناس ، ضد المسيح ومملكته . وليست
المؤامرات التي حاكها اليهود للمسيح ، والمشاورات والمداولات والمحاكمات التي عقدها
له ، إلا تعبيراً عن الحرب التي أعلنها الشيطان « كرئيس لهذا العالم »
(يوحنا ١٣ : ١٢ ، ١٤ : ٣٠ ، ١٦ : ١١) ، على المسيح ، كرئيس للمملكة الجديدة التي نزل
من السماء ليؤسسها على الأرض ، حيث عرش الشيطان (رؤيا ١٢ : ٣) وقاعدة مملكته .
بل هذا هو سر التعارض الذي صار بين العالم ، بما فيه من شهوات وأطماع وشور ،
وبين المسيحيين كأتباع المسيح . أمسى العالم حرباً على المسيحيين ، وصاروا فيه
مضطهدين ومكروهين ، وعاشوا فيه أمعاء أو ماتوا شهداء .

قال المسيح له المجد : « إن كانوا اضطهدوني فسيضطهدونكم » (يوحنا ١٥ : ٢٠) .
ويقول بولس الرسول : « وجميع الذين يريدون أن يحيا حياة التقوى في المسيح يسوع
يضطهدون » (٢ تي ١ : ٢) . وكذلك أمسى المسيحيون حرباً على العالم والشيطان ،
يشهرون به ومبادهه ، ويقاومونه ، ويناقضونه ، ويعارضونه ، ويفضحونه .
وبالإجمال ، أمسى المسيح والشيطان على خطين متعارضين متعامدين . أحدهما رأسى
من فوق إلى أسفل ، والثاني أفقى من اليمين إلى اليسار . وكذلك أمسى أتباع المسيح
متعارضين مع أتباع الشيطان والعالم . وفي هذا يقول الرسول بولس : « قد صلب
العالم لي وأنا صلبت للعالم » (غلا ٦ : ١٤) ، إذن ، فإن كان المسيح ملكاً ، فالكنيـ
سة مملكته . والصليب هو علم مملكته . ولذلك يردد المسيحيون في الكنيسة وينادونه
بالمسيح ويلقبونه ربنا وإلهنا ومخلصنا وملئنا كلنا يسوع المسيح . وأما الكنيسة فهي
مملكة المسيح . وإذا صعد المسيح إلى السماء بعد صلبه وموته وقيامته ، فقد أصبحت

الكنيسة هي سفارة المسيح على الأرض ، وهي لذلك تمثله وتنب عنه وتتحدث
بلسانه ، وفيها مستودع أسرارهِ . والسفارة تنتمي إلى البلد الذى هي منه ، لا إلى البلد
الذى هي فيه . ونحن الذين آمنّا بالمسيح ، فقد قبلناه مخلصاً وفادياً ، فانتزعنا من فم
الأسد ، فصرنا له ، إذ اشترانا بدمه ، وصار المسيح ملكاً علينا ، وصرنا نحن مُلكاً
له . ساد علينا كمخلص وفادٍ ، وامتلكنا بحقِّ الشراء .

فما أسعد المسيحيين المؤمنين بالخلاص من الشيطان ومملكته ، وبالاتضمام إلى المسيح
ومملكته ، فصاروا به مفدين ومخلصين ومحبيين ومقدسِينَ . وقبل أن يدخلوا إلى جرن
المعمودية جحدوا الشيطان ، معلنين انفصالهم عن مملكة الشيطان وانضمامهم إلى مملكة
المسيح الرب . أما وسوف سنعيد باكر في يوم أحد الشعانين للمسيح ملكاً روحانياً
سماوياً ، ملكاً علينا وملكاً لنا ، فلنذكر في هذا اليوم رسالة مخلصنا وملكنا ومبادئه ،
وأنها تتعارض في صميمها وتتعارض مع رسالة الشيطان ومبادئه . ولا ننسى أننا لم نعد
ننتسب إلى العالم والشيطان ، بل صار اسم المسيح هو الذى يُدعى علينا ، وقد أصبحنا
للمسيح ، « وصارت أعضاؤنا للمسيح » (١كو٦: ١٥) (أف٥: ٣٠) فلا ندنسها
بالخطيئة والشر . ولا نخلط بين المسيح وبليلع — أى الشيطان — ولا نُدخل روح
العالم إلى الكنيسة ، حتى تبقى الكنيسة للمسيح عروسه الطاهرة ، « لا شائبة فيها ولا
وصمة ولا ما شابه ذلك » (أف٥: ٢٧) ، ولتبق كل نفس في الكنيسة « عروساً للمسيح
طاهرة نقية غيفة » (٢كو١١: ٢) . وإلهنا الذى تفضل وقبلنا إليه في مملكته ، نسأله
أن يحفظنا من شر العالم ودنس الخطيئة ، وينصرنا على الشيطان وكل جنوده الخفيين .
والظاهرين ، حتى نظل دائماً في يد المسيح ، ملكنا ولا يخطفنا الشيطان من يده
(يو١٠: ٢٨ ، ٢٩) .

« فإذا جاء في مجده وجميع ملائكته القديسين معاً » (مت٢٥: ٣١) ، أوقفنا على
يمينه في يوم الحساب العظيم ، ونادانا مع الأبرار والصديقين الذين يقول الملك الديان
لهم : « تعالوا أيها المباركون من أبى لتراثوا الملكوت المُعد لكم منذ إنشاء العالم »
(مت٢٥: ٣٤) . والآن ، فلنجدد عهدنا معه . ولنعلن فرحنا ورضانا بأننا من
أعضاء مملكته ، ولنشكره لأنه قبلنا إليه وضمنا إلى زمرة ، ولنحرص على كرامة مليكنا
ونسبتنا إليه ، فلا يجذف عليه بسيرتنا « ولنرفع علمه فوق رؤوسنا بحجة »
(نش٢: ٤) ، ولنرسم صليبه علينا بفخر قائلين مع الرسول بولس : « أما أنا فحاشا
لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لي وأنا صلبت
للعالم » (غلا٦: ١٤) . وإلهنا السجود والإكرام والتسبيح الآن وكل أوان أمين .

عظة إنجيل قداس الأحد السابع من الصوم الكبير

عيد أحد الشعانين

مبارك الآتي باسم الرب . أوصانا في الأعلى (مت ٢١ : ٩) .

جاء مخلصنا الى هذا العالم في أبسط مظاهر التواضع . وعاش حياته بعيداً عن كل ما يؤول الى الفخر والتمجيد . وتجنب كل تصرف ينتظر من ورائه مجد . ولكنه الآن اتخذ طريقة مخالفة لتصرفاته السابقة . فكان قبلاً يدخل أورشليم « لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته » (مت ١٢ : ١٩) أما الآن فقد أراد أن يدخل علانية . محاط بموكب عظيم ممجداً كملك آتٍ ليفتقد رعاياه وذلك لأنه أراد أن يرفع عن مجد ملكوته الحجاب الذي أخفاه في حياته ، وأن يعلن بذلك الاحتفال أنه المسيح ملك العالم الروحي الذي ينتظره اليهود ملكاً لهم .

+ لقد بين فيما مضى وظيفته النبوية بالوعظ والتعليم والإنذار .

+ والآن وظيفته الملكية .

+ كما أنه سيظهر عند صلبه وظيفته الكهنوتية .

لقد سبق وأعلن أنه ملك ولكن لم يعلن ذلك في أى مظهر من مظاهره .

ألم يكن يحذر من صنع معهم المعجزات لكي لا يقولوا لأحد ؟

ألم يحتبئ في الجبال بعد إطعام الخمسة الآلاف لما طلب الناس أن يجعلوه ملكاً ؟ وذلك لأنه كان يخشى أن تتعطل خدمته بتمجيده . أما الآن فقد دعت رغبته أن يعلن نفسه للعالم بأنه المسيا الى تحريك عواطف الجمهور ليهللو له ويعلنوا سمو سلطانه لأن ساعته كانت قد جاءت . بينما كان الكتبة والفريسيين يحاولون تقويض مركزه وإهانة هيئته إذا به يظهر في مثل تلك الهيئة والمجد السامي ، حتى ، ارتجت المدينة كلها وأخذ الجميع إندهاش حتى قالوا : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل . وهكذا أعطى العالم درساً بأنه لا يستطيع أحد أن يخفى مجد الله . لأن يسوع الهاديء الوديع استطاع أن يبيىء لنفسه احتفالاً فاخراً ابتداءً من جبل الزيتون حتى الميكل من جمهور التلاميذ والجموع المزدهمة والأطفال . وقد أحاط به الكل وهم يحمونهم تحية الملوك ، وبالغوا في إكرامه حتى فرشوا ثيابهم أمامه في الطريق وأمسكوا بأيديهم سعف النخل وأغصان الزيتون التي هي رمز النصر وشارة الفرح (رؤ ٧ : ٩) وهي رايات النصر وأعلام السلام ولن ترفع رايات السلام ان لم ترفع

« لرئيس السلام » (اش ٩ : ٦). هكذا جعل هيئة دخوله الى اورشليم مناسبة لازالة كل أوهام اليهود وتلاميذه في ما يتوقعونه من سلطان أرضى وعبد عالمي وذلك فانه بالرغم عن صراخ الجماهير الذين تقدموا والذين تبعوا القائلين هوشعنا فان طبيعة ملكوته الروحية ظهرت في كون تابعيه لم يحملوا سيوفا أو رماحا بل سعف النخل . وهو ذاته لم يركب جواداً كملك حربي بل جحشا ابن اتان وذلك علامة السلام والوداعة . يقول الشاعر :

قد جاء لا سيف ولا رمح ولا
فرس ولا شيء يساع بدرهم
دخل المخلص في ذلك الموكب الجليل ، وقبل تلك المظاهرات الفخرية ، ليرى خصومه شيئاً من عظمتهم واقتداره على اكتساب تكريم الجمهور إياه وعدم ميلاته بقوة خصومه وعدواتهم وأوامرهم ، وأنه قادر أن يخلص ذاته من بهكتهم إن شاء ذلك . فيكون إستسلامه لتعذيبهم وصلبهم إياه باختياره ليتم قصده من نزوله من السماء : « لأنه إذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) .

وكان دخول المسيح اورشليم في يوم الأحد العاشر من نيسان (وهو في أوائل الشهر الأول عند العبرانيين كان فيه اليهود يشترون الحملان الخالية من العيوب ليقدموها ذبائح بعد خمسة أيام ، فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم إليه بوصفه حمل الله المزمع أن يذبح عن العالم كله . وأيضاً لأن هذا اليوم كان يتفق مع عيد المظال وعيد الفصح الذي فيها كان اليهود يهرعون الى اورشليم للاحتفال بهذه الأعياد فأراد المسيح أن يوجه أنظارهم أيضاً بوصفه فصحنا الجديد الذي سيدبح من أجلنا ، حتى تطابق الحقيقة المثال . لأنه يجب أن خروف الفصح ، الرمز ليسوع كان يفرز في اليوم العاشر من شهر نيسان القمري ليؤكل بعد خمسة أيام (خر ١٢ : ٣ ، ٦) .

فليس عبثاً أن نرى يسوع حمل الله الذي يرفع خطية العالم يفرز علانية في اليوم ذاته مع الأغنام الكثيرة الرامزة إليه . ثم يذبح على الصليب وقت ذبحها في الهيكل بعد خمسة أيام (عب ١٠ : ٢٩) فلنشكر الله الذي دير بحكمته أن يدخل اورشليم علانية ليصلب حتى لا يستطيع أحد فيما بعد أن ينكر أنه مات في اورشليم . فافرحي يا اورشليم فها قد أتاك مخلصك راكباً على أتان كما قال زكريا . وهذا يذكركنا بموكب قديم حدث (١ صم ٦ : ٧) إذ قال فالآن خذوا وأعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلمها نير وأربطوا البقرتين الى العجلة وأرجعوا ولديهما عنهما الى البيت وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة وضعوا أمتعة الذهب التي تردونها له قربان آثم في صندوق بجانبه وأطلقوه فيذهب « فالعجلة القديمة التي لم يعلمها نير أى لم يركبها أحد كان يمتطيها تابوت العهد : الذي كان رمزاً الى الرب يسوع (عب ٩ : ٤ — ١١) .

يذكر يوسفوس المؤرخ المعروف أنه عند دخول السيد المسيح أورشليم ركباً على جحش ابن أتان كان حوله مليونان ونصف مليون نسمة بلغ هتافهم عنان السماء ، هذا الجمهور الفقير كان قد حضر من كل مكان ليحتفل بالفصح وكانوا يهتفون : أوصنا في الأعلى يا ابن داود . مبارك الآتي باسم الرب . ذاك الذى قضى حياته وديعاً أعلن بدخوله أورشليم بذلك الاحتفال الملوكى أنه هو بعينه الذى قيل عنه قديماً أن أباه السماوى خاطبه قائلاً : « أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصى الأرض ملكاً لك » (مز ٢ : ٧ ، ٨) وقيل له أيضاً : « أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك » (مز ١١٠ : ١) يقول عنه داود النبى : « يسجد لك كل الملوك وكل الأمم تتعبد له » (مز ٧٢ : ١١) .

لقد بهت الكتبة والفريسيون عندما شاهدوا الجماهير تحمى المسيح تحية الملوك الظالمين ، لأنهم اعتبروه أقل شأنًا منهم نظراً لوداعة حاله . وفاتهم ان ملوك العالم العظماء قد بادوا ونسيت أسمائهم أما اسم يسوع فانه يهتف بمجده كل لسان كان يهتفون له قائلين : « أوصنا لابن داود . مبارك الآتي باسم الرب . أوصنا في الأعلى » (مز ١١ : ١٠) هذا المزمور الذى قال عنه بعض المفسرين ان اليهود رتلوه لأول مرة في حفلة تدشين الهيكل الثانى . ومعنى أوصنا أى خلص وهى مأخوذة من (مز ١١٨ : ٢٥) . آه يارب أنقذ ، مبارك الآتي باسم الرب . باركتكم من بيت الرب . فهو المخلص الوحيد الذى دعى اسمه : « يسوع » لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (مت ١ : ٢١) . وفى كل جيل وجد ألفوف فى يسوع خير مخلص لهم من أحلامهم الثقيلة : « يسوع هو وحده القادر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله . إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

بقى سؤال فى هذا المقام : هل خلاص المسيح يعمل فيك وفى حياتك اليومية وفى بيتك ليظهرك من كل خطية ؟ هل حياتك تعلن عن حصولك على الخلاص حقاً وهل حركاتك وسكناتك ونظراتك ولسانك ، كلها تعلن عن بركات هذا الخلاص ؟ اسأل نفسك !!

حينما أراد يسوع أن يدخل أورشليم كملك فما هو السلطان الذى استعمله ليجذب الجماهير إليه لتهتف له ؟ ليس بقوة وعنف ساق إليه الناس لاحتفل به . انه له المجد لم يستخدم أية قوة أو حيلة للأتيان بالجموع ، بل هم الذين شعروا بمجاذبية غريبة لأنهم نظروا القوات التى صنعها يسوع وآمنوا به وفتقد بنوع خاص فيسوع مع أنه يملك كل قوة يستطيع أن يجذب بها الجمهور لكنه لم يستخدم غير لطفه ومحبه . فجعلهم فى تلك

الساعة يتمثلون فضائله ومعجزاته وخبراته . ويقوة خدمته لهم ومحبة إياهم جعلهم يمتنون له . وكان هتافهم منبعثاً من قلوب شاعرة بفضله . ومن أقدرة مملوءة بالاحساس بجميله واحسانه .

يسوع هو الملك الوحيد الذى بنى ملكه على المحبة . فلم يستخدم أى سلاح لتحويل الأنظار إليه إلا سلاح المحبة . لهذا نجد ملك المسيح دائماً يتسع ويمتد ويبقى لأن الرهبة لم تكن يوماً سلاحه لتأييد ملكه . ولم ينبغى أن نفرح نحن لأن ملكنا على هذه الحال من الحب لنا . قال زكريا النبی عنه مخاطباً أورشلیم : « هوذا ملكك يأتى اليك . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وجحش ابن اتان » (زك ٩ : ٩) . فالصفة التى وصف بها ملكنا هنا هى أنه وديع . ان الملوك عادة يوصفون بالعظمة والكبرياء والجهروت . ولكن هذا الملك الفريد علمنا ان الوداعة صفته كملك . لأنه حتى فى هذا الاحتفال الذى أراد فيه أن يكشف الحجاب عن حقيقة ملكوته أثار أن يأتى وديعاً راکباً على جحش ، وقد كان فى قدرته أن يحمل على أجنحة الرياح أو خفيف أجنحة الملائكة لكى يبيد أعداءه بنفخة من فيه . ولكنه لا زال ميالاً الى السكينة والهدوء ، جاعلاً نفسه تحت سلطة أعدائه فى الوقت الذى أراد أن يظهر فيه سلطانه المطلق .

+ دخل أورشلیم على صورة تحفظ هيئة الاتضاع الموافق لوظيفته الفدائية . فما أعظم هذا الاتضاع الذى يبدو من ملك الملوك ذاك الذى رآه الأنبياء : « جالساً على كرسي عظمته يتعظم فى السحاب على مركبة الكاروبيم على كرسي عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل » (أش ٦ : ١) . ليعلمنا أن العظمة لا تقوم فى المظاهر الفاخرة بل فى التواضع والوداعة . لأن العظيم عظيم بنفسه لا بما يحيط به . ان كثيرين يحاولون بلوغ العظمة بالتربع فى المراكز الرفيعة . ولكن ليست العظمة فى المناصب بل فى من يتقلدونها . فيسوع سكن المذود ، وركب الجحش ، وصعد الى الصليب . ومع ذلك لم يزل مجده ملء كل الأرض . التواضع يرفع المتواضعين . وهكذا نرى يسوع فى حياته على الأرض فى أقل مظاهر تواضعه كان يثق بانتصاره النهاى . أنظروا إليه وهو يدخل أورشلیم كملك تراه يبكى . لم يعبأ بذلك المظهر المفرح لأنه كان يرى المستقبل . والذين هتفوا له يوم الأحد قائلين أوصنا صرخوا يوم الجمعة أصليه . أصليه .

إن كلمة الهتاف التى رتلوها أمامه يوم دخوله أورشلیم قائلين مبارك الآتى انتقلت بدساتر الكهنة الى الصراخ أمام الوالى فقالوا له عن يسوع خذه أصليه ولكنه لم يبال مطلقاً ، كأنه فى يوم الأحد لم يسمع الهتاف وفى يوم الجمعة لم يسمع الصراخ . كان فى سلام سواء فى المدح أو فى الذم . وما دام يقدر لنفسه الانتصار فإنه لا يعبأ بالمظاهر

الخارجية . لذلك لما أوقف أمام ييلاطس كمنذب صرخ أمامه قائلاً أنا ملك . والذي يراه حينئذ في مظهر دعتة وضعفه يهزأ بقوله هذا ولكن الذي يرى ملكه الآن ممتداً من أقاصي المسكونة الى أقصائها يهتف قائلاً : المجد لك أيها الملك الصالح .

أنظروا إليه وهو داخل أورشلیم . من هم الذين استقبلوه وهتفوا له ؟ لم تكن عساكر والى اليهودية ، أو ملك اليهود . أو الكتبة والفريسيين بل أطفال صغارهم الذين أعددهم وهياً منهم سبباً كما قالت النبوة : « من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً بسبب أضدادك لتسكت عدو ومنتمم » (مز ٨ : ٢) لقد فرحت أورشلیم وتم بما قاله زكريا : « رابطا بالكرمة جحشيه وبالجفنة ابن أثنائه » (تذك ٤٩ : ١٠) .

هل قلوبنا اليوم مغلصة عابدة . ونفوسنا متلهلة هاتفة للمسيح أوصنا مبارك الآتى باسم الرب ؟ سدت أفواه الكتبة والفريسيين ولم يمجّدوا واكتفى بهتاف الأطفال ، سكت الرؤساء والشيوخ لأنه أعد منهم هتافاً آخر وهو قولهم لييلاطس أصله . فهو لا يريد أن ينطق الأشرار باسم جلاله ، أو « يتحدثوا بعهدته على أفواههم » (مز ٥٠ : ١٦) . ولا يرغب أن يقبل التمجيد من قوم إسودت قلوبهم وامتلأت افئدتهم اثماً وفساداً . أنه في غنى عن تسييح الشفاعة المتعودة التكلم بالكذب والمكر والرياء والخداع . فهو ممجد من كل خليقته « السموات تحدث بمجد الله . والفلك يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) . من المسلم به ان مخلصنا اختار الفقراء والأولاد ليرغموا بتسييحه لأن بساطة القلب المملوء حب هي أفضل صفة تجعل تسييحنا مقبولا لديه . فيجب أن نبذل الكبرياء والانفخا إذا أردنا أن نعبد الله فان المتواضعين وحدهم هم الذين يستطيعون تسييحه .

دخل المسيح أورشلیم ، وهرع الشعب لاستقباله بفرح وبساطة قلب . رحب به المرضى الذين شفاهم ، والحزاني الذين عزاهم ، والجهال الذين أنار عقولهم . وبين هؤلاء كان جماعة الفريسيين وكانت قلوبهم المملوءة حسداً وحقداً اسمعهم يقولون للرب أن يتهر تلاميذه واسمع رد الرب عليهم « إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق » (لو ١٩ : ٤٠) .

يقول مفسر شرح بشارة لوقا وهو يعلق على هذا الكلام فيقول : اذن كانت الحجارة أفضل من قلوب الفريسيين ، فالحجارة جامدة ، لكن قلوبهم جاحدة ، وكَم من مرات تشهد فيها أحجار أثرية قديمة لمجد المسيح وصدق رسالته فيتم فيها هذا القول حساً ومعنى !! هل في هذا القول إشارة ضمنية الى ما جاء في حبقوق : « لأن الحجر يصرخ من الخاطيء » (حب ٢ : ١١) . إن غيظ الفريسيين أكل قلوبهم كنار حين شاهدوا الآلاف المؤلفة تتهتف للمخلص ، ومن غيظهم نسمعهم يقولون بعضهم لبعض « انظروا انكم لا تنفعون

شيئاً هوذا العالم قد ذهب وراءه : (يو ١٢ : ١٩) .

تلك شهادة قوية على عظمة رسالة المسيح ، وفي نفس الوقت على الحسد التي كانت تنلظي في قلوبهم وجوانبهم .

فأصبر على حسد الحسود
والنار تأكل بعضها
أتى المسيح الى اورشليم لكي يرد سبيها ويعيد اليها سعادتها . وكان المنتظر من هذه المدينة ان
تقابل خبر مجيئه بالانجاء والسرور . ولكننا نرى فيها قوما يحزنون حزناً مفرطاً لما رأوه وعندما
سمعوا هتاف الأطفال ازدادوا هما وكمداً . « وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها »
(لو ١٩ : ٤١) في يوم عيده يبكي . يا للعين الطاهرة ، ما لهذه الدموع التي تنزل
منها . الشعب مبتهج بك وبت اورشليم تهتف لك وأنت تبكي . إنه لا ينظر الى اليوم أو
الساعة التي هو فيها ... إنه ينظر اورشليم بعد حوالي نصف قرن ونيف تقريباً يوم حاصرها
تيطس الروماني لشرها وتصلب رقاب أهلها . إن اورشليم عنها مغموضة ولا تعرف الحنأ
لها . أنها اليوم في سرور عظيم . ولكنها لا تعرف ما سيكون : « إنك لو علمت أنت حتى
في يومك هذا ولكن قد أخفى عن عينيك ستأتى أيام يحيط بك أعداؤك ويحاصرونك من
كل جهة » (لو ١٩ : ٤٢ - ٤٣) .

رأى المدينة العظيمة ، وهيكلها وجمالها الذى لا يزول على حد تعبير أحد المؤرخين .
 رأى المدينة ستهدم وهيكلها لا يبقى منه حجر على حجر لا ينقص . فبكى على المدينة
 التى ستصبح يوما من الأيام خرابا جزءا شوها . ان الله الذى يتمهل لا يهمل ، والذى يترك
 الشئ مدة من الزمان لا يتركه إلا ليرجع ، ولكن المدينة الخاططة والشعب الذى يصر على
 العناد قالوا لننتظرهما . « ويل للأمة الخاططة الشعب الثقيل الإثم » (اش ١ : ٤) . « إنا
 نستبين بغنى لطف الله وإمهاله وطول أناته غير عالمين ان لطف الله إنما يقتادنا الى التوبة »
 (رو ٢ : ٤) . لإرفع رأسك وأنظر الى عين يسوع تدمع .. تدمع على عاقبة شر
 أورشليم . انه لا هم له سوى البكاء على الخطاة ، لا يعبا بدمع ولا بهتاف ولا بتوبيخ ولا
 بطعام ، ان له طعاما آخر أن يسعى لخلاصك وان يرى خالك . انه موافق على البكاء من
 أجل خلاص النفس طول الليل أعوم فراشى بدموعى . إن بنات صهيوت عندما رأوا يسوع
 حاملا صليبه رقت قلوبهن ودمعت عيونهن . لم يقدم يسوع الشكر لمن على هذا الشعور
 ولكنه قال : « لا تبكين علىّ .. بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن » (لو ٢٣ :

(2A

كان الشعب في سرور وكأنه الطير يغرد ولا ينظر الى السهم الذى سيصوب نحوه بعد قليل ليرديه الى الأرض ميتاً . ما لنا لا ننظر الى مستقبلنا . ان مستقبلنا ومستقبل أولادنا في حاضرتنا . نعيش في فرح وسرور وبإلته فرح في الرب حقاً . « افرحوا في الرب وأقول أيضاً افرحوا » (في ٤ : ٤) ، (١ تس ٥ : ١٦) . ولكن حتى في أعيادنا وافراحنا في أعياد الرب ننسى الرب . لو كنا في هذا اليوم نفرح الرب ونتناول باستحقاق . إن يسوع لا يهتم المظاهر والافراح التقليدية . إنه ترك الهاتفين يهتفون ... ونظر الى المدينة وبكى عليها . انه دخل الهيكل ولم يسر بكثرة الناس فيه . ولكنه ثار ثورته الكبرى وطرد الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل قائلاً لهم : « مكتوب يبنى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (مت ٢١ : ١٣) لقد أكلت قلبه نار الغيرة على بيته الطاهر « غيرة بيتك أكلتني » (يو ٢ : ١٧) . إن حمل الله الوديع الذى لم يطفىء فتيلة مدخنة يقلب موائد الصياغة وكراسى باعة الحمام ويطرد الأشرار من بيته لأن بيته تليق القداسة . أيها الاحياء ربما تظنون ان التشخيص أو التمثيل الذى تمثلونه في الكنيسة اليوم يكون فيه شرف وفخر لكم . أنظنون ان الله يقبل صلواتكم وصراخكم عندما تقولون مبارك الآتى باسم الرب أوصنا يا ابن داود أوصنا في الأعلى . بهذه الضجة وذلك التشويش ؟ الا فاعلموا ان هذه الحالة تفضب الله كثيراً ولا تجلب علينا بركة ما لأننا نمثل هيئة سوق بالتمام فان الرجال والنساء يتكلمون والبعض يضفرون الخوص والأطفال يجرون كأنه على مسرح تمثيل . ولا يمكن لأى إنسان أن يتصور أن تلك الهيئة تدل على العبادة ولا يعتقد أن الله يقبلها .

أيها الاحياء انها ساعة لنستيقظ من النوم قد آن الوقت الذى فيه نعبد الله بخوف . ان الله لا يقبل منا الصلوات الشفوية التى نتلوها بدون عقل . قال السيد له المجد للمرأة السامرية : الله روح والساجدون له بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا . ان العبادة التى يطلبها الله منا هى عبادة القلب المنكسر والروح المنسحق كما قال داود في ترتيلة القلب المنسحق والمنكسر يا الله لا تحقره وان تكون عبادتنا مع السكون والهدوء والنظام وعدم الكلام والحركة قطعياً في الكنيسة حتى تتصل الأرواح بمخالفها وتصغر الأفكار من كدرها وتم الشركة السرية مع الله وخصوصاً وقت التوزيع . ولكن للأسف الشديد فإن كثيرين يغيظهم صوت الحق ، ويصرون على عنادهم . غير مكترئين ببناء مخلصهم .

كلنا يعرف الشقاء والعناء الذى يتكبد به اليهود منذ رفضهم للمسيح الى الآن . فليحذر كل منا لئلا يجلب على نفسه غيظ القدير برفضه إياه . الرب يحبنا كما أحب تلك المدينة التى نظر إليها وبكى بهذه الطريقة يطلب قلوبنا . يظهر يسوع لتلك القلوب كضيف

وكمملك واقف على الباب فأى شيء تريد أن تقول له ؟ هل تفتح له الباب قائلاً تفضل مرحباً بك يا سيد ، أم تقول له أخرج لا تريد أن هذا الانسان يملك علينا » (لو ١٩ : ١٤) . الرب بمجيوش الخلاص يحتفل كل يوم بدخول قلوب المؤمنين . أما إذا كان فينا قلب أورشليمى تعود أن يرفض دعوته فإنه يرجع عنه حزينا باكيا مهددا إياه بالهلاك الأبدى . أما القلب الذى يفتح بسرور قائلاً : مبارك الآتى باسم الرب . فإنه يصبح مركزاً لحلول ابن الله ، كقوله له المجد : « هأنذا واقف على الباب وأقرع . ان سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه واتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) . وقال أيضاً : « ان أحببني أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٣) .

ان دعوة المسيح للخلاص هى دعوة فردية لكل إنسان . فهو يأتى لكل إنسان قارعا بابه كما جاء لأورشليم . انه أعطى فرصة لليهود ليقبلوه ولكنهم رفضوا . وهو يعطينا هذه الفرصة الآن فماذا نقول ؟ التلاميذ فرحوا فرحاً عظيماً يوم دخول سيدهم إلى أورشليم . على أن فرحهم هذا لا يذكر بالنسبة إلى فرح وابتهاج شعبه فى يوم مجيئه الثانى ليملك الملك الأبدى جهاراً . لأن فرح التلاميذ المشار اليه كان وقتياً زائلاً وتحول بعد فترة قصيرة إلى حزن وبكاء ولكن فرح المؤمنين فى يوم مجيئ سيدهم الأخير سيكون أبدياً لا نهاية له ولا يشوبه حزن . وحين يأتى يسوع بمجده وجلاله وقيم ملكوته المجيد لا يجسر أحد أن يتفوه بكلمة على ملك الملوك بل سيترف كل لسان أن يسوع المسيح رب مجد الله (فى ٢ : ١١) . وله المجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكّار ظهور الصليب المجيد حياة التلمذة

« إن ثبت في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي » (يوحنا ٣١: ٨) .

إن الحياة المسيحية هي حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب .
والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل ألقاها لتلاميذه ، إذ يقول الكتاب المقدس :
« تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلًا » (مت ٢٥ : ٢) .

والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما
أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتعلموا جميع الأمم » .

ذلك أن الحياة المسيحية هي حياة تلمذة . « فالمولود أعمى » عندما دافع عن المسيح
له المجد قالوا له : « أنك تريد أن تصير له تلميذًا . بل إنهم شتموه وقالوا له : أنت
تلميذ ذاك ، ونحن تلاميذ موسى .

إن الذي يتبع المسيح هو تلميذه . وفي عهد الرسل يقول الكتاب المقدس : « كان
عدد التلاميذ يتكاثر جداً » بمعنى عدد المؤمنين . مفروض أن الإنسان يتلمذ على حياة
المسيح والتلمذة ليس معناها أن تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها
أنك تتلمذ على حياة وتعاليم تمتصها وتعيش فيها ، وليس مجرد سماع فقط ، فكل المؤمنين
يسمعون الإنجيل في القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ؟
للإجابة على هذا السؤال نبحت الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة ،
إذ قال في يوحنا (٣١: ٨) « إن ثبت في كلامي فبالحقيقة أنتم تلاميذي » بمعنى أنه
ليس بمجرد سماع كلامه قد صرت تلميذًا له . لكن المهم أن تثبت في هذا الكلام
وتتدرب عليه وتحوله إلى حياة . هذه هي التلمذة .

والمسيح أيضاً يقول إن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له ، منهم :

+ من لا يترك أباه وأمه .

+ من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء .

+ الذي لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة إذن ليس معناها مجرد أن تسمع كلاماً . فإن لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وترك كل شيء من أجل المسيح ، لا تستطيع أن تكون له تلميذاً ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل — للتلمذة — حين يقول لهم : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي ، إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض » (يوحنا ١٣: ٣٥) . والتلمذة إذن حياة معينة ، يتعلم فيها الإنسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيى به . ونحن نريد أن نرى أنواع التلمذة .

أول هذه الأنواع — الإنسان الذي يتعلم على الكلام :

على معلم يأخذ منه إرشادات ونصائح وتعاليم . ومن هذا النوع كان كثير من الرحالة يسافرون البر والبحر ليأتوا إلى آباء البرية ليأخذوا من أحدهم « كلمة منفعة » هذا النوع من الناس ، يأخذ الكلمة ، ويبدأ يدرب نفسه عليها ، ويجعلها دستوراً لحياة . كل كلمة طيبة يسمعا يحفظها في قلبه ولا ينساها . هذا تلميذ طيب . أما الذي ينسى الكلام والمعلومات فهو تلميذ فاشل .

وهناك أشخاص يتعلمون طول العمر نتعلم على وصايا الله وكلماته ، والروح الذي نأخذه من المثل العليا مهما نال الإنسان من مركز ومهما بلغ من العمر . إننا في ذلك نسمع أن البابا ثاوفيلس الثالث والعشرين — كان يذهب إلى البرية للرهبان ليتعلم وليسمع كلمة منفعة ، والكتاب المقدس في ذلك يقول : « إن الاستماع أفضل من التكلم » (١ صم ١٥: ٢٢) .

ونحن نسمع عن القديس مكاريوس الكبير الذي نشر الرهبة في الأستيط وله آلاف من أتباعه الرهبان . هذا القديس يقابل الصبي زكريا . ويقول له يا ابني يا زكريا ، قل لي كلمة لكي انتفع . فسجد أمامه الصبي زكريا وقال له : يا أبى أنت سراج البرية ونورها وتطلب مني كلمة . وتسألني أنا ماذا أفعل لكي أخلص ؟
فأجابه القديس قائلاً يا بني أن الروح القدس الساكن فيك أعلن لي أنه يوجد عندك شيء ينقصني ، أريد أن أعرفه .

لقد كان القديس العظيم مثلاً لإنسان يريد أن يتعلم والشخص الذي يريد أن يتعلم ويتعلم ، يستفيد من أى معرفة روحية ، أياً كان مصدرها . تماماً مثل الأنبا أفرام السرياني . قابلته ذات مرة امرأة خاطبة وظلت تنظر إليه فقال لها يا امرأة أما تستحي أن تنظري إلي بهذا الشكل ، فقالت له : أنا أشعلت من رجل ، فأنظر إلى الرجل

الذى أخذت منه ، وأنت أخذت من التراب ، فانظر إلى التراب الذى أخذت منه ، واستطاع القديس أن يأخذ حكمة من كلامها .

بل أن سبب سكن القديس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان فى البرية امرأة خاطفة . فقد كان يسكن إلى جوار النهر . وجاءت امرأة وخلعت ملابسها ونزلت لتستحم . فقال لها القديس : أما تستحين أن تخلعى ملابسك أمامى وأنا راهب ؟ فقالت له : لو كنت راهباً لسكنت الجبال والبرارى وقد كان .

إن الشخص الذى يريد المنفعة والتعليم يلتقط الكلام أينما وجد ويستخرج منه الدروس لروحه التواقة إلى التلمذة .

كان ذلك أول نوع من التلمذة . التلمذة على الكلام .

النوع الثانى — هو التلمذة على الحياة :

وهذا النوع معناه ، أن يمتص المتعلم الحياة من الناس دون أن يتكلموا . حدث ذات مرة أن زار البابا ثاؤفيلس الدير ، وقال الناس للأنبا بافلوتىوس . وكان مشهوراً بالصمت . قل كلمة — لكى يتفجع البابا — فأجابهم قائلاً : إذ لم يتفجع من سكوتى ، فمن كلامى أيضاً سوف لا يتفجع ، وكان درساً .

والأنبا شيشوى ذات مرة أتوا إليه بتلميذ جديد طالب رهبنة لكى يعلمه . فمكث التلميذ مدة كبيرة والقديس لا يقول له شيئاً . لا أوامر ، ولا إرشادات ولا توجيهات . فشكاها للشيوخ الذين ذهبوا للقديس يستفسرون عن سبب ذلك الموقف ، فقال لهم القديس : أنا لست رئيساً ، ولا مديراً حتى أمره أمراً من الأوامر . إنما أنا أشتغل أمامه وأعيش فما يراه يستطيع أن يفعل مثله ويتعلم .

لا تظن أن المعلم هو الشخص الذى يعطيك كلاماً كثيراً . أبداً . وإنما تتلمذوا على الأمثلة الحية الطيبة التى ترونها أمامكم .

هكذا كان القديس أنطونيوس العظيم فى بدء رهبته ، لم يكن هناك مرشدون لكى يسترشد بهم ، وإنما عاش فى وسط النساك يتعلم منهم . يأخذ من واحد فضيلة الصمت ، ومن آخر فضيلة الوداعة ، ومن ثالث فضيلة الزهد . وهكذا . حتى لقد قيل عنه أنه كان كالنحلة التى تمر على الزهور المختلفة تأخذ من كل زهرة رحيقاً .

عينا أننا نريد أن نأخذ جميع الفضائل من شخص واحد . كل واحد يقابلك خذ منه صفة طيبة . هذا لمن يريد أن يتلمذ . أن يمتص الحياة .

ذات مرة ذهبت مجموعة من الناس إلى أيينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس لتتعلم منه وأخذ كل من أفراد المجموعة يوجه إلى القديس أسئلته . إلا شخص واحد أمضى الجلسة كلها صامتاً يستمع . ولما سأله القديس عن سبب ذلك قال له : يكفيني النظر إلى وجهك يا أباي . ذلك أن هذا الشخص أراد أن يتعلم مما يراه من قسمات وجه القديس الأنبا أنطونيوس وسماحته وبشاشته هل تظن أن أذنك فقط هي الوسيلة الوحيدة للتعلم والتعليم . عينك أيضاً وسيلة جيدة لهذا الغرض ، فانظر ، وتعلم ، تعلم من الحياة .

إن القديس أرسانيوس الكبير لم يكن يتكلم إلا نادراً ، وكان الناس يتعلمون منه وهو صامتاً . كانوا يتعلمون من سكوته ومن هدوئه ومن اجتهاده في العمل الروحي .

وهكذا كان المتوحدون الصامتون . كانوا هم أنفسهم عظات ودروساً . بل أننا نأخذ دروساً من حياة الذين رقدوا أيضاً . وليس فقط من الأحياء . ومن أجل هذا نقرأ سير القديسين لتتعلم من حياتهم . ومن ذلك لا بد أن نذكر قول السيد المسيح أن ملكة التيمن ستقوم في اليوم الأخير وتدين هذا الجيل ، لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهودا أعظم من سليمان ههنا . درس ملكة التيمن أنها جاءت من بعيد لتسمع الحكمة وتتعلمها من سليمان . وهكذا ، فإن الله أعطانا في الكتاب المقدس صوراً من حياة الأنبياء ، ومن حياة الرسل لكي نتعلم من حياتهم ونتعلم . والكتاب المقدس يقول لنا : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بهم » (عب ١٣ : ٧) .

إذن . أنتم في حياتكم على الأرض ، رأيتم وترون أناساً صالحين كثيرين ، فإذا لم تستفيدوا وتتعلموا من هؤلاء الصالحين الذين رأيتموهم في حياتكم . فسيدينكم الله في اليوم الأخير وسيكون هؤلاء الصالحون دائنين لكم ، تماماً مثل ملكة التيمن التي قال السيد المسيح أنها ستدين هذا الجيل .

والتعلمة ليست مجرد قراءة ، وإنما هناك تعلمة على الحياة . كالأطفال الذين لا يقرأون ولكنهم يتعلمون ويتعلمون من الحياة . ولذلك فإنك ستدان في اليوم الأخير إذا قدمت للأطفال دروساً ضارة تلتف حياتهم وإذا لم تقدم لهم القدوة الصالحة والمثل الطيب خذ درساً من كل صفة فاضلة تراها في إنسان ما . مثلما دعانا السيد المسيح له المجد أن نأخذ درساً من « قائد المئة » الأعمى الذي قال السيد المسيح عنه : « لم أجد في إسرائيل كله إيماناً مثل هذا الرجل » (لو ٧ : ٩) . ومثلما دعانا السيد المسيح لنأخذ درساً من « السامرية » ومن « المرأة الكنعانية » . خذ درساً . وتعلم على الحياة . الحياة التي تحياها وتراها ، والحياة التي تقرأ عنها .

أخيراً النوع الثالث من التلمذة — هو التلمذة على الكتب :

ومنها الكتب التى فيها كل الفضائل والإرشادات والسير الحسنة ، فاقروا الكتب وتعلموا منها وتعلموا عليها . إن لم يوجد من يعلمكم . فتعلموا من الكتب . والشخص الذى يريد أن يتلمذ ، عليه أن يقرأ كثيراً ويتأمل ما يقرأ ، ويلتزم المعرفة كالجائع الذى يقول عنه الكتاب المقدس : « طوى للجوع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (مت ٦:٥) .

لقد كان أوريجينوس العلامة الكبير ، يستأجر المكتبات ليبيت فيها يقرأ حتى الصباح . لدينا كثير من الكتب . فلماذا لا نقرأ .

إن هذه المطبوعات الكثيرة ، والكتب الوفيرة سوف تدبنا فى اليوم الأخير ، لأننا رفضنا أن نتلمذ وأن ندرس وتعلم ونعرف . اقرأوا كثيراً ... وتعلموا وليكن تدريباً روحياً لكم أن تقرأوا كثيراً .

ولربنا وإلهنا المجد إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية تذكار البشارة

موقفان

« وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة » (لوقا ١٧: ٣٧) .

كان معلمنا لوقا كاتب الإنجيل الثالث بشيراً ونذيراً ، وطيباً ماهراً ، ويقول تقليد قديم إنه كان فوق ذلك رساماً مبدعاً ، ومصوراً قديراً .

فلا عجب إذا تميزت بشارته عن سائر البشائر بالصور الجميلة التي أضفاها عليها الوحي المقدس . وبين تلك الصور ، بل في مقدمتها ، تلك الصورة الخطيرة التي أرانا فيها الطفل يسوع مولوداً من عذراء ، فملأ هذه الصورة بدقائق فنية رائعة خلا منها كل إنجيل آخر . مما يدل على أنه استقى هذه المعلومات رأساً من القديسة مريم العذراء .

ولم يزل اليوم لم ير العالم صورة تحاكي في بعض جمال صورة البيت الذي هجرته السعادة لأن « الابن الضال » قد هجره ، ولم يبق فيه إلا الابن الأكبر ، يمشى في رحلته بكل عجب وخيلاء ، يستتران من خلفهما كآبة صامته خرساء ، لأن أباه ترك الدار ، أو كاد ، فلا يقضى فيه إلا بعض الوقت في أطراف الليل والنهار ، منتظراً خارج البيت حتى يرى أن ابنه الأصغر إليه قد عاد .

ومن ينسى تلك الصورة الرائعة في جمالها التي رسمها في نهاية الأصحاح السابع من بشارته الخالدة ، فأرانا فيها شخصين على طرف نقيص — أولهما رجل مغتر بهره الذاتي غارق في لجاج هذا الغرور ، لدرجة أن يياض رداء بهره الذاتي قد طلق على جسمه فتحوّل إلى برص ، فخلع عليه الناس لقب « سمعان الفريسي » لكن ، من خلال يياض بهره الذاتي توسوس شياطين فساده وكبريائه وحسده ، وترقص أفاعي المكر والدهاء في رحبات قلبه الجاحد وتلمع عيناه الزجاجيتان نظير كرتين من الثلج ، لا تديهما حرارة أنوار « شمس البر » الذي أضحي منهما قاب قوسين أو أدنى ، فلا شيء يعادل غلظ القلب في جحوده مثل العين في جهودها .

مقابل هذا الشخص المعتد بهره الذائق ، أبرز معلمنا لوقا الإنجيل في صورة بشارته الخالدة شخصاً آخر يقف من هذا الشخص الأول موقف النقيض من النقيض .

فإذا كان الأول رجلاً ، فالثاني امرأة . وإذا كان للأول اسم هو علم من الأعلام ، فإن الثاني بغير اسم — وكل ما قاله فيها الوحي إنها « امرأة خاطئة » . وإذا كان الرجل قد غرق في لجج البر الذائق الثلجي ، فإن المرأة قد غرقت في حمأة الرذيلة .. وإذا كان الرجل قد نظر إلى المسيح بعينين جامدتين جاحدتين ، فقد تعذر على المرأة أن ترفع نظرها إلى المسيح ، لأن عينها كانتا غارقتين في لجج من دموع الاعتراف والندامة والشكر . وإذا كان الرجل قد قدم للمسيح شيئاً من الطعام ، فإن المرأة سكبت عند موطيء قدميه الطاهرتين طيباً خالصاً كثير الثمن .

ومع أن شخصية هذه « المرأة الخاطئة » غير معروفة بالضبط ، وقد قامت حول التحقيق من اسمها الحقيقي مناقشات ومجادلات ، إلا أنه يحلو لنا أن ننظر إليها في موقفين .

الموقف الأول — المرأة الخاطئة في توبتها وندمها :

يضيف معلمنا لوقا الإنجيلي في هذه الصورة الرائعة ندم تلك المرأة الخاطئة وصفاً دقيقاً ، لا يقوى عليه إلا شاهد عيان « إذ علمت أن المسيح متكئ في بيت القريسي ، جاءت بفارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من وراءه باكية ، وابتدأت تبل قدميه بالدموع ، وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب » (لوقا: ٣٧: ٣٨) .

في إباحيتها ، كانت مواضع القوة فيها مواطن الضعف ، فاضحت مواهبها العالية علة سقوطها .

لكن في ندامتها وتوبتها ، قد جعلت من مواضع فخرها وإعجابها أداة لانتضاعها وتوبتها وندامتها . فعيناها اللتان اجتذبت بهما أناساً ، فأغوت ، وأغرت وأسقطت وقرحتهما دموع التوبة والندامة . وشعرها الذي كان لها في وقت مجيئها تاج مجدها وجلالها ، قد اتخذت منه أداة للانتضاع عند موطيء قدمي المسيح ، فمسحت به قدميه . ومجدها الذي تفاخرت به في أيام زهوها ، قد وضعته سكيناً عند قدمي الفادي المجيد .

هذا ما حدا بإحدى القديسات الثابتات أن تقول في ذل وانتضاع أمام الله : « إن وجهي هذا الذي خدعت به العالم ، فكان يوماً معبودي ، وحاولت أن أخلع عليه زينة الدنيا ، ها هوذا اليوم يغطيه الخزي والخيال أمام مجدك وجلالك » . وفي هذا

الصدد يقول جريجورى بلسان المرأة الخاطئة فى ندامتها وتوبتها : « ليزبل أمام بهاء قدسك جمالى الفانى . ولتصبح عينائى منذ اليوم ينبوعين للدمع المنهمر . وليكن شعر مجدى موطئاً لتقديمك الطاهرتين » .

الموقف الثانى — المرأة الخاطئة فى تكريسها وتعبيدها :

لقد ظهر تكريسها فى كسر قارورة الطيب الكثير الثمن وسكيه عند موطئ قدمى المسيح . فسواء أكانت قد اكتنزت هذا الطيب من بلاد العرب أو من عطور صور وصيدا أو خلاصة زهور لبنان ، فإنها قد جاءت بأفخر ما اكتنزت ، وعطرت به قدمى المسيح .

فالتكريس يقوم بتقديم أعز ما عندنا ، ووضعه عند قدمى المسيح ، فيتقدس بلمسته . ومالم يشمل التكريس حياتنا بجزئياتها وكلياتها فلا يمكن أن يكون تكريساً بالكلية !! وإذا ما قال يهوذا وكل من على شاكلته « لماذا هذا الإلتلاف » ؟؟—وجب أن نقول له : إن كل خسارة فى سبيل المسيح هى خير ربح . وإن كل إلتلاف لأجل اسمه هو خير كسب .

فإذا ما قيل للفلاح الذى يئذر بذاره فى الأرض ويطمرها ، وهو يقطعها من قوت أولاده : « لماذا هذا الإلتلاف » ؟؟ جاز له أن يقول إن كل إلتلاف فى فن الزراعة هو خير ربح ، لأن الحبة إن لم تدفن فى الأرض وتمت لا يمكن أن تأتى بشعر كثير . لكنها إذا ماتت أتت بثمار كثير — ثلاثين وستين ومائة .

وكذلك كل شئ نقدمه للمسيح ونكرسه له ، يُعيده إلينا مباركاً أضعافاً مضاعفة . فالصبي الصغير الذى قدم للمسيح أرغفة الشعير ، قد فرح إذ رأى أن قوته الحقير قد أشبع أكبر الجماهير ، وفى نهاية اليوم حمل معه إلى البيت أضعاف ما أعطى المسيح . فكان هذا التكريس سبباً فى بركة الآخرين وبركته هو على السواء .

هذه هى معجزة النعمة ، وعصر معجزات النعمة لم ينقص بعد .

فيا إله المرأة الخاطئة ويارب السامرية . قدس نفسى لذاتك ولخدمتك واقبل منى تكريس حياتى لمجديك الأعلى .

ولك المجد دائماً — آمين .

عظة إنجيل قداس اليوم التاسع والعشرين من برمهات

عيد البشارة

فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) .

إن البشرية بتجسد الإله الكلمة من أحشاء العذراء النقية لخلاص البشرية ، هي أفضل للبشائر السارة على الإطلاق ، إذ لم يسبق لها نظير ولن يكون لها مثيل . والكنيسة التي قبلت تلك النعمة المبشر بها ربت ان تحتفل بذلك في مثل هذا اليوم من كل عام للأنياب الآتية :

أولاً : تنفيذاً لصوت الوحي بلسان إشعياء النبي القائل : « على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون . ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعى لا تخافى . قولى لمدين يهوذا هوذا إلهك ، هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له » (اش ٤٠ : ٩ — ١٠) .
والقائل أيضاً : « استيقظى استيقظى إلىسى عزك يا صهيون إلىسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس » (اش ٥٢ : ١) .
والقائل أيضاً : « قومى استبرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب قد أشرق عليك » (اش ٦٠ : ١) .

ثانياً — لأن هذه البشارة كانت فاتحة الخلاص لأن عقب البشارة الولادة وعقب الولادة الكرازة وعقب الكرازة الفداء وبالفداء خلاص الجنس البشرى .

ثالثاً — تمثلا بالعذراء والدة الإله التى قالت بعد قبول البشرى « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٦ ، ٤٧) .

انتظر العالم إتمام نوبات مجيء السيد المسيح له المجد (من آدم حتى المسيح) بحالة استغاثة قصوى للانتقاذ والاسعاد لا تقبل مزيداً . حتى ولى الزمان فأنحدر البشر الملائكى يزف البشرى الى العالم أجمع فى شخص سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مريم . والذى يلفت الأنظار فى ظرف البشارة أن السيدة العذراء لم يهلها منظر الملاك التورائى ولم تخفه كتركيا وغيره ممن ظهرت لهم الملائكة إذ من المؤكد الظاهر من تحيته العظمى لأقنومها السعيد أنه ظهر أمامها بكل مهابة واحترام كالتأيد العظيم يحى ملكته الجليلة . نعم نعم لا شك فى ذلك ألم تكن والدة إلهه وخالقه ؟ ألم يقل لها (القدوس المولود

منك يدعى ابن الله) فكيف لا يكرم ويعظم أم خالقه العظيم !!

إذا مِمَّ قد اضطربت إن كانت لم تخف من أُنومه ؟ لقد اضطربت من كلامه فقط وهنا لغز مستتر يجب فكّ طلسمه . هو قد بشرها انها تلد الابن الإلهي وهى قد كانت فى الوقت نفسه مخطوبة ليوسف فلماذا تضطرب من كلام يبشرها بالحبل العظيم هذا فتقول له كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟ حقاً ان هذا إلا لغز عظيم . لماذا لم تقل له كما كان المنتظر منها . إن شاء الله اتوق الى نوال هذا الشرف الرفيع ولكن فقط بعد زواجى ييوسف وها نحن أولاً قد مهدنا له بالخطوبة الرسمية ؟ نعم كنا ننتظر من المخطوبة جواباً مثل هذا للملاك إن كان فى نيتها ونية يوسف زواج فعلى . ولكن ليس الحال كذلك فقد عقدا النية على زواج استعارى لا فعلى ولذا قد اندهشت من البشرى لظنها ان الذى تلده يكون من زرع بشر . ففهم الملاك الطوباني قصدها وجاء إليها بما أُلجج صدرها إذ قال لها : « الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلللك (بدل الزواج البشري) لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . فاستسلمت المخطوبة للنعمة الإلهية بدورها قائلة بكل تسليم ورضى وإيمان وفرح مع تواضع جزيل قائلة : ما دام الحبل بقوة الله الغير المحدود وليس من زواج بشرى فأنا أمة الرب فليكن لى كقولك . ففاق إيمانها هذا بلا حصر إيمان زكريا الذى شك فى وعد الله وطلب علامة لاثمائه ولذا مدحت البصائيات إيمان مريم واذ قد فكّ اللغز وظهرت لنا سبب اضطراب مريم من كلام الملاك بطريقة ترجع العقيدة والضمير معاً لتتقدم الى موضوعنا

البحث الأول

أسباب حلول الروح القدس على السيدة العذراء ونتائجها
سبق عرفنا خوف السيدة من كلام الملاك وأسبابه وأنه أجابها بما طمأنها من جهة نظرها وإتمام بشارته فى صفة واحدة باسناده الأمر الى قوة الروح القدس وهنا نريد فحص أهم الأسباب بالتتابع فنقول :

١ — السبب الأول ليظهرها الروح القدس بحلوله عليها من فساد خطية آدم . وخطاياها العقلية .

ولابد للباحث فى هذا المجال أن يعرج على بعض المعتقدات المسيحية ليمحصها تمحيصاً ويقابلها بالعقيدة الأرثوذكسية المؤيدة بالكتاب المقدس ليظهر جمالها وتتجلى روعتها مع عظيم بساطتها .

يعتقد بعض المسيحيين أن السيدة العذراء قد حبلت بها أمها حنة من أيها يواقيم بلا دنس الخطية مطلقاً وبعبارة أوضح يخلون مريم من وقت الحبل بها حتى نياحتها من كل خطية أصلية أو فعلية . ويعتقد غيرهم أن مريم كانت خاطئة على الدوام في جوهرها وأفعالها ككل انسان متسلسل من الأيوين الأولين آدم وحواء . ويعتقد الاثوذكسيون غير ذلك . ومأموريي الآن تفنيد هاتين العقيدتين وتأييد العقيدة الاثوذكسية تقريراً للحق والواقع بدون تحيز أو تعصب .

أولاً — تفنيد العقيدة الأولى :

من المسلم به إننا نرث فساد الخطية الآدمية من آباينا لا من أمهاتنا وذلك لأن الوصية أعطيت لآدم قبل أن تخلق حواء — فآدم إذاً هو المسئول مباشرة أمام الله عن كسرها . قال بولس الرسول : « بإنسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ اخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) . وبالبديهي أن الأب دوماً يمثل آدم في توريثه فساد الخطية لنسله وتمثل الأم حواء فلا تورث . ومعلوم أن للسيدة العذراء والدأ هو يواقيم أورثها فساد الخطية الآدمية ثم قد بنى كيانها من اقنوم حنة الخاطيء وعليه تكون مريم قد ولدت من والدين خاطئين قد ورثت من الأول فساد الخطية ومن الثاني فساده . فكيف يمكن أن يقال والحالة هذه أن السيدة العذراء نفسها قد حبل بها بلا دنس ؟ ان هذا لتعد فظيخ على نواميس الطبع والتورث لم يقل به أحد غير هؤلاء المتفلسفين .

ويؤكد صدق قولي هنا شهادة السيدة العذراء نفسها عن نفسها بلسان الوحي اذ قالت في (لو ١ : ٤٦ — ٤٧) « تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى » . اذاً هي تعترف أنها تحتاج الى خلاص ابنها وإلها أسوة ببقية الناس ولا يحتاج الى الخلاص غير الخاطيء ثم لا خطية فعلية تتأق ما لم يكن هناك خطية أصلية في جوهر الخاطيء فكيف يقولون عنها بعد شهادتها أنها قد حبل بها بلا دنس ؟ فان صدق قولهم تكون مريم قد شذت عن القاعدة الآدمية العامة التى لم يشذ عنها إلا واحد فقط وهو الإله المتأنس وحده . لأنه مكتوب الجميع زاعوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله فلو وجد من يشذ عن ذلك لما كان داع لنزول الرب للخلاص بصفته الالهية والانسانية المنزه عن كل خطية . وإكلاً لهذا البحث علينا ان نتصور معترضاً يقول وهل وجد بين الناس من حبل به وولد ومات بلا دنس الخطية ؟ أقول لم يوجد ولن يوجد من ينطبق عليه ذلك الا واحد لا ثانى له وهو رب المجد يسوع المسيح الإله المتأنس . لأنه وحده ولد من امرأة غير متزوجة وحكمة ذلك

ظاهرة وهى لكيلا يرث من أب أرضى فساد الطبيعة الآدمية اذ الأم لا تورثها كما سبق القول ولذا قد دبر الله منذ الأزل وأعلن فى كتابه المقدس « ان نسل المرأة (لا الرجل) يسحق رأس الحية (أى إبليس) ونسل المرأة هو المسيح وحده إذ لم يقل أنسال المرأة كأنه يتكلم عن كثيرين (تك ٣ : ١٥) وقيل لداود من ثمرة بطنك (لا صلبك) أقيم على كرسيك من يجلس الى الأبد (مز ١٣٢ : ١١) ومعلوم ان الأولاد كثمرة البطن ينسبون الى الامهات وكثمرة صلب ينسبون الى الآباء فهذه الآية تشير الى ولادة السيد المسيح ملك اليهود من مريم ابنة داود وهى بكر طاهرة وزاد اشعياء هاتين النبوتين إيضاحاً بقوله « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً » (اش ٧ : ١٤) وكل هذا كان بترتيب إلهى لكى لا يرث السيد المسيح فى ناسوته فساد الخطية الآدمية من أب بشرى مع انه شاركنا فى كل ضيقاتنا ما عدا الخطية .

قال بولس الرسول : «قاله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولجل الخطية دان الخطية فى الجسد » (رو ٨ : ٣) ولا يقصد بشبه الجسد أن الرب اتخذ جسداً خيالياً حاشا بل قصد خلو جسده من الخطية محلولاً تماماً .

ثانياً — تنفيذ الاعتقاد الثالى :

القائل ان ولادة الإله كانت خاطئة من الحبل بها حتى نياحتها كبقية الناس .
وليسمح لى القارئ قبل التنفيذ أن أسمى أهل هذا المعتقد بأهل التفريط كما سميت سابقهم بأهل الإفراط — نستخلص من بحث التنفيذ الماضى شيئين :

الأول : حكمة أن يولد الرب من بكر بدون زواج حتى لا يرث فساد الخطية .

ثانياً : ان مريم نفسها كانت خاطئة قبل أن يحل الروح القدس عليها ويطهرها .

لكن ان سلمنا مع هؤلاء القوم أن كيان مريم كان خاطئاً فاسداً حال الحبل الإلهى المقدس بها أفلا يأخذ السيد المسيح من هذا الكيان الفاسد (كزعمهم) كياناً فاسداً فيكون ولو نصف خاطئاً واذ ذاك فلا يصلح ان يكون مخلصاً للخاطئين ؟! فماذا عملتم باعتقادكم الخاطئ هذا يا أهل التفريط ؟ ولست أدري ما سبب عداوتكم لمريم وأنتم تدعون انكم عباد ابنها ونسيتم أن مقام مريم قد ارتفع رفعة مقام ابنها . هل نسيتم أنه هو نفسه له المجد قد أكرمها وخضع لها حال كونه رها ؟ (لو ٢ : ٥١) .

ثالثاً — تأييد العقيدة الأثوذكسية :

١ — يعتقد الأثوذكسيون أن مريم قد ولدت خاطئة كبقية الناس واثرة فساد الحف . الآدمية من يواقيم وكيان الخطية من حنة ومع كونها كانت أقرب الناس الى الطه . الكامل والسيرة الفاضلة فى حياتها قبل البشرى مع ذلك لم تخل من الخطية ولكنها اختيرت

ان تكون أما خالقها وإلهها حل عليها الروح القدس فظهرها من كل فساد الخطية
الآدمية وايضاً الخطية الفعلية حتى صارت أقدم من ملائكة النور ومن آدم يوم
خلقته ولذا صارت مريم طاهرة كإل الطهر بعد ان لم تكن كذلك فأخذ السيد
المسيح منها ناسوتاً كامل الطهر بلا دنس ولا فساد الخطية الأصلية أو الفعلية اذاً
المقطوع من الظاهر طاهر ولا محالة فتأمل عظمة وجمال وروعة العقيدة الأرثوذكسية
مع جميل بساطتها وسهولة تعبيرها وقابلها مع غيرها من العقائد المسيحية في هذا
الصدد تجدها في غاية الصحة والانطباق على آيات الكتاب المقدس مريحة للضمير
فنشكر الله الذى أبقها سليمة كما هي بلا زيادة ولا نقصان .

٢ — السبب الثانى . ليكون منها وفيها ناسوتاً للمخلص . وفي هذه الحالة يقوم الروح
القدس مقام الزوج المفقود في هذا الجبل المقدس كما يقول قانون الإيمان — هذا الذى
من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس
ومن مريم العذراء تأنس — فكانت مريم المعدن الطاهر الذى كون منه اقنوم الروح
القدس للابن الإلهى ناسوتاً — وقد مهد الله لهذه الحقيقة في العهد القديم فوق النبوة
بعمل نبوى آخر اليها . فقد رأى نبوخد نصر فى الحلم جبلا (اشارة الى مريم جبل
الطهر بعمل الروح القدس الأول) قطع منه حجر بغير يدين (اشارة الى ولادة الرب
المتأنس منها بدون زرع بشر بل بقوة الروح القدس) فضرب وصار (هذا الحجر)
جبلا عظيماً ملاً الأرض كلها (والضرب إشارة إلى صلبه) الذى قصد به اليهود
استئصال ذكره من الأرض فجاءت النتيجة عكس ما اعتقدوا واذا بموته امتد دينه
وصار دين العالم كله كقول هذه النبوة (دا ص ٢)

٣ — السبب الثالث لحلول الروح القدس عليها :

هو وقايتها وحفظها من أن تحرق وتتلأشى بلهب نيران المحيط اللاهوتى الذى يحل
في أحشائها أعنى به لاهوت الابن الإلهى الغير محدود — معلوم ان الله مجرداً من
الناسوت هو نار آكلة — ومؤكد ان الانسان بازاء هذه النار قش يابس ضعيف
وفان — والابن هو الله ومريم انسان — فكيف يمكنها البقاء حال حلول الابن فيها ما لم
تصنها وتحفظها قوة الروح القدس ١٩

تاق موسى ان يرى الله وألح في ذلك فاسمع ما قاله الله له : « لا يقدر الانسان
ان يراى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) . فان كان الناس أجمعون لا يمكنهم الحياة ان
سمعوا الله يتكلم مجرد كلام أو رأوه مجرد رؤيا فما بالك في مريم وهى انسان فقط

كيف يمكنها أن تحيا ولجج اللاهوت حالة بكاملها في أحشائها ؟ أمر محير ومنظر مدهش جداً ولكن مهلاً أيها الحبيب فقد تؤمن أن الله قادر على كل شئ . وهذا حسن وحق لا ريب فيه . فهذه القدرة غير المحدودة صانت مريم من التلاشي حال حلول اللاهوت في أحشائها . وقد مهد الله لعلمه بضعف عقولنا لهذه الحقيقة قبل حدوثها بدليل مادي في التاريخ المقدس . فقد رأى موسى ناراً قوية جداً تشتعل في شجرة في الجبل وهي لا تحترق فتحير موسى كعلامة تهذب بكل حكمة المصريين في أمرها (خر ٣ : ٢ — ٥) .

كانت الشجرة والحال فيها رمزاً الى مريم واللاهوت حال في أحشائها وهي مصنوعة محفوظة بقوة الله لم تحترق ولم تتلاش . « فيالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن منه وبه وله كل الأشياء » (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٦) . وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل قداس خميس العهد الكبير

سر الافخارستيا

هذا هو جسدى . هذا هو دمي الذى للعهد الجديد (مت ٢٦ : ٢٦ ، ٢٨) .

يتكون الانسان من جسد وروح .
فالأول تراه لأنه من الأرض أخذ وما تنبتة يتغذى ويحيا . فكل هذه الأطعمة والأشربة والملابس والمساكن التى يستعملها الانسان لإتمام جسده وتقويته مصدرها الأرض ولا ينفع جسد الانسان غيرها .

والثانية سماوية إلهية لأنها من الله أعطيت وطعامها وغذاؤها من الله من السماء من المصدر الذى أخذت أو أعطيت منه لا يفيدها غذاء غيره . وليس لموضوع عظتنا علاقة بأطعمة الجسد وغذائه بل هو روحى ولا سيما هذا الفصل الذى خصصناه للتكلم عن وجوب تناول المسيحيين من جسد الرب ودمه الأقدسين لذلك نريد أن نفصل ما يجب على المؤمنين وبنين فائدة التناول من مائدة الرب المقدسة فنقول : ان الرب يسوع لما وعد تلاميذه بإعطائهم جسده ودمه قال عن نفسه : أنا هو خبز الحياة . آباءكم أكلوا من فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبدله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٤٨ — ٥١) .

فهنأ أوضح السيد له المجد أنه القوت الموافق لطبيعة الروح وقال عن جسده أنه حياة النفوس والأرواح . من يأكلنى يحيا . هذا وفى ليلة آلامه مثل هذا اليوم : « أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وقال عن الخبز . خذوا وكلوا . هذا هو جسدى . وعن الكأس . اشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨) . ثم أعطى رسله سلطاناً لأن يصنعوه لذكروه كما صنع (لو ٢٢ : ١٩) .

وهكذا اقتضى جوده الإلهى وسخاؤه العميم وحبه العظيم ورحمته بنا نحن الخطاة أن يعطينا ذاته قوتاً وغذاءً خلاصياً تحت شكل الخبز والخمر . وذلك لكى يبرئنا ويشجعنا على التناول منها لأنه لو لم يحتجب تحت هذه الأعراض لما استطاع المؤمن أن يتناولوا جسده

ودمه الأقدسين باعراضهما الظاهرة فكان عمله هذا وقوله في يوحنا ٦ مبرهنا على ان جسده ودمه هو طعام النفوس وغذاء الأرواح ولذلك أصبح من الواجب على كل مؤمن يريد حياة نفسه وتقوية روحه أن يتناول من جسد الرب ودمه ولا يهمل أمر يتوقف عليه اتحاده مع الله وثباته فيه ونموه في الحياة الروحية وإلا فإن من يهمل هذا الواجب لا تكون نفسه حية : « قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦ : ٥٣) . ومن لا تكون له حياة في نفسه ليس مسيحياً لأن المسيحي يجب أن يكون حياً . قد صار الرسل على الطريقة التي رآهم الرب يسوع نفسه (أع ٢ : ٤٢ ، ٤٣) وسلموا السر الذي استلموه من الرب نفسه كما سلموه لخلفائهم من بعدهم (١ كو ١٠ : ١٧ ، ١١ : ٢٣ — ٢٦) .

وهكذا صار تناول من جسد الرب ودمه فرضاً واجباً على كل المسيحيين . كذلك الكنيسة أمرت بنبيها أن يتقدموا كثيراً الى مناوله جسد الرب ودمه الأقدسين . وقد فرضت عليهم أن يفعلوا ذلك في الأصوام المفروضة . بعد أن ينقوا ضمائرهم بالتوبة والندامة الحقنة . وغرضها من ذلك اتحادنا بالمسيح الذي قال : « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) .

ثم أننا اذا تأملنا تاريخ الكنيسة نجد أن المؤمنين في القرون الأولى كانوا يتناولون الأسرار المقدسة في كل قداس كهنة وعلمانيين ونساء وأولاد وأثبت ذلك القديس اكليمنطس وقد جاء في أوامر الرسل وقوانين المجامع ما يؤيد ذلك حيث قيل . ولتقرب الأسقف أولاً وبعده القسوس والشمامسة وبعدهم سائر الشعب وبعد الذكور تتناول النساء وليرتل الى أن يتناول القربان كافة المؤمنين ولأجل هذا كانوا يقدمون قرايين كافية لمناوله الأكليروس .

ان المسيح أعطانا هذا السر لكي نتناول منه حياة لأنفسنا فواجب أن نتناوله لكي نحيا به . اننا اعضاء في جسد المسيح السرى وواجب أن نكون والمسيح جسداً واحداً ولا وسيلة لاتحادنا به ولجعلنا واحداً معه . إلا بمناولتنا جسده الأقدس ودمه الكريم . اننا أغصان في الكرمة يسوع ولا يمكن الفصن أن يثبت وينمو ويثمر ويشمر إلا اذا كان متحداً بالكرمة ومتأصلاً فيها كذلك نحن لا يمكننا أن ننمو في الحياة الروحية ونثمر في العمل الصالح إلا بتناولنا من ذاك الغذاء الخلاصى الذى يثبتنا فيها ويوحدنا معه كما قال له المجد (يو ٦ : ٥٦) .

اننا كغرباء ومسافرين في برية هذا العالم الى الوطن السماوى نحتاج الى قوة تعين ضعفاتنا وتساعدنا على السير في طريق السماء بدون كلل أو اعياء ولا واسطة لذلك إلا بمناولتنا من

هذا الخبز الحى النازل من السماء إذ يقوى فينا روح الرجاء ويشجعنا على مواصلة السير مع الله كل أيام غربتنا كما كان المن قديماً لشعب الله .

اننا ضعفاء ومن أنفسنا لا نقدر أن نعمل شيئاً ولكننا نستطيع كل شيء بالمسيح الذى يقويننا . ولا يمكن أن نحصل على هذه القوة إلا باتحادنا بجسد الرب ودمه الكريم . اننا لابسون جسد الخطيئة ونعيش فى عالم موضوع فى الشرير وكل أعماله شر والخطيئة عجيطة بنا ولا يمكننا أن ننجو من شرورها ولا أن نحفظ أنفسنا من دنس العالم إلا باقترابنا من الرب واشترائنا فى عشائه السرى فإنه يميت فينا الحاسات الشريرة ويصلب لإنسان الخطيئة الساكن فينا ويحيى فينا الانسان الجديد فنحيا حياة الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنا وبذل نفسه لأجلنا وأعطانا جسده لنحيا به وهو يحيا فينا . اننا خطاة ولا يمكننا أن ننال مغفرة خطايانا ونحصل على صفح الله عن آثامنا إلا بتناولنا من هذه الويلمة التى أعدها لنا لمغفرة الخطايا وهى تذكّر موته الكفارى . لقد أوضحنا فى وجوب الاشتراك فى سر الافخارستيا . على أن ذلك التقديم (التناول) لا يجب أن يكون اقتحاماً بل يجب أن يستعد له المسيحى استعداداً لأنه مزعم أن يقترب من الرب نفسه ويتناول من مائدته الربيه التى تشبهى الملائكة أن تطلع عليها وذلك كما سترى .

أولاً — من العهد القديم :

قد أمر الله موسى قديماً بأن يستعد الشعب ويغسلوا ثيابهم ويتطهروا لليوم الثالث لاعطائهم الشريعة (خر ١٩ : ١٠ ، ١٤ ، ١٥) وأمر بالاستعداد عند تقديم الذبائح التى كانت رمزاً للذبيحة الصليب (خر ٢٩ : ٣ ، ١٨ ، ١٩) وإذا كان الاستعداد واجباً على المتقدمين للشريعة والذبائح الرمزية . أفليس هو بالأولى واجباً على راغبي الاشتراك قبل الاقتراب من الذبيحة الحقيقية الغير دموية . جسد الرب ودمه الأقدسين . بل يجب أن نمتحن أنفسنا ونفحص ضمائرنا .

ثانياً — من العهد الجديد :

قال القديس بولس : « ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ودمه » (١ كو ١١ : ٢٨ ، ٢٩) . وإذا كان الله قضى على كل نفس تتقدم الى الذبيحة قديماً وهى نجسة بقوله : « تقطع تلك النفس من شعبها » (لا ٧ : ٢٠) . فأى عقاب يستحقه الذين يقدمون لمناولة جسد الرب ودمه . بقلوب شريرة وضمائر نجسة انهم بلا شك يأكلون ويشربون دينونة لأنفسهم لأنهم لم يميزوا جسد الرب ودمه . وهذه

الحقيقة ثابتة قد أوضحها الرسول في كلامه على الذين أقدموا على مناوله عشاء الرب بدون استحقاق بقوله : « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى كثيرون يرقدون » (١ كو ١١ : ٣٠) .

ثالثاً — أن عظمة السر وجلال واضعه الرهيب :

يقتضيان هذا الاستعداد ويستلزمان تهية النفس واعدادها له وفحصها فحصاً دقيقاً قبل الاقتراب منه . وإلا أى إنسان يستطيع الاقتراب من مائدة الملك بأثواب رثة وأيد قذرة ؟ وهل يجزئ إنسان مهما كان عظيماً على المثل بين يدي الملك فضلاً عن الجلوس على مائدته الملوكية اذا كان خائئاً ؟ إذاً كيف يجسر المؤمن على الاقتراب من الملك العظيم « الذى هو نار آكلة » (عب ١٢ : ٢٩) . « ومن منا يسكن فى وقائد أبدية » (اش ٣٣ : ١٤) . بل كيف يجسر على الاشتراك فى مائدة الرب الرهيبة وهو مدنس النفس والجسد ؟ إن من يتقدم أن يأكل جسد الرب ودمه وهو عارف بنفسه أنه على خطأ مميت أو دون مهابة واحترام كما اذا تقدم وهو سكران أو ظالم مثل الكورنثوسيين فانه يلذنب الى جسد الرب ودمه ذنب من قتل المسيح وأراق دمه كما قال ثاوفيلاكصوص ، وحكمه فى ذلك حكم يهوذا واليهود من حيث الخيانة والاهانة كما قال تاولديطوس .

قال القديس باسيليوس : كما أن من يجلس على مائدة الملك وهو مضجر العدواة والبغض له يسخطه ويفضبه كذلك من يتقدم الى مائدة المسيح وهو من أعدائه فانه يهين المسيح لا بل إهانة مثل هذه أكبر وأفظع بكثير لأنه يأكل جسد المسيح نفسه . أن السيد المسيح فى مثل عرس ابن الملك قال : « فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا وليس عليك لباس العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجله ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ٢٢ : ١١ — ١٣) .

هكذا يعامل الله أولئك الذين يقدمون على مناوله عشاءه السرى وهم ملوثون بالخطايا . أو هم على حال منافية لقداسة الله « القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ : ١٤) .

رابعاً — ان مفاعيل السر الخلاصية تحم علينا هذا الاستعداد :

قال الله لموسى : « كل من مس لحم الذبيحة يتقدس » (لا ٦ : ٢٧) كذلك الذين يتناولون جسد الرب ودمه باستحقاق يتطهرون ويتقدسون بل يحيون حياة أبدية .

والاستعداد لاقتبالنا هذا السر المقدس يجعلنا نربح هذه البركات ونجني هذه الأثمار الخلاصية ودمه يسبب لنا خطراً عظيماً ويجلب علينا ضرراً كبيراً إذ نجزم في جسد الرب ودمه . قال أحد الآباء : فكما أن طعام الجسد يقويه وينمي في حالة الصحة ويضر به في حالة المرض . هكذا السماوى الذى هو جسد ودم مخلصنا يسوع المسيح يعطى قوة وحياة أبدية للذين يتناولونه باستحقاق ويكون نأراً ملتبه للذين يتناولونه بغير استحقاق . أى الذين لم ينقوا ضمائرهم بالاعتراف ولم يستعدوا الاستعداد اللازم قبل أن يتقدموا إليه .

وقال يوحنا ذهبى الفم : أريد أنيها الاخوة أن أذكركم بما قلته لكم مراراً كثيرة عن الوقت الذى نتناول فيه من أسرار المسيح المقدسة فاني حين أراكم في الخلال (تهاون) وعدم مخالفة تستوجب النوح أبكى وأقول في ذاتي ألعن هؤلاء غير عارفين من هو الذى يقفون أمامه ولم لا يتأملون في قوة السر ؟ وهكذا احق واستاء بغير ارادتي ومن ضيقة النفس أحاول الخروج من وسطكم وإذا نحت أحدكم لا يكثر أهدأ لكلامى بل يتقدم على كائى ظلمته يا له من عجب ان ظالميكم والآخذين ما لكم لا تغضبون عليهم بمقدار غضبكم على أنا الذى أريد خلاصكم أنا خائف عليكم ومرتعداً جداً لعلمي بالمجازاة التى تصير لكم من الله عوض تهاونكم بهذا السر العظيم . يا ترى هل تعلمون ما هو الذى تريدون أن تتناولوا منه ؟ هو الجسد المقدس الذى لله الكلمة ودمه الذى بذله عن خلاصنا هذا الذى اذا تناول منه أحد بغير استحقاق يكون له عقوبة ومحقا كما كان يهوذا الذى أسلم الرب بعد أن تناول منه بغير استحقاق (عظة ١١ على ثلاث البصخة) . وقال أيضاً : كما سلم يهوذا المسيح وأهانته هكذا يبينه المتناولون جسده بغير استحقاق .

والقديس كبريانوس : أخبر أن بعضا من الذين أكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا الى الأفخارستيا اغتالهم يد النعمة الإلهية فمنهم من بلى بالخرس ومنهم من أكل لسانه الى غير ذلك من البلايا والمصائب .

والقديس يوحنا ذهبى الفم : وكثيرون كانوا يعذبون من الشياطين لأجل ذلك فعلى المسيحي اذا أن يهوى نفسه ويصلح قلبه : « لأن الرب مزعم أن يصنع الفصح مع تلاميذه عنده » (مت ٢٦ : ٢٨) . فاستعد للقاء الرب إلهك : ولا تنسى أن الله يديننا لا عن الأمور التى ترتكها فقط بل عن الفرص التى نهملها . فأهل اليسار يدانون يوم الحساب ليس لأنهم ارتكبوا جرائم بل لأنهم أخفوا وزناهم وما تاجروا بها ممتنعين عن فعل أفعال الرحمة والشفقة والخدمة والمحبة فامتحن نفسك بهذا الاعتبار أيضاً . « وتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشاً قلبك من ضمير شرير ومغتسل جسديك بما نقى » (عب ١٠ : ٢٢) . ولربنا المجد والإكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

الاحتفال بتذكار الصلب يوم الجمعة الكبيرة

جراح المسيح

مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا (اش ٥٣ : ٥) .

تحتفل الكنيسة في هذا اليوم احتفالاً جامعاً لكل علامات الهيبة والوقار ، والخشوع والانكسار ، لأن اليوم الذى سيق فيه يسوع حمل الله الوديع « كشاة الى الذبيح وكنعجة صامطة أمام جازنها فلم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) .

وقد تسلمت الكنيسة الاحتفال به سنوياً من الرسل أنفسهم الذين أمروا بحفظه وصومه بزهة وتقشف (دمشق ب ١٨ ، ٣١) . احتمل الرب يسوع فوق الصليب كل غضب الله ودينونته للبشر الخطاة . وعلى كتفيه حمل كل آثام الجنس البشرى وشروهم ونجاساتهم . بل أحنى رأسه تحت لعنة التاموس التى حملها عن آدم ونسله . والتاموس يحكم بلعنة كل من يعلق على خشبة . لم يقل أحد ولن يستطيع أحد أن يقول أن فى حياة المسيح ما يستوجب مثل هذه الدينونة الرهيبة ومثل هذا القضاء الصارم . لقد ارتضى أن يتحمل لعنة لا يستحقها فهو قدوس بلا شر ولا دنس وقد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . فلماذا اذن قد دين المسيح كخاطيء . وصلب كمذنب . وعلق على خشبة اللعنة والعار ؟

قال أحد الأفاضل : لم يصلب السيد لجرمة اتاها . كلا . لقد كان بريئاً . فالقوة الرومانية شهدت على لسان قائد الحق « بالحق كان هذا الانسان ابن الله » (مت ٢٧ : ٥٤) . ويلاطس شهد قائلاً : انى لا أجد علة فى هذا الانسان وزوجة يلاطس ارسلت له تقول : « إياك وهذا البار لأنى تأملت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » (مت ٢٧ : ١٩) . ويهوذا قال : أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . ويسوع المسيح نفسه قال مرة : « من منكم يكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فلماذا صُلب اذن ؟ الجنود الرومان صلبوه إتماماً للواجب المفروض عليهم . يلاطس صلبه جنباً : اليهود اسلموه حسداً . يهوذا باعه طمعاً . لكن لا الواجب ولا الجبن ولا الحسد ولا الطمع كان السبب الرئيسى لصليبه . لكنه « مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا » (اش ٥٣ : ٥) .

حقاً ان السيد المسيح قد تحمل آلام جميع الجراح الجسدية . وهذه الآلام التى تحملها

والمسببة عن الجراح بأنواعها المختلفة لم تذكر فقط في العهد الجديد بل إن العهد القديم كان قد سبق أيضاً فتنبأ عن كل منها .

أول هذه الأنواع من الجراح هي جراح السحق :

ذكر النبي اشعيا في الثالث والخمسين والعدد الخامس حيث يقول « وهو مجروح لأجل معاصينا » ويقول أيضاً في العدد العاشر « أما الرب فسر بأن يسحقه » والبشير متى في العدد السابع والستين من الأوصاح السادس والعشرين من إنجيله المقدس يدون لنا ما يأتي إتماماً لذلك « حيثئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه » والمعنى الأصل للكلمة (لكم) هو ان يضرم الرجل يده كمن يستعد للملاكمة ويستعملها بكل قواه حتى وبصورة وحشية كما هو معروف عند المصارعين . وقد أشار اشعيا النبي الى هذا المنظر — منظر الوجه المروض الخفيف — بقوله : « كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم » (اش ٥٢ : ١٤) .

ولم يجرح المسيح لذنب اقترفه أو لعمل قام به ، كلا ، بل هو (مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا) .

والنوع الثاني من الجراح التي احتمل المسيح لأجلنا هي جراح التمزق :

التي تنبأ عنها المزمع حيث قال في المزمور ١٢٩ والعدد ١ — ٣ (كثيراً ما ضايقتني منذ شباني ليقبل إسرائيل كثيراً ما ضايقتني منذ شباني لكن لم يقدرُوا عليّ . على ظهري حرث الحراث طولوا أتلأمهم) . وقد دونّ البشير متى إتمام هذا الكلام في العدد السادس والعشرين من الأوصاح السابع والعشرين من بشارته حيث قال : « حيثئذ أطلق لهم باراباس . أما يسوع فجلبده وأسلمه ليصلب » لم يكن الجلد في عهد ييلاطس بالسوط ذي الأطراف المتشعبة لكنه كان من قطعة واحدة ينتهي طرفها بطوق من المعدن أو العاج . فإذا ما قبض عليه ذو العضلات المفتولة وسلطه على ظهر ضحيته العاري أربعين جلدة الا واحدة (أى ٣٩ مرة) حفره بشكل قبيح وحرثه الى اثلام ظاهرة فجرد اللحم من الاضلاع والفقرات بصورة تقشعر لها الأبدان ، وقد احتمل ذلك الذي كان بدون خطية تلك الآلام المبرحة متمماً بذلك ما قيل عن فم النبي القائل : « وهو مجروح لأجل معاصينا »

أما النوع الثالث من تلك الجراح التي احتمل يسوع آلامها لأجلنا هي جراح الخرق :

فقد كانت من النوع العميق التي تحدث عادة نتيجة لاستعمال آلة حادة جارحة . عندما نزلت لعنة الله على الانسان الخاطيء استعمل الشوك رمزاً لتلك اللعنة ، كما نقرأ في

سفر التكوين (اصحاح ٣ عدد ١٧ ، ١٨) « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، شوكاً وحسكاً تنبت لك » وتظهر حقيقة هذا الرمز عندما أنشد النبي أشعياء في الأصحاح الخامس والخمسين والعدد الثالث عشر مشيراً بذلك الى ملك المسيا — الرب يسوع المسيح — عندما يصير عالمنا هذا خالياً من الخطية . « عوضاً عن الشوك ينبت سرو وعوضاً عن القهرس يطلع آس » . فلذلك لقد كان من اللائق جداً أن يتّوجّ جبين السيد المسيح برمز الخطية وهو يتألم على الصليب من أجل خطايا البشرية الساقطة . وقد سجل البشير متى (ص ٢٧ ، ٢٩) إكمال ذلك حين قال — وضفروا أكليلا من شوك ووضعوه على رأسه — وفي العدد الثلاثين يقول أيضاً « وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه » . وبذلك ادخلوا رؤوس الأشواك الحادة أعمق فاعمق في جبينه ، فسالت تلك الدماء الطاهرة من تلك الثقوب المؤلمة ! فهل من عجب اذن ان يصّر أشعياء النبي قائلاً : لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه ... نسترع عنه وجوهنا كان منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم .

أما النوع الرابع من الجراح التي آلمت السيد المسيح لأجلنا هي جراح القلب :

المذكورة في مزمو ٢٢ : ١٦ « لأنه قد احاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتفتني . ثقبوا يديّ ورجليّ » . ونرى ان النبوة عنه قد كملت تماماً في عبارة جلية بالإنجيل معلمنا متى (مت ٢٧ : ٣٥) و« صلبوه » خلافاً للعادة المتبعة في ذلك العهد ان تربط يدا ورجلا المصلوب الى الخشبة ، نلاحظ انه لشدة غضب الجماهير قد سمّرت يدا ورجلا يسوع على الخشبة .

ولا شك بأن مؤلف الترانيم اسحق واتس كان قد شعر بشدة صدمة آلام المسيح عندما كتب ما ترجمته :

من رأسه وكفـه	وجنبه وقدمـه
سالت بنابيع الـولا	والحزن أيضاً مع دمـه
أى دم ذاك جرى	كدمه الزكى الثمين
وأى تاج مثل تاج	الشوك أحيا العالمين

والنوع الخامس من تلك الجراح التي آلمت السيد المسيح لأجلنا هي جراح الطعن .

المذكورة في نبوة زكريا الاصحاح الثاني عشر والعدد العاشر حيث نقرأ — فينظرون الى الذى طعنوه — هذا هو الجرح الناتج عن آلة حادة ماضية ، وقد تمت هذه النبوة بمخاضها كما هو مذكور في إنجيل يوحنا ص ١٩ عدد ٣٣ — ٣٤ « وأما يسوع فلما جماعوا إليه لم

يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء « أما في اللغة اليونانية الأصلية فيصَّرَح قاتلاً تدفق دم وماء ولعله يظهر بان هنالك تناقضاً بهذا الخصوص لعلم الحياة ، فالدم لا يتدفق من شرايين من فارق الحياة كما هو معروف لدى الجميع ، لأن تدفق الدم يحتاج الى ضرب النبض من القلب ، بينما يؤكد لنا الكتاب المقدس أنه قد مات وبلى بعد ذلك عبارة « خرج دم وماء » إلا أن حقيقة الأمر هي كما يلي : للقلب غلاف مطاط يعرف بالتامور أو غلاف القلب وهو قابل للتوسع كثيراً فإذا ما تمزق القلب لسبب من الأسباب تدفق الدم الى هذا الغلاف ، وإذا حدث طعن هذا الغلاف من أسفل تدفق الدم بقوة الجاذبية .

وقد مات يسوع على هذه الكيفية لاجلنا نحن ولأجل خطايانا بقلب كسير مما يشرح لنا ذلك المزمور في المزمور التاسع والستين ويذكر لنا بأسباب وقائع آلام السيد المسيح ، ففي العدد العشرين يقول — العار قد كسر قلبي فمرضت .

أيها القارئ الكريم ها قد وضعنا أمامك جراح الجسد بأنواعها وكيف تمت باجمعتها . فهي جراح السحق ، وجراح التمزق ، وجراح الحرق ، وجراح الثقب ، وجراح الطعن ، وقد قاسى يسوع آلام كل من هذه الجراح من أجل ومن أجلك . « مجروح لأجل معاصينا » ولكن من الضروري ان نقبل دمه المسفوك لأجلنا حتى نطهر من خطايانا إذ أنه برش دمه المحيي على قلوبنا فقط نحصل على جدة الحياة في المسيح يسوع . عندما نخبر بأن دم المسيح قد غمر قلوبنا وان الروح القدس قد أصبح في داخلنا عندئذ لا تبقى فينا الرغبة للاقتداء حتى وبأفضل الناس ، بل اننا سنسمح للسيد المسيح أن يغير شكلنا الى أمثال حياته الطاهرة النقية ، ويفعل بنا ما يشاء .

ما أحوجنا إلى التأمل في جراح المسيح وصلبه وموته إنه تأمل جدير بالتقدير إذ يوحى الى النفس بأسمى الإيماءات الروحية ، ويوطد الصلة بيننا وبين من أحبنا الى المنتهى محبة أبدية خالدة . (أر ٣١ : ٣) . وتوطيد الصلة بيننا وبين قادتنا الحبيب معناه دوام ثباتنا فيه « كأغصان في الكرمة الحقيقية » (يو ١٥ : ٥) . لضمان الحيوية والازدهار والثمر (يو ١٥ : ١٦) . وفي جراح السيد المسيح له المجد مجال عجيب للتأمل ، يتيه فيه العقل البشري « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » (رو ١١ : ٣٣) .

إن كل مواقف القادى عجيبية ويدعى اسمه عجيباً (اش ٩ : ٦) . « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه »

(اش ٥٣ : ٧) . وفي جراحه وصلبه له المجد مجال أعجب للتأمل ، هكذا شهد اللص
اليمن موحناً زميله المجدف « أما تخاف الله ... أما نحن فبعدل قد جوزنا وأما هو فلم يعمل
شيئاً في غير محله » (لو ٢٣ : ٤٠ ، ٤١) كما شهد هكذا الوالي نفسه « وأى شر
فعل ؟ » (لو ٢٣ : ٢٢ ، ٤١) لقد نصت الشريعة على أن « المعلق ملعون من الله »
(تث ٢١ : ٢٢ ، ٢٣) وها هوذا مصدر النعم والبركات (تك ٢٢ : ١٨ ، أع ٣ :
٢٦) يقبل اللعنة بأن يعلق على خشبة « وإذ وجد في الهيئة كأنسان وضع نفسه وأطاع
حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨) .

لقد شرب كأس الآلام حتى الثالثة (أش ٥٠ : ٦) . ونخم آلامه بالموت على الصليب
وقال « قد أكمل » ذلك لأنه الطبيب السماوى لعلاج البشرية وقد عرف أن دواءنا في آلامه
(يو ١٨ : ١١) . « لكن أحرزنا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من
الله . ومذللاً وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه ونحوه
شفينا » (اش ٥٣ : ٤ - ٥) . فجراحه وصلبه كان ضرورياً لوضع الحد النهائي
لأسقامنا ولتحريرنا من أوجاعنا « والرب سر أن يسحقه بالخزن » (اش ٥٣ : ١٠) هو
الصخر الكامل صنيعة (تث ٣٢ : ٤) ، « هو الحجر الذى رفضه البنائون ... من قبل
الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا » (مز ١١٨ : ٢٢ ، ٢٣) .

أما موت المسيح فهو روح الفداء : « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلنا تطول أيامه
ومسرة الرب بيده تنجح » (اش ٥٣ : ١٠) . نعم إنه في ذاته غير مستوجب الموت :
« لأن النفس التى تخطئ هي تموت » (حز ١٨ : ٤) « وأجرة الخطية هي موت » (رو
٦ : ٢٣) « أما قذوس القديسين » (دا ٩ : ٢٤) « فإنه لم يخطئ إنه ضرب من أجل
ذنوب شعبى وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته . على أنه لم يعمل ظلمنا ولم يكن في
فيه غش » (اش ٥٣ : ٨ ، ٩) .

بهذه الروح الإيمانية يجب أن نتأمل جراح المسيح وصلبه وموته وقيامته « وحينئذ تتجدد
نفوسنا » (أف ٤ : ٢٣) فننفض عنا غبار الاهمال والتواني والكسل . وننشط لعمل
الخير لمجد اسم إلهنا القادى الحبيب ، هاتفين مع لسان العطر البليل الصباح الكنسى بولس
الرسول : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غل ٢ : ٢٠) .
وللهنا العز والسجود والشكر في كنيسة الى آباد الدهور كلها آمين .

عظة إنجيل قداس عيد القيامة المجيد

قيامه يسوع المسيح

ليس هو ههنا لأنه قام (مت ٢٨ : ٦) .

اليوم يحيى المسيحي أخاه المسيحي قائلاً : المسيح قام هاتين الكلمتين خلاصات الأمان والآمال البشرية مركزة ، ويجد فيها مفتاح كل موسيقى وتطلع كل نشيد سماوى . ان قصة قيامة السيد المسيح مع قصتي ميلاده وصلبه لمى الأعمدة الثلاثة التى تتركز عليها المسيحية حيث ان الواحدة منها لا تقف بالغرض دون الأثنين الآخرين . واذ نتخل بعيد القيامة المجيد فإنما نعلن مجد المسيحية وفوائدها تتمثل فى خدمة السيد المسيح له المجد من بدايتها الى نهايتها .

ان الملاك الذى بشر النسوة بقيامه المسيح قائلاً : ليس هو ههنا لأنه قام كما قال كانت رسالة لعالم مضروب بالخطية والأجزان والهموم والشقاء ، فقبل قيامة المسيح لم يكن سلام حقيقى على الأرض ولا فرح حقيقى ولكن بقيامته حصل العالم على السلام الكامل إذ قال : سلام لكم .

: لم يدرك اليهود السر الخفى وراء هذا الجسد النحيل ، ولم يحسبوا حساب تلك القوة الخارقة ، التى بهرت عيونهم وحيرت أفكارهم بضعة سنين ، وظنوا أنهم تخلصوا من خصم عنيد ومنافس خطير ، فحسبوا أن سنده القبر الجديد ، ووضعوا غلبه حراسة مشددة من الجند مدججين بالسلاح . بعد ان ختموه بخاتم الوالى الرومانى ، وكأنهم بذلك ضمنوا بقاء الميت ملفوف فى الأكفان حيث لن ترى عيناه النور . انهم حسبوا لقيامه المسيح الف حساب ، وسلحوا أنفسهم بكل سلاح ، لعلهم يحولون دونها أو يمنعونها . ولكن خاب ظنهم ، وانتصر يسوع رغم تدبيرهم ، وها هو القبر الفارغ ، والحجر الكبير المدحرج ، والأختام المهشمة ، أدلة ناطقة بانتصاره على الموت ، وكيف يبقى الحى بين الأموات ؟ فعيد القيامة هو عيد إنتصار الحياة على الموت .. أين شوكتك ايها الموت ؟ أين غلبتك أيها القبر ؟ .. وايتها الهاوية .. لقد ابتلع الموت فى الغلبة (هو ١٣ : ١٤) ، (١ كو ١٥ : ٥٥) .

لقد قام المسيح من القبر « ناقضاً آلام الموت ، إذ لم يكن يمكن ان يمسكه الموت » (أع ٢ : ٢٤) . لقد دخل المسيح الى القبر ، كأنه ميت وهو الحى ، ليحارب الموت فى عرينه ، فيصرعه ، ويبطل قوته ، وينزع شوخته ويبطل سمه .. وكيف يموت من قال عن

نفسه : « أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ - ٢٦) . المسيح قام ... فليس له في القبر جسد أو رفات ، وإنما قبره فارغ وقد تحول الى مذهب تقدم فيه وعليه القرائن ، ومنه يبرز النور في كل عام ، في السبت الذي يعرف بالسبت الكبير ، وسبت النور ، وسبت الفرح ... قبر المسيح قبر ليس فيه عظام ، وليس فيه هوان الفناء للإنسانية ، بل أشرق ويشرق فيه نور ، ويتجدد منه الأمل والرجاء والإيمان بقيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى .

سأل زعيم هندي أحد خدام الدين المسيحى ، وقال له : يا للعجب منكم أيها المسيحيون . إننا عندما نزرر قبر زعيمنا نعلم أن جسده بقى في القبر . أما أنتم فيالأسف ، ماذا تجدون ؟ لا تجدون إلا قبراً فارغاً ! فاجابه خدام الدين قائلا : نعم . وهذا هو سر انتصارنا وافتخارنا ، ان مسيحنا حى ! فوهبنا الحياة والمجد . فالقبر الفارغ يحدثنا أن المسيح حى . حى في شخصه . حى في رسالته . حى في اتباعه . ثم يحدثنا القبر الفارغ ، عن سلطان المسيح ، على الموت ، لأنه سحق شوكة لأن المسيح أثار لنا الحياة والخلود .

والذين يترددون على قبر المسيح في بيت المقدس لا يذهبون للترك برقاته ، بل يقفون أمام قبره المجد في صمت ووقار وهم يباركون القبر الفارغ الذى لا توجد بداخله سوى ذكريات النصر المثيرة ولو كانوا يريدون رؤية أكفان أو عظام . لاتبرهم الملائكة وقطعت أصواتها الطريق عليهم كما فعلت بالمرمات حين قالت لهم : لماذا تطلبين الحى بين الأموات ... ؟ ليس هو ههنا ... ؟ لكنه قام ... ! حقاً قام ... ! قال الربحى الإلهى على فم النبى أشعياء عن المسيح : « إياه تترجى الأمم ويكون قبره ممجداً » (أش ١١ : ١٠) .

ولم تكن قيامة يسوع مباغته للقوم ولا مفاجأة للتلاميذ ، فإن السيد قد تحدث مراراً عن قيامته ، وأنه في اليوم الثالث يقوم ، وقال لتلاميذه وهو في طريقه الى الصليب « ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل » (مت ٢٦ : ٣٢) . كان في تصورهم أنهم تمموا ما أرادوا ، وأنهم نفذوا ما رموا ، ولكنهم كانوا واهمين ، فان ما فعلوا كان ليتم ما جاء في كتب الأنبياء . فهيهات أن يضم القبر ذاك الذى بيده نسمة كل حى . ويده سلطان الحياة والموت ، وبه نغيا ونتحرك ونوجد . وفيه كانت الحياة . وهيهات أن يبقى القبر على رب الحياة ، فانه أسلم ذاته لهم بإرادته ، لأنه ليس لهم سلطان عليه لو لم يعطوه من السماء ، ولهذا فانهم لم يفيقوا من نشوئهم حتى تعرفوا في الشرك الذى نصبوه ، وافتضحت خطبتهم ، وفشلت محاولتهم . وقام يسوع . وما هى إلا ساعات ، حتى أشرق شمس البر ، أكثر لمعاناً وأشد توهجاً ، فبددت أمامها جيوش الظلام ، وسطعت بأنوارها على الكون الكئيب

فجددت الأمل وأحييت الرجاء ونشرت البهجة والفرح ، وبعثت الدفء في القلوب الواجفة ، وشددت الأيدي المسترخية ، وانزوى عن الأيصار دعاة الهزيمة والمتآمرون على القدوس البار ، وباتوا في فشل وتحقق الانتصار . وقد حصل العالم على الفرح الحقيقي في شخص التلاميذ الذين فرحوا إذ رأوا الرب . وقد تمت نبوة داود النبي عن هذا الفرح العظيم حيث قال : هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلتفرح وننتهج فيه . وهذا هو شعور بولس الرسول حين قال : « افرحوا بالرب في كل حين » إتماماً لوعده السيد المسيح قبل صليبه وموته سائرهم فتنفّرح قلوبكم . فياله من رجاء بفرح جديد يملأ قلوبنا وهو قيامة مخلصنا من بين الأموات كمبرون لقيامتنا . « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » .

مات يسوع فانقبضت نفوس تلاميذه ومحبيه ، وسر اليهود وأعدائهم ولما قام فرح أولئك وحزن هؤلاء . ونحن اليوم في كنائسنا نعيد تمثيل هذه الحادثة . ليتجدد تأثيرها فينا . فما أعظم الفرق بين أمس واليوم . بالأمس كان يسوع ميتاً ، واليوم حي وبجيى الأموات . بالأمس توارى الرسل عن النظر خوفاً ، واليوم تراه منطلقين الى القبر . أمس هربوا وتبددوا ، واليوم أسرعوا ليجتمعوا ويشرحوا قائلين : يسوع قد قام .

مات المسيح ولم يمكث في القبر سوى ثلاثة أيام وقام بقوة لاهوته . قام بسلطانه الإلهي . وبقيامته قهر الموت . وغلب الجحيم وأظهر للعالم أجمع أنه وحده ابن الله . وأنه القيامة والحياة .

يقول القديس يعقوب السروجي : كان قبر مخلصنا في بستان . وقد فقد آدم سعادته في الجنة ، وهلك بين الشجر . فدخل المخلص الجنة وطلبه هناك . حقاً لم يكن مخلصنا في قبره ميتاً كباقي الأموات (لأنه حي باللاهوت) ولكنه كان قائداً عظيماً يحارب ويقاتل فقد صارح في موته كل جيوش الظلام . وبرهنت قيامته على أنه صرعههم وغلبهم : إذ جردت السلطات والسلطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه .

١ — قيامة المسيح أماتت الخطية التي ملكت على العالم .

٢ — قيامة المسيح أبادت سلطة الشيطان وانقذتنا من أسره .

٣ — قيامة المسيح كسرت شوكة الموت .

٤ — قيامة المسيح علمتنا أن لنا وراء القبر حياة أبدية .

أنظر إليهم وقد تغيروا تغيراً كبيراً من جناء الى أشداء ، وذلك بفعل قيامة المخلص التي أكدت لهم الحياة الأبدية . ان ملكنا حي فنحن فيه أنحياء . لا نفتكر فيه كما كنت بل كحي لأن الموت ساد عليه لحظة باختياره وقد قام بقوة ، وسيبقى دائماً حياً ليحيينا . قال الكتاب

المقدس : « ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يو ٢٠ : ٢٠) . فرحوا إذ رأوا مخلصهم قائماً بعد موته ونحن نفرح معكم يا تلاميذ الرب . ويفرح معكم جميع شعب المسيح الذين رأوه بالآيمان . وهؤلاء قد صار ينبوعاً لحياة الأبد . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب . فلنفرح معهم ، ولنلبس الزينة الفاخرة الروحية ونمجّد بكل قلوبنا قيامة قادينا الكريم . ولكن فرحنا لا يكون كاملاً إلا اذا فرحنا بقيامتنا معه . فإن كان قد قام فلنقم معه . المسيح مات عنا فميتنا معه . وهكذا نقوم معه « لأنه إن كنا قد صرنا متحدّين معه بشبه موته . نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٥) . المتعلقون بالعالم لم يقوموا بعد مع المسيح . فإن النسوة احتزن قائلات : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر . وأنت أيها الخاطيء على هذا النوال قد وضعت أحجاراً عدة فوقك حتى تمنعك من أن تقوم من شرك . حبذا لو بذلت جهدك ودحرجت هذه الأحجار عنك فتقوم لحياة جديدة .

صديقك الذى يفريك ويقودك للشر هو حجر عثرة فى سبيل خلاصك فدحرجه عنك حتى تستطيع ان تحيا حراً . مالك الذى ملك عليك وعلى قلبك وعقلك ، دحرج عنك محبته لثرت الحياة الأبدية . روح الجسد الذى كدر عليك صفوك ، دحرج حججه عنك لتستطيع ان تحب جميع الناس وهم أيضاً يحبونك . قيل عن المسيح قد قام يا له من قيام . وفرح المسيح الكامل ان يقال عنك أيها الخاطيء أنك قد قمت . « استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضى لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) . ان يوم القيامة يوم فرح . ولكنه ليس للجميع . فرح للمؤمنين الذين قاموا مع المسيح ، وحزن للذين لم يقوموا بعد . قام المسيح ، ولما قام حطم كل كنياء اليهود ، واستطاع أن يعيد الحق الى سلطته . واذ بتعليمه ترجع مرة أخرى ، واذ بصليب المسيح يصبح عاراً لليهود الى الأبد . وإذ بالنور يشرق بعد الظلام . واذ بالذين ظنوا ان المسيح قد مات ، يعرفون أنه حي لا يموت . كان المسيح فى قبره . أقوى منهم جميعاً ، وهم يتحركون تحت الشمس . كان فى قبره حيا ، وكانوا هم فى حياتهم أمواتا . كانوا موتى بالحياة ، وكان هو حيا فى الموت . لم يكن للموت سلطانا عليه ، بل بالعكس كان له سلطان على الموت .

أليس هو الذى أقام الأموات أكثر من مرة ؟؟ وبقيامة المسيح انتصر الحق على الباطل . وبقيامة المسيح ظهر للناس ان الحق . وان بدا منهزماً فى أول الأمر . إلا أنه لابد أن ينتصر أخيراً وان الجولة الأخيرة هى الهامة فى المعركة كلها . فقد يبدو ان الباطل قد يرتفع الى حين ولكنه لابد أن ينزل من كبريائه .

قام المسيح قيامة علنية . شهد لها الجميع . رآها الرسل والتلاميذ والنسوة والحراس وجمهور غفير من الناس . وحتى تكون قيامتنا ظاهرة وعلنية لا يكفى أن نصنع الصلح فى داخلنا وداخل البيت والأسرة فقط . ما ١١: ١٠ : نكون قدوة صالحة للآخرين وهذا ما يعنيه

السيد المسيح بقوله : « ليضىء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا آبائكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

يجب أن نكون ابناء للمسيح فى البيت . فى الحقل . فى المكتب . فى المتجر . وفى السوق . وفى كل مكان . ان يكون المسيح معنا اينما كنا ويبقى فينا اينما نسير . لا نستحي به أمام الناس حتى لا ينكرنا أمام الله .

قال أحد الأتقياء : ان الحياة المسيحية هى البرهان المحسوس على المسيح الحى . فهل إيمانك بالرب المقام غير وطهر حياتك ؟ هل العالم يرى المسيح فى حياتك اليومية ؟ وهل سيرتك وتصرفاتك دليل قاطع على انك تؤمن بمسيح حى وهو يحيا فيك ؟ إسأل نفسك .

يسوع المسيح فى مثل هذا اليوم قام حقا . قام منتصراً ، قام فائزاً بالظفر بعد حرب وصدام مع ابليس عدونا اللدود . يسوع المسيح الذى سفك دمه الثمين على الصليب فى الجلجثة هو الذى يمنح المؤمنين كل البركات وقوة التقديس واشترى الكنيسة واقتناها بدمه وصار رأس الكنيسة ومكننا من حرية دخولنا الى الأقداس . فيجب على كل مؤمن أن يقدم تسييحاته ليسوع الذى احبنا وغسلنا من خطايانا وطهرنا من كل خطية بعد ان كنا قبلاً أعداء فى الفكر والقول والآن صولحنا مع الله وموت يسوع وقيامته تبررنا وأعطانا سلامه الذى لا يتزعزع .

إننا لا ننادى بميت مدفون تحت الغرى مغلوباً من الموت كآى بشرى ، بل ننادى ونؤمن برسول خلاصنا ولها الذى قال : « أنا هو الأول والآخر . والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الأبدين » (رؤ ١ : ١٧ ، ١٨) . المسيح قام حقا قام . انه سر حياة المسيحية ، وقوة المسيحيين ، ورجاء المؤمنين ، وجهاد الشهداء ، وثبات الكنيسة مدى الأجيال لأنها لا تقوم على مسيح مات وقبر ، بل على مسيح حى ، « نمتنا فى الجسد ولكن نحى فى الروح » (١ بط ٣ : ١٨) . وها هو حى الى أبد الأبدين . هنيئاً لنا بمسيحنا القائم من الأموات ، وشكراً لله على عطيته التى لا يعبر عنها ، وعلى أعجابه قيامته التى وهبها لنا فى المسيح يسوع ، وأنوار قيامته التى أشرقت فى قلوبنا ليقودنا فى موكب نصرته الى مجده الأبدى . لهذا أيها الأجباء اذ نفرح بقيامة الرب يسوع ، فليكن فرحنا بالروح لا بالجسد « لتعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٨) .

والله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح بدم العهد الأبدى ليكملكم فى كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملاً فيكم ما يرضى أمامه يسوع المسيح الذى له المجد الى أبد الأبدين . آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الأولى من الخماسين المقدسة

شهادة الملاك لقيامة الرب يسوع

لكن اذهبين وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم الى الجليل (مر ١٦ : ٧) .

نتكلم عن تقسيم الأوقات التي كتب عنها كل من الانجيليين لا عن الوقت الذي قام فيه ربنا من القبر . فان ذلك غير معلوم لا للملاحة ولا للبشر .

ما يرويه معلمنا متى الانجيلي ان النساء جاءت للقبر فجر السبت . ويرويه معلمنا مرقس الانجيلي انهن اتين لما أشرقت الشمس . ويرويه معلمنا لوقا الانجيلي انهن اتين في السحر . ويرويه معلمنا يوحنا الانجيلي انهن جعن في الصباح . وتفصيل ذلك ان مريم المجدلية ومريم والدة الإله جاءتا لتتنظرا القبر في فجر السبت وتبشرا من الملاك ان ربنا قد قام . أما الحراس فدخلوا المدينة وأعلموا الكهنة بقيامه المسيح فأعطوهم رشوة ليقولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه فأذاعوا الخبر ولم يبلغ مريم المجدلية أن جسده قد سرق . ارتابت ورجعت الى القبر ثانية في الصباح كما قال معلمنا يوحنا ورأت الحجر مدحجراً والملاك جالساً عليه وهو الذي رآته قبل ذلك بقليل جالساً على الحجر فازداد رعباً وجاءت الى بطرس ويوحنا وقالت قد أخذوا سيدي من القبر ولست أعلم أين وضعوه وللحال مضى التلميذان المذكوران ونظرا القبر واللفائف فتمحقا القيامة ورجعا مؤمنين .

أما مريم المجدلية فظلت واقفة عند القبر مرتبكة فحانت منها التفاتة الى القبر فنظرت الملاكين اللذين تراعى لسمعان ويوحنا . ثم التفتت الى ورائها فرأت سيدنا فأرسلها الى تلاميذه فرجعت وبشرتهم انها قد رأت الرب ووجدت هناك النسوة اللواتي بالهام رباني كن مستعدات ليضين للقبر حاملات طيباً . فرجعت معهن هن ووالدة الله ومريم التي يسميها معلمنا لوقا أم يعقوب وكان الوقت قبل طلوع الشمس بقليل ورأت هناك . ملاكين بيضة رجلين ولباسهما يلمع ووجههما مبضبة . حينئذ انضم إلى المجدلية ومريم أم الله امرأة غريبة اسمها سالومي وهي التي كانت مع النساء الأوليات ورأين ملاكاً بيضة شاب مرتدى حلة يضاء فدهشن وكان الوقت عند طلوع الشمس كما ذكر معلمنا مرقس الانجيلي . فهذه هي ترتيب الأوقات الأربعة التي رواها كل من الانجيليين والتي مضين النسوة الى القبر .

ان الكيفية التي عادت بها روح المسيح له المجد فاتحدت بجسده وقت قيامته هي لغز ، وهي إحدى السرائر التي ليست لنا . أما الأدلة التي لا تدحض ، التي تبهرن قيامته ،

وتثبت أنه قام حقاً من الأموات ، وبهذا تأكد بأنه هو ابن الله ، فهذه هي « المعلنات التي لنا ولبنينا » (تث ٢٩ : ٢٩) ثم ان الرب ترآى يوم قيامته مرات متعددة المعروف منها سبعة :

فأول من ظهر له بعد قيامته هي مريم المجدلية (مر ١١ : ٩ ، يو ٢٠ : ١١)

٢ — ظهر للمرأتين راجعتين من القبر (مت ٢٨ : ٩) .

٣ — ظهر لسمعان بطرس وحده (لو ٢٤ : ٣٤) .

٤ — ظهر للقديسة مريم والدته .

٥ — ظهر لاثنتين من تلاميذه وهما ذاهبان الى عمواس (لو ٢٤ : ٣٠) .

٦ — ظهر لعشرة من تلاميذه ولم يكن توما معهم (يو ٢٠ : ١٩) .

٧ — ظهر للأحد عشرة والذين معهم في عليية صهيون (لو ٢٤ : ٣٣ ، ٣٦) .

وبعد هذه ظهر مرات كثيرة مدة الأربعين يوماً . « لقد مات ليوفى الدين عنا وقام ليعلن تبرئنا » (رو ٤ : ٢٥) . لقد دحرج حجر خطايانا على باب قبر الرب يسوع المسيح . وفي (اصم ١٤ : ٣٣) . نجد أن دحرجه حجر كبير ترمز الى ارتكاب الاثم : لقد ختم أعداء المسيح الحجر معتمزين : « ان لا يطلقوا أسيرهم الى بيته » (اش ١٤ : ١٧) . وهل تسلب من الجبار غنيمة وهل يفلت سبي المنصور ؟ (اش ٤٩ : ٢٤) لقد جلس الملك كحارس للقبر إذ أزعج حرس الأعداء وابعدهم عنه . جلس في انتظار المرأتين ليعطيهم خير قيامته . وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . هذا تمثيل لأجناد العالم غير المنظور . كان منظره أمام الجراس كوميض البرق : « أ برق برقاً وبددهم » (مز ١٤٤ : ٦) . أما يياض لباسه فكان يرمز ليس فقط الى الطهارة بل أيضاً الى الفرح والنصرة . لما مات المسيح حزنت قوات السماء حزناً شديداً . الأمر الذي كان ترمز اليه ظلمة الشمس . « لكنها ليست ثانية رداء التسييح عندما قام » (اش ٤١ : ٢ ، ١٠) .

الرسالة التي قدمها هذا الملك للمرأتين : إنه شجعهما ضد مخاوفهما لا تخافا أنما . سرعان ما طمئن قلبيهما بهذه الكلمة لا تخافا . ليخف الخطاة في صهيون لأن هنالك مبرراً . لذلك ، أما أنت يا ابراهيم ، وكل نسل ابراهيم الأبناء .. فلا تخافوا ولماذا تخاف بنات سارة الصانعات خيراً (ابط ٣ : ٦) .

ان الذين يطلبون يسوع ليس لهم مبرر ليخافوا . إن حياتنا في المسيح هي قيامة دائمة . قيامة مجدده ومتجدده . مجددة لحياتنا . وأفكارنا ، ومتجددة بفاعلية النعمة

المستمرة التى تتبع فينا الى حياة أبدية ولكننا لكى نقوم مع المسيح يجب أن نذهب إليه عند قبره ، ونعاني الحجر المدرج ، ونستثير بمنظر الملائكة البهى ، ونرى الحراس كأموات ، ونسأل قائلين أين أخذوا سيدى ، ثم نعود لننشر برؤى القيامة العجيبة شاهدين دون خوف بعظمة القبر الفارغ . ما أكثر الأحجار التى لا نستطيع أن ندرجها فتحجب عنا رؤيا الرب ، لكن إذ أخلصنا لأنفسنا سيحدث معنا ما حدث مع المريمات . تطلعن فوجدن الحجر قد دحرج . ما أكثر الحراس الوثنيين المحيطين بقلوبنا ، لكن رؤيا الملاك الذى يشفع عنا كفيلا ان نجعلهم أمواتا أى بالقضاء على كل عبادات الأوثان فى باطنا — هكذا قام الملاك بشرف إعلان قيامة الرب . ولن ؟ لنساء بسيطات ربما لا يدري بهن المجتمع ولا يعلم عنهن شيئا . تماماً كما أعلن بشرى ميلاده لرعاة فقراء واقفين فى البادية فى حراسة أغنامهم . ظن اليهود أن جرمهم قد انتهت على هذا الوضع الذى ألفوه عند مقتل الأنبياء والصدقيين وأنه لن تقوم للناصري قائمة بعد اليوم . ولكن خاب فآلمهم وطاش . سهمهم لأنهم مكابرون فى الحق لا يميزون الأئمة ولا يعرفون الكتب . فقد تحرك دفن القبر فى اليوم الثالث معلنا لاهوته الذى لا يقاوم وخرج من ضريحه بقوة واقتدار عظيمين دون أن يدرج الحجر لأنه نور يلبس جسما . قام فى لحظة غير معروفة من صباح الأحد خشعت لها السموات والأرض فحطم بانتصاره متاريس الجحيم وداس الموت فى أمنع حصونه . وقد تحققت قيامة الرب من حراس القبر وملائكة السماء وظهوراته المتوالية للمريمات والرسل الذين شاهدوه عياناً وتحذثوا إليه مراراً وامتنحوا بحواسهم جراحه القرمزية لا سيما جنبه المطعون الذى سوف يبقى علامة خالدة الى أن « يأتى فى السحاب وتراه كل عين » (رؤ ١ : ٧) .

هذا وقد جاء انطلاق الرسل للكراسة فى كل أنحاء العالم أكبر دليل على عدالة قضيتهم التى فى سبيل ابرازها للملأ طافوا معتانين مكرويين مضحين بأرواحهم وأجسادهم . مرحبين بالسيف والشهادة ، كما كان نجاح مهمتهم وتغلغل الانجيل فى الأوساط الرومانية وبلاط القيصر من أكبر الأدلة على صدق الديانة المسيحية التى انتشرت دون وعد أو وعيد على أيدى أناس لا حول لهم ولا قوة . حدث كل هذا بينما كان رئيس الكهنة جامداً فى مستنقع نفاقه الذى تجلى واضحاً عندما رشا العسكر ورسم لهم أن يقولوا بسرقة الجسد ويختلقوا خبراً يتنافى مع الواقع الصحيح . وهكذا كان رئيس الكهنة منافقاً يقول ولا يفعل ، له صورة التقوى وينكر قوتها . يجلس على كرسي موسى ولا يعمل أعمال موسى . يعرف أين يولد المسيح ، وعند ظهوره لا يؤمن به . يحتفظ فى صدره بنبوات الأنبياء ، ويتجاهل اتهامها . يلبس افود الأحرار ، ويدنسها بالظلم والاثم والخيانة . يفعل هذا وأكثر من هذا

لأنه منافق لا يريد أن يتبرر ، وتبرره لا يتطلب منه سوى أن يؤمن بقلبه ويشهد بلسانه قائلا : المسيح قام فتجاوبه الملائكة حقاً قام ، وهذا هو الحق ، والحق يحرق أتباعه .

كانت النسوة حائرات من يدرج لمن الحجر الثقيل عن فم القبر وإذا بهن ٥ يرن شابا جالسا عن اليمين لابساً حلة بيضاء ، (مر ١٦ : ٥) . وإذا بهذا الشاب يشهد لمن عن قيامة المسيح قائلا : قد قام . ليس هو ههنا وكان ذلك الشاب في جمال منظره ، صورة لجمال الشاب النقي القلب الطاهر الجبين . الشاب الأمين الحكيم المتعقل الذى يحفظ ثيابه بيضاء لا يندسها شيء من مفسدات العالم وغرور الشهوة . وكان ذلك الشاب في شهادته عن قيامة المسيح صورة للشباب النقي الطاهر الذى يبيضه ونقاؤه يقدم أقوى شهادة للعالم عن قيامة المسيح من بين الأموات .

فما قام المسيح إلا لنقوم نحن بحياة جديدة هى حياة البر والقداسة ونحن لا نستطيع ان نبرهن حقاً على اننا قد قمنا مع المسيح إلا إذا كانت لنا حياة الغلبة والانتصار والقوة . إنما هو دور الشباب الذى يشتد فيه الجهاد وتعظيم النصر على قدر شدة الصراع . بينما على حقيقة قيامة المسيح . إنما هى شهادة الشباب الغالب المنتصر .

إن رسالة المسيح المقام يجب أن يراها العالم فى حياتك الطاهرة النقية ، إن حياتك أيها الشاب يجب أن تكون صحيفة بيضاء بريئة من غرور العالم وشهواته ، مترفعة عن مفسده وملذاته ، وكما تشهد ذلك الملاك النوراني ذو الثياب البيضاء للمرجمات بقيامة المسيح ، كذلك حياتك الطاهرة وشهابك المكرس يجب أن يكون أجمل شهادة تقدم للعالم عن المسيح المقام .

ألا فليبارك الله شبابنا وشاباتنا لتكون حياتهم حياة الشهادة الكاملة عن قيامة يسوع المسيح الحى من بين الأموات .
وله المجد دائماً أبدياً آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الأول من الخماسين المقدسة إلى العمق

« قال لسمعان ابعده إلى العمق » (لوقا: ٤) .

إلى العمق ، إلى البحث عن الخبوء ، إلى كشف المستور ، إلى معرفة الكنوز ، إلى الظفر بالآلئ .

إلى العمق في النفس ، وإلى العمق في الشركة ، وإلى العمق في الخدمة ، فما من شيء أتلف علينا حياتنا وأضاع مشروعاتنا أكثر من السطحية . ولا سبيل إلى تقويم المعوج وإصلاح المائل إلا أن تدعم الحياة على العمق أو أن تمشي نحن في بحث الحقائق إلى الأعماق .

والفرق بين السطح والعمق هو ذات الفرق بين النظرة العرضية التي لا تهتم إلا بالشكل والنظرة العميقة الدقيقة التي تفحص ذات الموضوع .

وحياتنا أحد اثنين — إما أن تكون حياة عادية كما يحيا سواد البشر ، حياة أكل وشرب وهو ولعب ، حياة اهتمام بالتافه وانتشغال بسفاسف الأمور وصفاثرها ، أو أن تكون حياة منتجة ومثمرة ، أمينة ، ثابتة على أساس ممكن من الروحانية ، هادفة إلى أسمى الأغراض وأنبيل الغايات .

وقد كان العالم إلى اليوم الذي فيه صدرت الكلمة من رب المجد « إلى العمق » كان العالم سطحيًا لا مُثل عليا له ولا وسائل نبيلة يخطتها ولا سلام يحصل عليه . فما أن كشف رب المجد لتلاميذه عن نقطة الضعف ، أو لعلها علة الفشل ، وهي السطحية ، ثم تناولها بعلاج حاسم دقيق ، فهتف بهم قائلاً : « إلى العمق » ، منذ تلك اللحظة بدأت الحياة تأخذ طابعاً جديداً ، وراح التلاميذ ، ونسج على منوالهم خلفائهم ، يدخلون إلى الأغوار ويبحثون في الأعماق . فيخرجون للناس جدداً وعتقاء ، ويهتف جاثقهم « تبنا الليل كله ولم نمسك شيئاً لكن على كلمتك يارب نلقى الشبكة » (لوقا: ٥) .

إلى العمق في النفس

كانت الجموع تتزاحم على بحيرة جنيسارت ، وكان يسوع ينشر تعاليمه على الناس وينثر درره الغوالي على من تآقت قلوبهم أن تتلقفها . كان يعزى البائسين ويواسى المنكوبين ويشفى المرضى المتألمين . ولفت هذا نظر سمعان بطرس الصياد الذى قضى ليلة طويلة فاشلة ولم يمسك شيئاً . تنبه سمعان لشيء لم يكن يفكر فيه من قبل ، وهو أنه إنسان يعيش لنفسه ، أو يعيش للوثة ، فى حين أن المعلم العظيم الذى ترجمه تلك الجموع كان يتعب لكي يربح الناس ويذل من نفسه ومن جهده كل وقته — نهاره وليله — لإسعاد الجماعة .

وحالما رنت الكلمة « إلى العمق » فى أذنى سمعان ، أدرك ساعته أنه كان سطحياً فى تلك اللحظة وأن الأفضل أن يتغير عن شكله بتجديد ذهنه ، لكي يدخل إلى العمق فى النفس فيكشف ما استتر من عيب وما أختبأ من ضعف . وهو — ونحن أيضاً — لا نستطيع مطلقاً أن نخطو خطوة إيجابية ما لم نتخلص من السلبية ، ولا نستطيع أن نبني أنفسنا إلا إذا أزلنا ما تخلف من أنقاض .

ونحن نحس فى هذه الفترة من حياتنا بأن الماضى كان تافهاً لأن الحياة السطحية طغت علينا . فمن الرغبة فى السيطرة نفرض أنفسنا على الآخرين ، ومن الشراهة المادية نحاول أن نبتلع أضخم قدر بحق أو بغير حق . هذه نزعات فيها جنوح وفيها جموح فيها إنسياق إلى الانزلاق .

تلك الحياة الشخصية أغرقتنا فى خضم المرات والنزوات ، فجعلتنا نحيا حياة عابثة أو ، فى القليل ، حياة ذاتية مليئة بالعناد والغرور .

فإلى العمق فى تحليل نفسك والكشف عن ضعفائك . وتعرف المستور من نزواتك ونزعاتك . وحذار من أن نتخذنا أنفسنا أو أن يخذنا الناس ، فيحولنا القويمة أو الخيال عن واقع الحال . ثم لنستودع هذه النفوس فى يمين الله ، نستلهم روحه أن يبعث فى الضمير يقظة وفى الشعور وعياً ، فنبكى على ما فات وندمع على ما ضاع ونضرع إلى الله أن يغير الطباع وأن يعدل الأوضاع .

إلى العمق فى الشركة

وهنا يطيب الحديث ، حديث الروح فى عالم الروح ، الحديث الذى ينساب إلى العمق فيبلغ بالنظرة إلى نعمة التأمل . فعندما تجول عينك ، هنا وهناك ، فى آية لحظة

وفى أى مكان ، تستطيع أن تهتف مع من هتف « السموات تنطق بمجد الله والفلك
يخبر بعمل يديه » (مز ١٩ : ١) .

أيها العين ، إلى النظرة الفاحصة التى تأكد لك أن الحياة لم تأت إليك عرضاً ولم
تعط لك صدقة ، وإنما هى بتدبير إلهى عجيب ، خلق كل الأشياء لخدمتك وأودع
الطبيعة أسرارها ، لتفدى أنت من كل شيء فيها ، ثم جاء بنفسه يردك بعد شروء ،
ويرفعك بعد ركود ، يهب نفسه لك فى هذا الوجود ، ويرى بك إلى عرشه فى حياة
الخلود .

وفى النظرة العميقة نستطيع أن نستشف الحقائق . فإذا ما استمعنا إلى فقرة من
كتاب الحياة أو أصغينا إلى وعظ يفسر كلمة الله ، توارد على خاطرنا تداعى المعانى .
فلا نكون مجرد سامعين ولا مجرد مرددين بل نكون مصغين فى وعى ، ومختزنين فى
العمق ومتأملين فيما هو أسمى . وإذا بما نسمع وما ننظر يتخذ طابعاً أوسع نطاقاً وأبعد
آفاقاً ، فتخلق فى جو روحى عجيب ، فتتغير عندئذ المعانى من السطحية إلى العمق ،
وتصبح الصلوات عميقة والدراسات عميقة . فإذا بحياتنا وقد امتلأت روحانية ،
وأشرقت بنور مجد .

وبقينا أننا لو درسنا كلمة الله على هذا المثال ، دراسة فيها عمق ، ثم صلبنا على
هذا المتوال لأصبحت حياتنا ممتلئة طمأنينة وفرحاً وثمراً لمجد الله وحده .

إلى العمق فى الخدمة

أجل ، إلى العمق فى الخدمة ، التى يحتقها الخادم اختناقاً وتنبثق من قلبه انبثاقاً ،
الخدمة التى يترسم فيها خطوات الخادم الأول الذى جاء ليخدم ويذل نفسه فدية عن
كثيرين ...

الخدمة التى جعلته يسكب نفسه فى الصلاة ، مع أنه هو الذى يصل إلى الله كل
البشر ...

الخدمة التى جعلته ينسحق ألماً وبكاً على الخطاة لكي يردهم إلى حظيرة النعمة ويرى
بهم إلى ذروة الحياة ...

الخدمة التى سكبته هو نفسه سكباً مذاباً ينصب فى قلوب السامعين فى عظاته
التي لم يعم بالتتميق أو التنسيق أو التزويق ، ولم تكثف بالتشويق ، ولكنها جذبت
إليه القلوب ورفعت إلى عرشه النفوس وخلعت ثوب القداسة يتشبع به المؤمنون ،

ودفعتم إلى العمل قُدماً ، لا يبتنون ولا يثنون .

يا جماعة المؤمنين ، هيا إلى العمق . وإلى العمق في الخدمة بالذات . كفانا هذه السطحية الفضفاضة التي لها صورة التقوى وليس لها قوتها ، الخدمة الثائرة الجوفاء التي طابعها الفرور والإغراء التي تدس في طياتها النفاق والرياء والتي لا تتورع عن الدس والكيد في الخفاء .

كفانا خدمات زائفة استترت تحت ملابس وعاظ لهم صورة الغيرة ، تحت عناد تعصبي يراد به ستر معائب ومثالب يحاول أصحاب هذا الصنف أن يسترُوا في أنفسهم مركب النقص .. حياتهم ضائعة ، وعيونهم أمام الجماهير دامعة ، يتباكون متظاهرين بالغيرة على الكنيسة ، لكنهم في حياتهم جافون وفي أعمالهم مخجلون وفي سيرتهم مشوهون ملوثون .

تلك الخدمات السطحية التي رأيناها في جماعة من الناس تنوعت ثقافتها وتباينت عقلياتها واتفقت أهدافها في وسائل ملتوية معوجة .

هذا خادم يقضي نهاره ، من صباحه إلى مساءه ، في الخدمة في الكنيسة أو في هيئة . فهو متصبب عرقاً ومتعب جسداً ونفساً . لكن ما هي هذه الخدمة ؟ إنها خدمة تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى إبراز شخصيته أو تغليب مصالحه المادية أو الأدبية .

هذا لا نتيجة لخدماته المتكررة ، إلا أن تكون نتيجة متلفة مدمرة بقوته العائرة والمعثرة .

وإنك لو ألقيت نظرة على المحات من مختلف الكنائس والهيئات لصدمت بنتيجة بالسة تضع نسبة مثوية عالية في مصاف الخدام الفاشلين .. لقد كانوا خداماً سطحيين .

ابعد إلى العمق ، حدد هدفك في الخدمة على ضوء كلمة الله في تعاليم المسيح ، له المجد ، وقديسيه . ولتكن حياته مثلاً لك ، وإنكار الذات شعاراً لخدمتك ، وحياة التضحية أساساً لعملك ...

لتكن نفسك مملوكة لشخصه . وليكن فكرك مقوداً بروحانيته . ولتكن روحك منسكبه أمام عرشه .

لتنظره عيناك ، ولتصغ إليه أذناك ، ولتسجد له بقلبك ، وتسلم له حياتك ، فترداد اليزكات وتتعاظم الخيرات وتحصر ذاتك وخدماتك في نشر ملكوت السموات .

وله المجد في كنيسته إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قدامس الأحد الأول من الخماسين المقدسة

أحد توما

هات أصبعك إلى هنا وأبصر يديّ . وهات يدك وضعها في جني . ولا تكون غير مؤمن بل مؤمنا (يو ٢٠ : ٢٧) .

عجيب ومدعش . عدم إيمان توما بقيامة المخلص . وأعجب من هذا فشل الرسل في اقتناعه . والأعجب من الكل لطف المسيح وشفقته على تلميذه العاثر العنيد .

ففى ذلك اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات كان التلاميذ مجتمعين في عليّة اورشليم بسبب الخوف من اليهود فلا يبطشوا بهم كما يبطشوا بسيدهم . كان التلاميذ خائفين لأن سيدهم ليس معهم ، وهو في نظرهم في عداد الأموات . لكن بينما كانت الأبواب مغلقة وقف في وسطهم وقال : « سلام لكم أنظروا يديّ ورجليّ تحققوا ان الشخص الذى أمامكم هو ذات المصلوب ، وإنما صلبت لفداء البشر . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا لتعلنوا للناس غفران الخطايا بالإيمان وتتحكموا بالدينونة على غير المؤمنين . وطبعا « فرح التلاميذ إذ رأوا الرب » (يو ٢٠ : ٢٠) .

ولأن توما قد حرم من مشاهدة الرب لغيبابه عن الاجتماع ، فأخبره الرسل بتلك البشرى العظيمة أنهم رأوا الرب . ولكن يا للأسف لم يصدق . ومع أن الشهود عشرة . ومن صفوة الناس . وهم الزملاء الذين تمتعوا بعشرة المسيح وتعايمه وشاهدوا معجزاته ثلاث سنوات ونصف ومع ذلك فلم يصدقهم . الشريعة تقضى أنه « على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة » (٢كو ١٣ : ١) .

وقد ظهر المسيح مرات متوالية لأشخاص عديدين في أماكن مختلفة فقد استشهدوا بظهوره له المجد لمريم المجدلية في البستان . واستشهدوا بظهوره لبطرس . واستشهدوا بظهوره للتلميذين المنطلقين الى عمواس واستشهدوا بظهوره لهم في العلية . ومع ذلك فقد فشلت كل هذه البراهين في اقتناع توما . تبوأ في اقتناعه ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة الرسل الذين عليهم مسئولية الكرازة لليهود والتبشير للأمم . عجزوا عن اقتناع واحد وهو زميل لهم .

فالحقيقة ان أعظم خدام الله بدون المساعدة الإلهية هم لا شيء « إن لم يبين الرب البيوت فباطلا يتعبد البنائون » ، إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » (مز

١٢٧ : ١) « إذا ليس الفارس شيئاً ولا الساق بل الله الذى ينمى » (١ كو ٣ : ٧)
 بل كفايتنا من الله الذى جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد » (٢ كو ٣ : ٥ ،
 ٦) . فلا ينبغي أن نعتد على أنفسنا — مهما كان مركزنا — فى إقناع الغير . بل ينبغي
 أن نعتد على الله بالصلاة ، فهو وحده العامل فى الناس ولأن الله هو العامل فيكم أن
 تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (فى ٢ : ١٣) .

حقاً انه لمدesh عدم إيمان توما وامعانه فى العناد .
 اولاً — لأنه أهان اخوته بتكذيبه لإياهم وعدم تصديقه لهم .
 ثانياً — لأنه تكبر وأعتد بذاته ولم يرض أن يصدق إلا نفسه .
 ثالثاً — لم يعتد بأقوال المسيح السابقة التى أعلنها لهم أنه ينبغي أن يتألم ويقوم فى اليوم
 الثالث .

رابعاً — لم يتأثر بما رأى من معجزات المسيح التى بها أقام كثيرين من الأموات . فقد
 أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام . وأقام ابن أرملة نائين . وابنة يائرس .
 خامساً — لم يتأثر بشهادة العهد القديم بإمكانية قيامة الأموات من نبوة داود النبى
 القائلة : « لن تدع ثقيل يرى فساداً » (مز ١٦ : ١٠) الى قيامة ابن أرملة صيدا وابن
 الشوغمى ، فغريب أن يكون تلميذ عنيد متكبر جاهل غليظ القلب جافى الطبع بين تلاميذ
 المسيح . انه لغريب ومدesh للغاية أن المسيح يتنازل ويفتش عنه ، كما يفتش الراعى عن
 خروفه الضال .

لقد أعطى المسيح خبراً لتلاميذه ان يتقابل معهم فى الجليل ، ولكن تأخر هو وهم
 أسبوعاً فى اورشليم ، وهذا التأخير هو من أجل توما ، فلا يمكن أن يتركوه يتدهور فى
 مهاوى عدم الايمان ، وينفصل بالكفر عن شركة أخوته الرسل . فالمسيح له المجد قد جاء
 ليطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) فبينما كان التلاميذ مجتمعين فى عشية الأحد
 التالى ومعهم توما ، والأبواب مغلقة ، وقف يسوع فى وسطهم وقال سلام لكم . ولأنه قد
 جاء هذه المرة خصيصاً من أجل توما قال له : يا توما هات أصبعك الى هنا وأبصر يدي
 وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً » (يو ٢٠ : ٢٧) .

لقد كلمه المسيح بصفته له المجد عالماً بالكلمات القاسية التى تكلم بها . فدنا توما من
 سيده ورأى آثار المسامير والحرية وصرخ قائلاً : « ربى والهى » (يو ٢٠ : ٢٨) .
 اعترف بلاهوت المسيح « رئيس الحياة » (أع ٣ : ١٥) فقال له المسيح : « لأنك رأيتنى
 يا توما آمنتم . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو ٢٠ : ٢٩) .

إن اليهود رأوا ولم يؤمنوا . وتوما رأى فأمن . ونحن آمننا ولم نر ، وقد وعدنا بالقيامة والسعادة . وبما يلفت نظرنا بنوع خاص ، ان المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة لا زالت آثار الجروح في جسده المبارك . وقد كشفها لتلاميذه ، ولعبدته توما ، كما يكشف الملك جراحه لعبيده الذين يحبهم ويدللهم . ولا زالت آثار الجروح في المسيح وهو في السماء كما قال يوحنا الرائي : « رأيت فإذا وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف كأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . وعند مجيئه ثانية تكون آثار جراحه دائمة كما هي : « هوذا يأتي مع السحاب وستنظرونه كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) . يسوع سيقى كما هو ، آثار جراحه كما هي « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) . قال زكريا النبي : ما هذه الجروح في يديك ؟ (زك ١٣ : ٦) : لماذا تبقى آثار هذه الجروح ؟

أولاً — علامة التجسد :

الكلمة صار جسداً (يو ١ : ١٤) . الله ظهر في الجسد (١٦ : ٣) . بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية (عب ٤ : ١٥) . فآثار الجراح تبدو عليه الى الأبد لتشهد على ناسوته الكامل لأنه ابن الانسان .

ثانياً — أمانة القداء :

أنه جرح وسفك دمه لخلاصنا . قد اشتريناه بدم (١ كو ٦ : ٢٠) وهذه بتابع الخلاص ظاهرة في يديه ورجليه وجنبه .

ثالثاً — برهان القيامة :

أين ذهب المصلوب ؟ هو هو الشخص المقام وآثار المسامير تشهد بتحقيق شخصيته وتثبت صدق قيامته ، قد قهر الموت لأنه رب الحياة ، ضع يدك في جنتي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً (يو ٢٠ : ٢٧) .

رابعاً — زينة جسده المعجده :

الجراح فخر للجندى المنتصر ، لقد تمجد المسيح بكل مجد ، ووجه الملع من الشمس ، وكله كالنور الفائق الضياء ، وإذا تظهن فيه آثار الجراح إنما تبدو للزينة والمجد والبهاء .

خامساً — صورة الطاعة للآب :

الذى إذ كان في صورة خلعة لم يحسب خلعة أن يكون معادلاً لله ، لكنه أخلى نفسه

أخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٦ - ٨) .

قديمًا كان يؤخذ العبد العبراني الذي يريد أن يخدم سيده الى الأبد الى الباب ، وتوضع أذنه على الباب ، وتتقب مع الخشب بالثقب ، فيبقى جرح الأذن عنوان طاعته المؤبدة وخدمته الدائمة ، والمسيح أطاع الآب وخدمه ويخدمه في قضية خلاص البشر الى الأبد .

سادساً — أداة الشفاعة :

قال صاحب الرسالة الى العبرانيين : « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة فوجد فداء أبدياً » (عب ٩ : ١٢) . وقال أيضاً : « فمن ثم يقدر أيضاً أن يخلص الى التمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ١٥) . يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا ، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢٢) .

سابعاً — موضع تعجب الملائكة :

إن آلام المسيح وأجماده ، التي تنبأ عنها الأنبياء وبشر بها الرسل ، هي أشهى ما تشتهى الملائكة كقول بطرس الرسول : « الأمور التي أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء ، التي تشتهى الملائكة أن تطلع عليها » (١ بط ١ : ١٢) .

ثامناً — راية الانتصار على الفداء :

لقد سحق المسيح الشيطان سحقاً ذريعاً ، وأبطل الموت بموته ، وأزال الخطية باحتياله عقابها وطهرنا منها . وجراحه شاهدة بانتصاره .

تاسعاً — دعوة للتوبة :

فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله ان تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية (رو ١٢ : ١) . هوذا المسيح يمد يده التي بها خلقنا ، يده التي بها افتدانا ، التي صبغها بدمه ، يمد يده طالباً دعوتنا إليه ليضمنا بيديه اللطيفتين الى صدره . « تعالوا الّى يا جميع المتعبين والثقيل الأحمال وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) فهل نبال أم نستخف بالدعوة ؟

عاشراً — شهادة ضد الخطاة يوم الدين :

يأتى إلينا ولا يصمت ، نار قدامه تأكل ، وحوله عاصف جداً ، يدعو السموات من فوق والأرض لمداينة شعبه » (مز ٥٠ : ٣) . هوذا المسيح يجلس على عرشه ، ويتحول آثار جراحه من شفاعاة الى دينونة « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إالى هنا واذهبوهم قدامى » (لو ١٩ : ٢٧) . لا حجة للخاطيء فى عدم التوبة ، هوذا آثار الجراح . لذلك أنت بلا عذر أيها الانسان . (رو ٢ : ١) مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحي (عب ١٠ : ٣١) .

ان هذا الأحد المبارك يسمى أحد توما أو أحد التجديد ، لأن فيه تجدد توما وصار رجلاً متيناً فى الإيمان ، وذلك لأنه نظر جراح المسيح فتحقق من شخصيته المباركة . فباليتمنا ننظر الى جراح المسيح الآن . « نظروا إليه واستباروا ووجوههم لم تخجل » (مز ٣٤ : ٥) . ولربنا المجد دائماً آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الثانية من الخماسين المقدسة

تناول الأسرار المقدسة

من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية (يو ٦ : ٥٤) .

إن السيد المسيح له المجد وعد ووعدته صادق أن يقدم جسده المقدس ودمه الكريم ذبيحة من أجل خلاص العالم . وكيف أنه هيا الشعب لهذا الوعد بمعجزته الخاصة بإطعام الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وبمكتين وبنعمة الله وإرشاده نتأمل في :

أولا - إطعام الخمسة آلاف رجل :

حدث هذا في أيام الفصح عند اليهود في مكان منعزل على شاطئ بحيرة طبرية التي تدعى بحر الجليل . وكان الجمع الملتف حوله والذي رأى معجزاته التي صنعها في شفاء المرضى نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال حيث كان يركز ويعظ حتى المساء . وحينئذ ظهرت مشكلة إطعام هذا الجمع الغفير في ذلك المكان القفر الخلاء . فقال له أحد تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وبمكتان ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء فقال يسوع للجمع أن يتكثروا على العشب وأخذ يسوع الأرغفة والسمكتين وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكثرين . فلما شبعوا قال لتلاميذه إجمعوا الكسر الباقية فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة منها . فتعجب الجمع وامتلاؤا حماساً وأرادوا أن يتوجونه ملكاً ، ولكنه رفض لأنه لم يرد ملكاً أرضياً . أظهر يسوع قدرته الإلهية على إطعام الخمسة آلاف كما أظهر لهذه القدرة الربانية على تقديم جسده وعلى سيطرته على قوانين الطبيعة بمشيه على ماء البحيرة وإسكاته العاصفة .

اجتمع الحشد بعد نزول يسوع إلى البر ، وكان من بين هذه الجموع شيوخ اليهود والفريسيين والكتبة وهم تواقون إلى مساءلته وطالبوه أن يبرهن لهم على سلطانه في أن يعلم باسم الله . ثم أردفوا قائلين إن معجزة إطعام الخمسة آلاف بخمسة أرغفة وبمكتين لم تكن برهاناً كافياً ، لأن موسى كان قد أعطى الشعب الخبز من السماء أثناء رحيلهم في برية سينا بعد أن كانوا قد غادروا مصر . وكانوا يشيرون إلى حادثة المن . بعد شهرين من مغادرة بني إسرائيل مصر وصلوا إلى مكان مالم يستطيعوا أن يجدوا فيه طعاماً ، فتذمروا على هارون وموسى قائلين إنكما أخرجتمونا إلى هذا القفر لكي نميتا كل هذا الجمهور جوعاً .

فأرسل الله لهم طعاماً ، إذ رأوا في المساء أسراباً من طير صغير هو السلوى (السماء)

وقد حطت هذه الطيور على خيامهم ، فأمسكوا بها ، كما رأوا في الصباح مادة يضاء منتشرة في هذه البادية . فقالوا لمن قد يكون محتملاً أنه عصير نبات يمتاز بطعم سائغ حلو ، وفي الوقت نفسه مادة مغذية ليوم واحد ثم تفسد ولذلك أمرهم موسى بأن يجمعوا منها ما يكفي حاجاتهم يوماً واحداً وقال لهم لا يبق أحد منه الى الصباح . وعرفوا أن هذا الطعام أمدتهم الطبيعة به لسد حاجاتهم بأمر الله خالق الكل .

سأل هؤلاء الكتبة والفريسيون يسوع قائلين إن موسى كان قد أعطى اسرائيل الطعام من السماء . فأجاب المسيح رداً عليهم : إن الله وليس موسى هو الذى أعطاهم المن ، وفضلاً عن ذلك فهؤلاء الذين كانوا قد أكلوا المن ماتوا . وقال إنه يعطى طعاماً به يمنح الحياة الأبدية لكل من يأكله فتعجبوا من هذا قائلين أعطنا هذا الخبز دائماً ، واستمر في إعطاء العهد الخاص بالقرى المقدس .

ثانياً — عهد القرى المقدس :

قال يسوع : أنا هو خبز الحياة من يقبل إلىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش فزع هؤلاء وتذمروا لقوله لهم إنه الخبز النازل من السماء الواهب الحياة الأبدية . وكان هذا قولاً عن ألوهيته ، ولكن يسوع أعاد هذا الكلام في تأكيد لا يقبل الشك ولا يتطرق إليه الرهب وأضاف إليه ما يأتي : « أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء . لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت » (يو ٦ : ٤٨ — ٥٠) كان ذلك القول مفزعاً لهم كما كان أيضاً محيراً لهم .

والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم . وقال الرب يسوع في هذا المجال ما كان يقوله في مواقف أخرى إنه جاء من قبل الله أبيه ليعطى حياة جديدة للناس . وكما أن الطعام يعطى حياة طبيعية هكذا هو سيعطى الحياة الفائقة الطبيعية . فهؤلاء فقط الذين ينالون هذه الحياة هم الذين يؤمنون بتعليمه وإن قبلوا الرب يسوع . على أن معظم الذين سمعوه لم يقتنعوا أنه نزل من السماء ، كما أنهم لم يقتنعوا بأنه يستطيع أن يعطيهم جسده ودمه ، واحتجوا بشدة . ولكنه لم يتراجع عما قال بل ازداد إصراره عليه فأوضح بما لا يدعو مجالاً للمجاز أنه يعطى ذاته طعاماً حقيقياً وشراباً حقيقياً لمن يؤمن به فقال الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . ومعظم الذين سمعوه رفضوا أن يصدقوه ؛ كما فقد كثير من تلاميذه فقتهم فيه ورجعوا عنه ؛ ولكنه لم يطلب منهم أن يرجعوا ليقول لهم إنهم أساءوا فهمه بل إنهم إلى رسله الاثنى عشر وقال لهم : « هل أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا ؟ كأنه يقول لهم إذا لم تقتنعوا بتعليمي

فإنكم لستم أتباعي ، فتكلم سمعان بطرس باسمهم كما كانت عاداته في مواقف كثيرة أخرى . « يارب إلى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي » (يو ٦ : ٦٨ ، ٦٩) .

ثالثاً — الوفاء بالوعد :

نفذَ هذا الوعد عندما أكل الرب يسوع العشاء الأخير مع رسله في الليلة التي أسلم فيها ذاته بإرادته وسلطانه وحده . وكان هذا أثناء عيد الفصح .

فبعد ان فرغوا من طقوس الفصح القديم أخذ مخلصنا خبزاً على يديه وكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي ، وأخذ كأساً بها عصير الكرم وذاق وأعطي تلاميذه وقال اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨) . ولم يقل مثلاً هذا علامة على جسدي ودمي بل قال بصراحة خذوا كلوا هذا هو جسدي وأشربوا هذا دمي . لذلك فهم الرسل وكل رجال الدين بعدهم ما كان يقصد تماماً من قوله الخبز وعصير الكرم تحولاً الى جسده ودمه . وما كان على المائدة أمامه في العشاء الأخير كان خبزاً وعصير الكرمة من حيث مظهره للحواس الخمس ، ولكنه كان في الحقيقة جسد ودم المسيح . وبقي المظهر كما هو ، والحقيقة تكمن فيما وراء ذلك ، إذ تحولاً بقدرة الله الذي لا يستحيل عليه شيء . وقال يسوع المسيح لرسله اصنعوا هذا للذكرى . لا يستطيع التحليل الكيميائي أو العلوم الإنسانية أن تثبت ان التحول قد يحدث ، إنه نوع خاص في التحول فريد تماماً في ذاته . ويسمى سرّاً مقدساً ويمكن لمثل هذا التحول فقط أن يعرف عن طريق الإيمان في تعليم المسيح وكنيسته وهو كلمة الله .

رابعاً — إيمان الكنيسة في هذا السر :

إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء الزوح القدس على القرايين ، يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين حتى ان الخبز والخمر اللذين نظرهما على المائدة الكهنوتية ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه ذاته تحت شكل الخبز والخمر . ونؤمن ان ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة حضوراً فعلياً . وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها ، لأن الرسل الأظهر سلموا هذا الإيمان لجميع المؤمنين في المسكونة . وظل هذا السر يمارس في جميع الكنائس الرسولية الى الآن وإلى الأبد . وقد اعتادت الكنيسة المقدسة الوحيدة الجامعة الرسولية أنها عند تعميد الأطفال على إيمان والديهم أو أشايتهم تمنحهم سر جسد الرب ودمه الأقدسين قوتاً روحياً لهم لنيل الحياة الأبدية حسب وصية الرب .

قال القديس يوحنا فم الذهب ، إننا نتحد مع المسيح بأكل جسده ودمه الأقدس لا بالحبة ورضى الإرادة فقط بل بالحقيقة والجوهر . فلا مأكّل ولا مشرب يغيث النفس حقيقة للحياة الأبدية إلا جسده ودمه . إذن عندما نتناول الأسرار المقدسة نأكل جسد الرب ونشرب دمه وبذلك نتقبل في داخلنا يسوع المسيح نفسه ، وبهذا نثبت فيه وهو يثبت فينا ، وننال الحياة الأبدية . ونذكر ذبيحته الكفارية التي قدمها على الصليب من أجل فدائنا وتبريرنا ، فما أخرجنا دائماً الى تناول هذه الذخيرة المقدسة بكل ورع وإيمان ومحبة . قال القديس امبروسوس : كيف يموت من كان طعامه الحياة . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل عشية الأحد الثاى من الخماسين المقدسة

الشكر

« إذ شكر الرب » (يوحنا ٢٣: ١٠) .

أفضل نتائج عطايا الله ، بل أفضل ما يعطينا هو أن نكون شاكرين . فمن عاش شاكراً عاش سعيداً .

والشكر هو قلب المسيحية الحساس . ومهما أعطينا من ثروة وكان لنا من دين أو علم ، وخلصت هذه من الشكر ، فلا قيمة لها قطعاً بل قد تتحول الثروة بُطلاً والدين رياء والعلم انتفاخاً ، والحياة مُرة .

أما إذا ملأ الشكر قلوبنا وأكتفيننا ورضينا ، ولو كنا فقراء ، وسررنا بنصيبنا ، ولو كان نصيب لعازر البلايا ، فتكون الحياة هادئة سعيدة .

أما غير الشاكر فإنه يكون ساعطاً على الحياة ، متشائماً ، أيامه هم وأوقاته غم . يقول سليمان الحكيم : « الغم فى قلب الرجل يحنيه والكلمة الطيبة تفرحه » (أم ١٢: ٢٥) .

أما الشكور فقلبه فرح « والقلب الفرحان يطيب الجسم » (أم ٢٢: ٧) القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً ، والفم مبتسماً ، والأمل واسعاً « لأن طيب القلب وليمة دائمة » (أم ١٥: ١٥) . يتألق وجه الشاكرين بضياء من السعادة . الشكر يحمل جزاءه معه . النفس الشاكرة هى النفس السعيدة يقول المزمع « حسن هو الحمد للرب » (مز ٩٢: ١) . إن طريق الشكر يقودنا من مواطن التذمر والشكوى إلى أماكن الترميم والانتاف . إن طريق الشكر هو الطريق الذى يخرجنا من الحقد والحسد . طريق الشكر هو طريق السلام والهناء والتمجيد فى الحياة المسيحية .

ثم إن النفس الشاكرة تتمتع بجمال الذاكرة القوية . إن الذى يشكر يدل على أنه يذكر ويحسن التفكير . فكر فى عطايا الله الكثيرة ، ثم أشكره على هذه العطايا وطريق الشكر هو الطريق السلطاني الذى استعمله الرب يسوع ، فكانت أكثر صلواته شكراً ، فهل تذكر مراحمه فتشكر . بولس وسلا كانت أرجلها فى المقطرة فى السجن

الداخلي ، ومع ذلك كان يسبحان الله . قد تجد شخصاً من الناس تحيط به بركات الله وتفيض عليه ، ولكن لأن أفكاره متجهة نحو ما ينقصه وما يشتهي فإنك تجده دائماً متندراً . شاكياً ، بدلاً من أن يكون حامداً شاكراً . بينما بجواره آخر فقير ، مضروب بالأمراض ، كثيرا الآلام ، ومع ذلك تجده متهللاً شاكراً كل حين .

كان مؤمن تقى قد أصيب بأمراض خطيرة وعملت له عمليات كثيرة ، إلى أن قطعت ذراعاه وقدماه . ماذا ينتظر من شخص كهذا ؟ عوض أن يتنفس ويتذمر ، سلم وشكر . كانوا يخرجونه كل يوم خارج كوخه الحقيق ، فيصرف وقتاً في تلاوة بعض الآيات الكتابية ويرنم بعض الترانيم الدينية ، فتعجب أحدهم من تصرفه هذا ، وسأله : كيف ترنم وأنت مقطوع الذراعين والقدمين ؟ علام ترنم ؟ أجابه : وكيف لا أشكر وأرغم وقد أعطاني الله قلباً به أشكره ولساناً به أذكره ؟

هل فكرت أن تشكر الله على صحتك بين المرضى ؟ وعلى شعبك ساعة الجوع ؟ وعلى خيرك حين يترعب الشقاء والألم والتعاسة والحرمان والمذلة بملايين من أفاضل البشر ؟ فلنشكر الله على البركات الزمنية ، فجميعنا لنا من هذه البركات ما يجب أن نشكر الله عليها .

صل أحد القديسين قائلاً : أعني يارب لأحمدك . إننى فقير ، فأعني لأحمدك بالقناعة ، إننى مريض فساعدنى لكى أحمدك بالصبر ، إن لى وقتاً فساعدنى يارب لكى أقدري لخدمة مجدك ، إن لى قلباً يشعر فيه ألا يشعر إلا بمجنتك ولا يلتب إلا بذكرك وشكرك .

ثم يجب أن نشكر من أعماق القلب على البركات الروحية « الذى لم يُشفق على ابنه بل بذله من أجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء » (روم ٨: ٣٥) « كل شيء لكم » (١كو ٣: ٢١) بركة الغفران والتبني والتقليد والتجديد .

إن مجرد التأمل في هذه البركات يملأ قلوبنا بالفرح والبهجة . ثم يجب أن نشكر حتى في أوقات الظلام والآلام . لنشكر في جميع الظروف المحيطة بنا ، الصعبة منها والسهلة الحلوة والمررة . إن المؤمن المتصل بالله لا يمكن أن تحل به نازلة مهما كانت شديدة الوطأة إلا ويجد لها حمداً يرفعه لله .

إن الإيمان يجعلنا نقى بعناية الله التى تحول كل شيء للخير . الإيمان بمواعيد الله وحكمته ومحبه يجعلنا نشكر ونفرح دوماً ونرتقى فوق الهموم « شاكرين كل حين على كل شيء فى اسم ربنا يسوع المسيح » (أف ٥: ٢٠) .

متى حل المسيح في بيوتنا وملأ قلوبنا نستطيع أن نشكر في ظلام الليل وفي ضوء النهار .. نستطيع أن نترنم في الصحة والمرض ، في الجوع والشبع ، في الضيق والفرح .. نستطيع أن نرتفع فوق كل الظروف ، حامدين شاكرين . بدلاً من أن نشكو يجب علينا أن نشكر ، فلا نكون كشاول الذى يحمل الرمح على الدوام للطعن والضرب والنزال . بل يجب أن نكون كدلود الذى يحمل العود والقيثارة ، لأن في الطعن والنزال شقاء ، وفي الشكر والترنم شفاء . ولا توجد قوة في الوجود تعادل قوة البهجة والفرح ، لأن فرح الرب هو قوتنا . ومتى شكرنا الله على القليل الذى عندنا زادنا من الكثير الذى عنده ، لأن مراحمه كثيرة تتجدد لكل قلب غمرته النعمة وساده الشكر .

قال أحد دارسي طباع الطيور إن عصفور الكنارى يُدركه عمى البصر في السنة الرابعة من عمره ، ومن عادة هذا العصفور أنه لا يكف عن التفريد كل أيام حياته ، حتى عندما يفقد بصره لا يكف عن التفريد ليل نهار ، لأن عمى بصره ساوى عنده الليل بالنهار ، فجعل كل حياته ليلاً قائماً . ولكنه بتفريده يحيل هذا الليل المظلم إلى نهار دائم ، فيفرد ولا يكف عن التفريد حتى بعد أن فقد بصره .

فما أحوجتنا إلى أن نتعلم نعمة الحمد والتفريد ، وأن نتقن فن الغناء والشكر والتحميد ، شاكرين ومترنمين على الدوام بمراحم الرب التى هى جديدة علينا كل صباح . ولنعلم أنه ليس كل شكر شكراً ولو كان له صورة الشكر . ومن ذلك :

١ - شكر البر الذائق (الأثاني) :

ظاهره شكر وباطنه كفر ، والدافع إليه الكرياء . شكر الفريسي « اللهم أشكرك لأنى لست مثل باقى الناس » . صاحبه أسوأ من مادح نفسه . إنه لا يرفع لله حمده بل يرفع عليه بقلبه . أمثال هذا وثنيون ، يحرقون بخور شكرهم على مذابح ذاتيتهم . فلا كان برهم ولا كان شكرهم .

٢ - الشكر العقيم :

من فم صاحبه ليده ، منه وإليه ، لا يستفيد غيره منه : يستمتع بالتأكلين المعوزين فيقبل يده شكراً ويرفع كفيه حمداً ، لكنه لا يقبل على البؤساء لمواساتهم ، ولا يفقد المتضايقين لتفريج كربتهم ، ولا ييسط يده لمساعدتهم . فهل هذا شكر يرضاه الله ؟

٣ - الشكر المزعزع :

وهو المعلق على الظروف الموافقة والأحوال المناسبة . وما أكثر الذين تدعوهم الظروف إلى الشكر فلا يشكرون . الشكر الموهون بالظروف الملائمة يشبه يقطينة يونان

سرعان ما يحون وسرعان ما يصبح في خبر كان . فبينما نكون شاكرين ، تتغير الأسباب فتقلب ساططين متدمرين .

٤ — أما أفضل الشكر فهو غير المترزع :

لأن أساسه راسخ .. شكر ينض به القلب المتجدد بالنعمة ، وتردده النفس الطاهرة بفاعلية الروح القدس وتظهره حياة المسيح فينا ، شكر مولده الجليلة ، وفخره الصليب ، وغايته مجد المسيح .. شكر تسكبه النعمة على شفاهنا ويزكيه الروح القدس في قلوبنا فيستحيل جزءاً من كيانتنا ، فلا نكون إلا شاكرين .

في الوقت الذي علم فيه دانيال بتوقيع الكتابة ضده لطرحة في جب الأسود ، صلي وحمد قدام إلهه ثلاثة مرات — وما هي إلا ليلة واحدة يسامره فيها الملك ، وقد سد أفواه الأسود ، وفي صباحها يكرمه الملك ويرقيه .

وكمؤمنين يجب أن نشكر بنوع خاص في الظروف التي يرى غيرنا أنها لا تستدعي الشكر . فإن تكن الظروف آكلة بل مهلكة ، فلنشكر لأن الله يخرج لنا من الأكل أكلاً ومن الجافى حلاوة .

إن ما نناله عن طريق الظروف المعاكسة والتجارب المتنوعة لا نناله في الظروف الموافقة والأحوال المريحة . إن الظروف والحالات التي يرى عديمة الإيمان أو ضعيفة أنها لا تستوجب الشكر يراها نطل الإيمان تستدعي شكراً ، وتستدعي فخرأ ، بل نفتخر أيضاً في الضيقات ولا يمكن أن تحمل بالمؤمن تجربة ، مهما كانت شديدة الوطأة ، إلا ويجد فيها حمداً يرفعه إلى الله .

ومما يزيدنا شكراً أيضاً التأمل في حياة مخلصنا ، له المجد . فإنه كان شكوراً طيلة حياته على الأرض . فلما بارك الخمس خبزات شكر ، وبعد الشكر طلب البركة . وأمام قبر عازر نراه واقفاً لا راثياً بل شاكراً ، وبعد الشكر القيامة .

كان بينه وبين الصليب خطوة ، ومن تلاميذه من يغدر به ومن يهجر ومن ينكر ، ومع ذلك يأخذ الخبز ويشكر لأجل جسده المكسور ، ويأخذ الكأس ويشكر لأجل دمه المسفوك .

فما أحوجنا أن نتأمل في هذا المثل الأعلى ! بهذه كلها بواعث تدفعنا لنحيا حياة الشكر ، فنستطيع أن نشكر كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح الذي له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قدامس الأحد الثانى من الخماسين المقدسة

خبز الحياة

أنا هو خبز الحياة (يو ٦ : ٣٥) .

قام السيد المسيح مقتدرا ، كما قام منتصرا على الشيطان ذاك الذى كان بيده سلطان الموت ، وعلى الخطيئة التى أجرتها موت ، وعلى الهاوية ليخلص منها من كانوا تحت حكم الموت ، وعلى الموت نفسه فصوره حياة ورحا .

وظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته براهين كثيرة مدة أربعين يوما وكان يحضر فى وسطهم والأبواب مغلقة ، ويرأس اجتماعاتهم بعد أن وثقوا فى قيامته إذ رأته عيونهم وسمعت آذانهم . وظل المسيح حاضرا مع كنيسته الأولى . وهكذا يظل حاضرا الى الأبد . حسب وعده القائل : ها أنا معكم كل الأيام — وإلى انقضاء الدهر الأمر الذى من أجله تقدمه الكنيسة فى أيام الخمسين المقدسة بجسده ودمه الأقدسين المرفوعين على مذبح الله يسوع المسيح الذى تقدمه الكنيسة فى إنجيل هذا الصباح المبارك هو خبز الحياة .

إن القيامة والحياة مترادفان متلازمان . فالمسيح القائم من الأموات صار قيامتنا نحن الذين كنا أمواتا بالخطايا . فأقامنا معه وهكذا صار لنا حياة بعد زمان موت . فالمسيحى الحقيقى هو الذى لا يمينا بذاته ، بل يمينا بالمسيح لى الحياة هى المسيح . وهذه الحياة التى لنا فى المسيح هى حياة جديدة . كما يسميها القديس بولس الرسول . « جدة الحياة » هى غير الحياة القديمة التى قبل قيامة المسيح . وبنعمة الله وارشاده نتكلم عن النقاط الآتية :

١ — خبز الحياة :

هذه الحياة الجديدة التى دخلت الى عالمنا ، وأظهرت لنا بعد أن كانت عند الآب وفيه . الحياة بحسب المسيح . أو حياة المسيح كما نراها فى الانجيل هى التى وهبها لنا المسيح بقيامته ، بجسده الحى . وإن كنا نعلم ان كل ما عمله المسيح له المجد عمله لحسابنا فبالأولى جداً تكون قوة القيامة لنا ونحن فى شدة احتياجنا إذ كنا جالسين فى الظلمة وظلال الموت . المسيح هنا لا يعطى وصايا . لم ينفع الذين سمعوا من قبل . المسيح لا ينادى بمبادئ وشعارات يظل سامعوا فى عجزهم لا يستطيع أحد أن يحقق شيئا منها . ولكن المسيح اليوم يعطى نفسه . يعطى حسب القائم من الأموات الواهب حياة أبدية . المسيح اليوم يعطى قوة قيامته ونصرته على الموت ليس بالكلام ولا بالعظات ولا بالصايات ولكن

يقدمه خبز الحياة لمن يريد أن يأكل الحياة ويرتبط بها الى الأبد . المسيح يقدم الحياة الأبدية التي فيه لكي تدخل في الانسان فلا يموت ولا يقوى عليه قوة الموت ولا خوفه يقدم الحياة الأبدية مأكل حق ومشرب حق .

هنا يبدو واضحاً إن ما يقدمه المسيح القائم من الموت يختلف اختلافاً جذرياً عن كل ما قدمه الأنبياء والآباء قديماً لأن المسيح يقدم ذاته .

٢ — كيف يعطينا جسده لناكلة :

ما أعجب موقف الرافضين لسخاء نعمة ربنا وكرم محبته فبدلاً من أن يمجّدوه كإله ، حقوا في ذنهم . هكذا خاصم اليهود . بعضهم بعضاً قائلين : كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكلة ؟ مع المسيح الحي القائم من الأموات لا يوجد مكان لكلمة كيف . فإلهنا المستحيل لأن كل شيء مستطاع لديه . هل من المعقول ان نقارن الروحيات ونحكم عليها بالجسديات ؟ إن الروح يفحص كل شيء ، والروحاني يحكمه في كل شيء . أما الجسديون فيعثرون في فخاخ وشكوك للهلاك . إيماننا بالمسيح مبنى على ثقتنا الكاملة في قدرته الإلهية غير المحدودة . يسوع المسيح قال : الخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أبذله . يسوع المسيح قال لجماعة اليهود : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة . يسوع المسيح قال لتلاميذه خذوا هذا هو جسدي . ماذا بعد ذلك . هل نقول مع جماعة اليهود كيف ؟

٣ — ليس كما أكل آباءكم المن في البرية وماتوا :

الآباء الأولين أكلوا الطعام الروحي . المن السماوي . أكلوه جسدياً . إذ كانوا خاضعين للجسد ومحصورين فيه . فلم يفدّهم شيء . بل طرحت جشهم في القفر وبأكثرهم لم يسر الله . المسيح يريدنا اليوم ان نتفاعل معه ونقترب الى خبز الحياة بروح الايمان لننال كل يوم جديداً على المذبح . ونلتقط بكيال الروح ، الذي لا يقاس بمقاييس العالم ما يكفي لحياتنا . ونحن نسلك في برية وقفار هذا العالم في مسيرتنا نحو كنعان ميراثنا الأبدى . أكل الفصح كان لأبائنا احتفاءً من موت المهلك . وأكل المن كان لحفظ حياتهم في برية مميتة وجفاف رهيب . وأكلنا من جسد المسيح ليس لحماية حياة جسدية . بل لاستبقاء حياة أبدية وسؤال ضمير صالح أمام الله .

٤ — كلما أكلتم من الخبز تغربون بموت الرب وتبشرون بقيامته :

هكذا نردد في القداس . ومن المفروض على المسيحيين الحقيقيين أن يذكروا موت

الفادى على خشبة الصليب فى أيام غربتهم ، وفقا لوصية الرب التى تركها للكنيسة . فأكلنا من خبز الحياة يتحول فينا الى قوة موت ، وايضا قوة حياة ، موت عن العالم ، موت عن الشهوات . ان اعترتكَ عينك ، أو يدك أو رجلك اقلعها أو اقطعها . إنها قوة الصليب . قوة رهبة للكف عن الشر . احسبوا انفسكم أمواتا عن الخطية . وأيضاً قوة جديدة . فالمسيحية ليست ان نكف عن الشر فى سلبية . بل أن نعمل بقوة بحسب روح القيامة فى إيجابية لم يعرفها العالم . معنى التبشير بقيامة المسيح يكون على نفس مستوى عطاء المسيح فى بذل ذاته وكسر جسده من أجل الآخرين . فكلما أكلنا خبز الحياة ، خبز القيامة حصلنا على قوة الكرازة بموت المسيح وقيامته ، ليس بالكلام ، ولكن بالعمل والحق . أى تصير فينا إمكانية ان نموت من أجل كل أحد . ونبذل أنفسنا فى حب . مذبح كل يوم . وكلما نبذلنا أنفسنا للموت من أجل الآخرين . نقام بالأكثر بقوة قيامة مذهلة . وهكذا تتجدد حياتنا كل يوم فى موت وبذل ، ثم قيامة بقوة أعظم .

٥ — الاتحاد بالله :

إن غاية المسيح عندما أعطانا لتأكل ، هى أن نتحد به ونصير واحدا معه ، فتسرى فينا قوة قيامته الى أبد الأبد . لا يقوى علينا موت فيما بعد . فالتناول من جسد المسيح يوحدنا به بروح قيامته . بدون أكل جسد المسيح لا يصير إتحاد بالمسيح . بل إن اشتراكنا فى جسد المسيح الواحد كمخبز حياة هو التفسير العمل لوحدانيتنا كأعضاء بعضنا لبعض . إذ تسرى فينا عصارة حياة واحدة فى المسيح يسوع .

٦ — السر وعلاقته بحياتنا الروحية :

ان الذى يعلمنا السيد فى خطابه للتلاميذ هو أن طالب الحياة لا يغنيه شئ عن هذا الينبوع العذب . فهو إن مارس جميع وسائل النعمة وأغفل تناول من جسد الرب ودمه الأقدسين . فلن يغنيه تلك الوسائل جميعها عن البركة التى ينالها من تناول .. حيث قال يسوع : الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم (يو ٦ : ٥٣) . ولإلهنا المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

التلمذة والتعليم

ان ثبم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذى (يو ٨ : ٣١) .

ان الحياة المسيحية هى حياة تلمذة . وكل الذين آمنوا بالمسيح تسموا تلاميذ للرب . والسيد المسيح لما ألقى العظة على الجبل القاها لتلاميذه إذ يقول الكتاب : « تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلًا » (مت ٥ : ١-٢) . والذين آمنوا عن طريق يوحنا المعمدان . تسموا تلاميذ يوحنا . والسيد المسيح ، لما أرسل الرسل ، قال لهم : « اذهبوا ، وتلمذوا جميع الأمم . ذلك ان الحياة المسيحية هى حياة تلمذة ، فالمولود أعمى عندما دافع عن المسيح قالوا له . انك تريد ان تصير له تلميذاً . بل انهم شتموه وقالوا له : أنت تلميذ ذلك ، ونحن تلاميذ موسى .

ان الذى يتبع المسيح ، هو تلميذه ، وفى عهد الرسل يقول الكتاب كان عدد التلاميذ يتكاثر جداً بمعنى عدد المؤمنين . مفروض ان الانسان يتلمذ على حياة المسيح ، والتلمذة ليس معناها ان تسمع محاضرات وكلاماً أو دروساً . إنما التلمذة معناها انك تتلمذ على حياة وتعاليم متتصها وتعيش فيها . وليس مجرد سماع فقط . فكل المؤمنين يسمعون الانجيل فى القداسات والصلوات ، لكن هل بهذا صاروا تلاميذ للمسيح ، للإجابة على هذا السؤال ، نبحث الشروط . فإن المسيح قد أعطى شروطاً معينة للتلمذة . اذ قال فى يوحنا ١ : ان ثبم فى كلامي فبالحقيقة أنتم تلاميذى » (يو ٨ : ٣١) بمعنى انه ليس مجرد سماع كلامه انك صرت تلميذاً له . لكن المهم ان تثبت فى هذا الكلام وتندرب عليه وتحوله الى حياة . هذه هى التلمذة . والمسيح أيضاً يقول أن هناك أنواعا من الناس لا يمكن أن يكونوا تلاميذ له منهم :

- ١ — من لا يترك أباه وأمه .
- ٢ — من يضع يده على المحرث وينظر الى الوراء .
- ٣ — الذى لا ينكر ذاته ولا يحمل صليبه .

التلمذة اذن ليس معناها مجرد ان تسمع كلاما . فان لم تنكر ذاتك وتحمل صليبك وترتك كل شيء من أجل المسيح لا تستطيع أن تكون له تلميذاً . ويضع المسيح قاعدة أخرى أمام الرسل — للتلمذة — حين يقول لهم بهذا يعرف أنكم تلاميذى ، ان كان لكم

حب بعضكم نحو بعض . والتلمذة اذن حياة معينة ، يتلمذ فيها الانسان على تعاليم وعلى وصايا ، ويقتبس شيئاً ليحيا به .

يعلّمنا إنجيل قداس هذا اليوم تعليماً معزياً وضع عن الحرية الروحية التي لتلاميذ المسيح ، قصد به تشجيع أولئك اليهود الذين آمنوا . فالمسيح إذ علم ان تعليمه قد بدأ يعمل في بعض سامعيه ، وأدرك أن قوة خرجت منه ، حول حديثه من الفريسيين المتغطرسين ، ووجهه الى أولئك المؤمنين الضعفاء . عندما نطق بالفضب على الذين قسوا قلوبهم في عدم الإيمان تكلم بالتعزية لليهود القليلين الضعفاء الذين آمنوا به . وهنا نرى كيف ينظر الرب يسوع نظره عطف للمرتعدين من كلامه (اش ٦٦ : ٥) . المستعدين لقبوله . إن لديه ما يقوله لمن هم آذان مستعدة أن تسمع . عندما يكون الإيمان في طفولته يعد له المسيح « الركب لتعينه ، والثدى لترضعه ، لكي لا يموت من الرحم » (أى ٣ : ١١ ، ١٢) . وفيما قاله لهم للمسيح نجد أمرين يقولهما لكل الذين يؤمنون في كل الأجيال . صفات تلميذ المسيح الحقيقي إن ثبت في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي » عندما آمنوا به كرسوا أنفسهم له ليكونوا تلاميذه . وإذ دخلوا مدرسته وضع هذه القاعدة الثابتة أنه لن يعترف بأحد تلميذاً له إلا من ثبت في كلامه . هذه تتضمن أن هنالك كثيرين يعترفون بانهم تلاميذ للمسيح مع أنهم ليسوا بالحقيقة تلاميذ ، لكنهم أشباه تلاميذ ، تلاميذ بالاسم فقط .

إن الذين يثبتون في كلام المسيح هم فقط الذين يقبلون كتلاميذه بالحقيقة ، الذين يلتصقون بكلمته في كل ظروف الحياة بدون تحيز ، ويتمسكون بها الى النهاية بدون ارتداد . وامتيازات تلميذ المسيح الحقيقي انه يعرف الحق الذي يلزمه معرفته وفيده ، ويزداد ثباتاً في الإيمان به . إن أولاد الله ليسوا إلا أطفالاً ، ويفهمون ويتكلمون كأطفال . إن الحق الذي يعلمه المسيح يهدف الى تحرير الناس (إش ٦١ : ١) . إن حق الإنجيل يحررنا من نير الناموس . إنه يحررنا من أعدائنا الروحيين . كيف أعثر هذا التعليم اليهود السالكين حسب الجسد ، وكيف اعترضوا عليه . بالرغم من أنه كان تعليماً أتى بأبناء سارة عن الحرية للامسى . ما الذي احتجوا عليه . نظراً لأن المسيح أشار الى أنهم في حاجة الى الحرية فقد قالوا إننا ذرية ابراهيم ولقد كان ابراهيم رئيساً وعظيماً . جرت العادة ان تفتخر الأسر العاطلة الحاملة الذكر باجداد أسلافها ، وأن تستمد مجدداً من اسمهم الذي يجلب عليها العار ، كما فعل اليهود . إنها غلطة شائعة وحماقة ممن لهم آباء أتقياء وثقافة دينية ان يعتمدوا على امتيازاتهم ، ويفتخروا بها . كأنها تكفر عن عدم توفر القداسة الحقيقية لهم . لقد كانوا ذرية

ابراهيم . ولكن ماذا أفادهم ؟ هذا إن كنا قد وجدنا أحدهم في الجحيم يدعوا ابراهيم أباً ،
(لو ١٦ : ٢٤) ؟

إن النعمة المُخلصة لا تنتقل إلينا بالميراث . إننا لم نستعبد لأحد قط كيف كان هذا
الادعاء كاذباً كذب مفضوح . ألم تستعبد ذرية ابراهيم للمصريين ؟ ألم يستعبدوا مراراً للأسم
المجاورة أيام القضاة ؟ ألم يسوس سبعين سنة في بابل ؟ بل ألم يكونوا في ذلك الوقت خاضعين
لنير الرومانيين . توضيح المسيح لتعليمه هذا إزاء هذه الاعتراضات أو تفسيره له حيث قدم
أربعة أمور .

١ — لقد بين أنهم رغم حرياتهم المدنية أو عضويتهم المنظورة في الكنيسة ، يمكن أن يكونوا
في حالة عبودية . كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية حتى وإن كان من ذرية
ابراهيم ، ولم يستعبد لأحد قط . « لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحاً ولا
يخطيء » (جا ٧ : ٢٠) . ومع ذلك فليس كل من يخطيء عبد للخطية ، وإلا
كان الجميع عبيداً للخطية ، ولم يوجد بعد عبيد لله . لكن الكتاب يقول كل من
يعمل الخطية ، كل من يختار الخطية كل من يفضل طريق الشر عن طريق القداسة
(إر ٤٤ : ١٦ — ١٧) . من يقطع عهداً مع الخطية من يدخل محالفاً معها ،
ويقترن بها ، ويصنع تدبيراً لها ، ويصنع للجسد ، يخترع الشر ، ويتخذ الخطية
عادة .

٢ — وبين لهم أن وجود مكان لهم في بيت الله وهم في حالة العبودية لا يملكهم حق
ميراث البنين طالما كانوا في حالة العبودية لأن العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد . فهو
مجرد عبد ، حتى وإن بقى في البيت وقتاً ما : ليس العبد وارثاً لأنه إنما يؤدي خدمة
وقتية لا دائمة ، أما ابن العائلة فهو يبقى في البيت إلى الأبد . هذه تشير مبدياً إلى
رفض الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . كان إسرائيل ابناً لله ، ابنه البكر . لكنهم
إنحطوا إلى حالة العبودية ، ولهذا فرغم اطمئنانهم بعضوية كنستهم بفضل حقوق
ميلادهم ، أخبرهم المسيح . إنهم إذ جعلوا أنفسهم عبيداً فلن يبقوا في البيت إلى
الأبد .

٣ — وبين لهم طريقة التخلص من هذه العبودية إلى « حرية مجد أولاد الله » (رو ٨ :
٢١) . إن حالة الذين استعبدوا للخطية محزنة جداً . لكن شكراً لله لأنها ليست
ميتة ؟ كما أن امتياز كل البنين في البيت ، ومحوهم عن الخدم ، هو أنهم يبقون في
البيت إلى الأبد ، هكذا الابن البكر بين إخوة كثيرين ، الوارث لكل شيء له سلطان
تحرير العبيد ، وسلطان الدعوة إلى التبنّي . « ان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً »
(يو ٨ : ٣٦) . والذين يحررهم المسيح فبالحقيقة يكونون أحراراً .

٤ - وطبق المسيح هذا على هؤلاء اليهود غير المؤمنين ، المتأحكين ، رداً على افتخارهم بعلاقتهم بابراهيم أنا عالم علم اليقين انكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون ان تقتلوني . ولهذا فقد خسرت شرف علاقتكم بابراهيم لأن كلامي لا موضع له فيكم إن المرائين المتغطرسين ، الذين يفتخرون بأجداهم وثقاتهم يدينهم الله من افواهم . إن السعى في قتل أى انسان يرى جريمة شنيعة جداً ، أما السعى في قتل ملك الملوك فقد كان جريمة لا يمكن التعبير عن شاعتها .

هنالك أشخاص كثيرون يتظاهرون بالدين مع أن كلام المسيح لا موضع له فيهم . إنهم لا يسمحون له بمكان في قلوبهم لأنهم لا يحبونه . والشيطان يبدل كل جهده لكى ينزعه . نرى السيد المسيح له المجد واليهود على طرفي تقيض . هو يسعى لاقتناعهم وتجديد حياتهم ، أما هو فإنهم يسعون لمناقضته ومقاومته . إنه يوضح الفرق بين إحساساته وإحساساتهم ويتبع أصله . أنا أتكلم بما رأيته عند أبى . وأنتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم . نجده يتحدث عن أبوين . وهذان الأبوان هما : الله ، والشيطان . وبدون مناقضة كل منهما يختلف عن الآخر تمام الاختلاف . كان تعليم المسيح من السماء كان يتمشى مع المشورة الأزلية ومع الحكمة اللاهائية ، ومع مقاصد المحبة الأبدية . كانت أعمالهم من جهنم أنتم تعملون ما رأيتم عند ابيكم . عندما تعملون فواضح من هو الذى تشبهونه ، كما أن الطفل الذى ينشأ مع أبيه يتعلم كلام أبيه وطباعه ، وينشأ مثله بالتقليد كما بالمحاكاة الطبيعية هكذا كان أولئك اليهود . فإنهم بمقاومتهم الخبيثة للمسيح وللانجيل تشبهوا بإبليس كأنهم قد أقاموه أمامهم كمثال يحتذون به . وكشف عن افتخارهم الباطل بعلاقتهم بابراهيم وبالله كأبويهم ورد عليهم . وبين بطل وكذب ادعاءاتهم . إذ قال : إن أولاد ابراهيم يعملون أعمال ابراهيم ، لكنكم لا تعملون أعمال ابراهيم ، ولذلك فليستم أولاد ابراهيم . إن الذين يريدون أن يظهروا أنفسهم بأنهم ذرية ابراهيم يجب عليهم ليس فقط أن يكون لهم إيمان ابراهيم ، « بل ان يعملوا أعمال ابراهيم » (يع ١٢ : ٢١ ، ٢٢) .

يجب أن يلبوا دعوة الله كما فعل ابراهيم ،
يجب أن يضحوا بأعز ما لديهم من أجله .
يجب أن يكونوا غرباء وزلاء في هذا العالم ،
يجب أن يحتفظوا بعبادة الله في عائلاتهم ،
ويسبوا دائماً أمام الله في كلهم » (تك ١٧ : ١) لأن هذه كانت هى أعمال ابراهيم .
فيجب علينا أن نهرب من الافتخار بالحسب والنسب حتى نعيش متمتعين بسلام الله الكامل بنعمة ربنا . الذى له المجد الى الأبد . آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

نور العالم

« أنا هو نور العالم . من يتبعني فلا يمشى في الظلمة بل يكون له نور الحياة »
(يوحنا : ١٢ : ٨) .

إن حجر الزاوية في المسيحية هو لاهوت المسيح . ولو سأل سائل : أين البراهين على أن المسيح هو ابن الله ؟ لكان الجواب بلا جدال : قيامته من بين الأموات ، لأنه تعين ابن الله بقوة قيامته . ومع هذا فإنه توجد براهين أخرى لا تقل أهمية عن هذا البرهان تتطلب منا التأمل والروية ، ومنها البرهان الذي طالما أغفلنا أهميته ، ألا وهو كلام المسيح نفسه . كثيراً ما نجد أن السيد المسيح يستعمل أقوالاً عن نفسه لا يمكننا أن نفهم معانيها أو فرائدها إلا إذا سلمنا بلاهوته . أما إذا لم يكن لنا هذا اليقين فإنه لن نحكم بأمر من اثنين : إما أن يكون خادعاً أو مخدوعاً ، وحاشا أن يكون كذلك .

وفي هذه الآية المقتبسة نجد السيد المسيح يخاطب الجمع في الهيكل قائلاً : « أنا هو نور العالم » . فماذا يكون حكمك ؟ تقول أنه قول هراء وسخرية ما بعدها سخرية !! بل ضع هذه الكلمات على شفתי أعظم رجل شهدته الدنيا ، ثم لاحظ النتيجة المترتبة عليه . أقول تثير الضحك والاستخفاف ! بل تصور أن سقراط أحكم جيلته قال : « أنا هو نور العالم » . أو دع بولس الرسول ، أو أى عقلية جبارة من معاصري جيلنا المشهورين ، مهما كانت أعماله الهائلة أو اختراعاته النافعة ، يقول : « أنا هو نور العالم » . ثم لاحظ كيف تسقط مكانته أمامك بمجرد أن ينطق بهذه الكلمة . ومع هذا فإن نجاراً قروياً هو الذى فاه بها ، وهذا القول الخطير لم يقلل مقال ذرة من قوة كلامه أو مكانته .

وعلى هذا الاعتبار لا يمكننا أن نفعل أهمية كلامه لأنه المقياس المضبوط والمعيار الصحيح الذى تقاس عليه حياتنا وتصرفاتنا في هذه الحياة . بل هو الناموس الذى به نحاسب يوم الدين . هلموا إذن نشحذ أفكارنا لنفهم أسرار هذه الكلمة : أنا هو نور العالم . إننا نجد فيها ثلاث نقاط جديدة بالملاحظة :

تصریح خطير

« أنا هو نور العالم » . بأى الوسائل يمكن أن يقارن المسيح بالنور ؟ لتأمل فيما يلي :

أولاً — الإرسالية التى جاء لينجزها :

ما هو عمل النور ؟ إنه يعلن الأشياء على حقيقتها ، ويجعل فى مقدور الإنسان إنجاز واجبات الحياة ومطالبها . هكذا جاء المسيح ليثير العالم ، بل ليوضح للعالم أربعة أشياء :

١ — جاء ليعلن الله : إن الخطية حجبته الله عنا . وأصبح كل شيء ذا قيمة علمية نعرفه عن الله من قبيل الحدس والتخمين . بل إن معرفتنا عنه ، تعالى ، كانت جزئية سطحية . وهنا يتم قول السيد المسيح : « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خير » (يوا : ١٨) ، « الله الذى قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » (٢كو : ٤ : ٦) . إن الإنسان لفي احتياج إلى الله ، بل النفس البشرية لا تفتأ تصرخ طالبة الله . وهذا الاحتياج وتلك الصرخة لا تشبع إلا بالمسيح الذى هو النور ، الذى جاء ليعلن الله للإنسان .

٢ — جاء ليعلن الإنسان على حقيقته : قبل مجيء السيد المسيح كانت الظنون تهم على وجهها عن الإنسان فيما يختص بطبيعته وأحواله . ففى العصور المتعاقبة والأجيال المتسلسلة . قامت ظنون خاطئة عن الإنسان ، كانت بعيدة كل البعد عن الحق ، فسلط عليها السيد المسيح نوره الكشاف فظهر الإنسان كما هو : ضالاً ، هالِكاً ، خاطئاً ، لا حول له ولا قوة . تصور حجرة مكنوسة نظيفة ، ثم أغلقت أبوابها ونوافذها أسابيع أو شهوراً أو ستين ، ثم تصور النور ينساب عند فتح النوافذ إلى جميع أركانها . هكذا المسيح بناموس الحياة يفيض فى مكامن النفس وأفكار القلب بنوره القدسى ، وعندئذ يعلن للإنسان مقياس الحياة السامية ، فتضائل المقاييس البشرية لإزائه ، وتوضح للإنسان أيضاً حالته فى بعده وتبه عن الله . لما جاء السيد المسيح تكشفت أمام الإنسان لأول مرة كل أدناسه وأرجاسه ، كل أدراجه وأوزاره فى بشاعته ورهبتها ، وواجهته آثامه بصورتها الفظيعة .

٣ — جاء ليعلن السماء : قبل مجيئه كانت الآراء والظنون تحبط خطئاً عشوائياً حول حقيقة المستقبل وعلاقته بالحياة . ومثل هذه التخمينات وقع فى أشراكها من كانوا يتمسكون بالمعهد القديم . لقد انسدل على المستقبل ستار كثيف ، فكانت أمنية البشرية

الضاربة في بيداء الظنون والأوهام أن يأتي اليوم الذى فيه يوضع حداً للمساوىء والآلام ويسود العدل والسلام . واليهود والأُمم على السواء صعد صراخهم طالبين الخلاص وإكليل الحياة . لكن لم يتحقق هذا الرجاء إلا بمجيء السيد المسيح الذى أبطل الموت وأثار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل ، أورد الإنسان إلى جادة الصواب ، موضحاً له السبيل القويم إلى حياة سعيدة يتعلم منها كل أُم وعناء وتظللها السعادة والهناء . ولكن ليس هذا ما جاء المسيح لينجزه . لأنه لو وقف عند حد إعلان الله فى قداسه والإنسان فى نجاسته والنعم فى سعاده لبقى الإنسان فى شقاوته وتعاسته ، تحرك الآمال فيه كوامن الأُم ، لأنه حبيس الشك ، سجين اليأس . لذلك :

٤ — جاء السيد المسيح ليعلم لنا الطريق إلى الله والسماء : وبمجيشه قشع ظلام الخطية ومزق الستار الذى كان يحجب الله عنا ، مبيناً لنا الطريقة التى بها ينجو الخطاة من وزر آثامهم ، فاتحاً لهم الطريق المُبْد الذى يوصل إلى الحياة الأبدية . من هذا نرى أن هدف إرسالية السيد المسيح التى جاء لينجزها هنا إنما ليكون نور العالم . وهنا تعرض لنا الحقيقة الثانية فى هذا التصريح الخطير :

ثانياً — العمل الذى أتمه :

لقد رأينا فيما سلف ما جاء ليعمله . وهنا نتأمل فى حقيقة ما فعل . قد رأينا ماذا يعمل النور . إنه يعلن ويوضح . والآآن نبحث فيما هو النور فى ذاته :

١ — النور مجالى : إننا ندفع ثمناً لأغلب حاجيات الحياة وضروراتها ، حتى النور الصناعى ندفع له ثمناً . أجل ، إن نور الشمس هبة معاوية مجانية تغمر الكون بحرارتها ونورها وتوزع ضياءها على العالم أجمع — لا فرق بين غنى وفقير . هكذا نور الإنجيل المبارك جاءنا فضلاً لا يطلب منا ثمناً من إذلال النفس لكنه بلا فضة وبلا ثمن .

٢ — النور المحلّو : وفى هذا يقول الحكيم : « النور حلّو وخير للعينين أن تنظر الشمس » (جا ١١: ٧) . ما أعظم الفرق الذى يحدّثه نور الشمس واحتجابه ! بل ما أعظم الانشراح والسرور الذى تحس به فى يوم مُشرق الديباجة مفرغ الثغر ! بينما الانقباض يستولى علينا فى يوم عيوس مظلم ! وإذا ما احتجبت الشمس عنا فترة طويلة فما أعمق الفراغ الذى تحس به ، وما أجمل التقدير الذى يتولد فينا لدى عودتها إلينا ! وهذا هو الحال معنا بالتمام إزاء الشمس البرّ الذى يوزع أشعة الغفران والسلام والعزاء والرجاء ، فائضاً فينا بفرح لا ينطق به ومجيد .

٣ — النور عام وشامل : من مشارق الأرض إلى مغاربها ، شمالاً وجنوباً ، هناك النور . وليس مكان على سطح الأرض إلا وينعم بنور الشمس ، مالم يعيقه الإنسان . هكذا المسيح نور العالم . كان هو النور الحقيقي الذى يُنير كل إنسان آتياً إلى العالم . هو للجميع بدون إستثناء ، وليس هناك من يستطيع أن يتحمل عذراً لعدم إمكانه التمتع بنوره .

٤ — النور ضرورى : إن العالم لا يمكن أن يحيا بدونهُ فهو عماد الحياة البشرية والحيوانية والنباتية . كما أن الأزهار والأشجار والأعشاب لا تنمو إلا به . انظر إلى حديقة ليلاً في أيام الصيف ، ثم ألق عليها نظرة أخرى في الصباح تتأكد أنه لولا النور ما كان الجمال والبهاء والصفاء . وبدون النور لا يمكن أن يسافر الإنسان ، لأن من يسلك في الظلام يجر عليه أوحش العواقب . وهذا ينطبق على الأمور الروحية ، إذ أن حياتنا الروحية ، ونموها ، وجمال الخصال ، وحسن السجايا ، لا نكتسبه إلا من المسيح نور العالم .

وعد جليل

« من يتبعنى لا يمضى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » . الظلمة ، ماهى ؟

١ — ظلمة الخطية : هذا ما كان يعنيه إشعياء بالظلام الذى يغطى وجه الأرض والظلام الدامس الذى يغشى قلوب الناس وما كان يعنيه متى بالجالسين فى الظلمة . وكل هذا رمز للخطية التى تشوه معالم الحياة فتطمس الفكر والبصيرة والذهن والقلب .

٢ — ظلمة الأحزان : الأحزان ، أيا كان نوعها : أحزان المرض ، والفقر ، والموت .. كلها نشأت عن الخطية .

٣ — ظلمة الشك : إن المتاعب والشك تخلق فوق الكثير من الناس ، ولا يستطيعون لها حلاً أو يخرجون جواباً . يتساءلون لماذا كل هذه ، وكأنه يقتحمون طريقاً من الأشواك . فإلى الذين عذبهم هذه الثلاثة — الخطية والحزن والشك — نقدم الوعد المتضمن فى هذه الآية الجليلية : « نور الحياة » . نعم ، فمهما كانت ظلمة الخطية حالكة فإن السيد المسيح يستطيع أن يقشعها . ومهما كانت الأحزان فإن السيد المسيح يستطيع أن يمزق أستارها ومهما كانت غيوم الشك فإنه يستطيع أن يطاردها فيبددها ويهب نور الحياة لتابعيه وذويه .

أ — هذا النور في متاولنا دائماً : مع أن الشمس لا تضيء علينا دائماً بسبب ظلمة الليل ، إلا أن السيد المسيح ، شمس البر ، دائم الإشراق . وهو يريد أن يسكب علينا فيض هذا النور دائماً ، اللهم إلا إذا رفضناه .

ب — إنه كافٍ : في كل خطوة من خطوات الحياة تعترضنا الصعاب وتقف في وجوهنا المتاعب ، لكن في المسيح كفايتنا لأن قوته في الضعف تكمل .

ج — إنه لا ينطفئ : كل الأنوار الأخرى تنتهي . حتى الشمس نفسها يوماً ما ستغيب ولا تطلع فيما بعد . لكن الله إلحنا من الأزل وإلى الأبد هو ، « وهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب ١٣ : ٨) . ذاك الذى أضاء حياة هابيل وأخنوخ وموسى وداود وبولس ويوحنا يضيء حياة أولاده الآن . ويحاول الناس في عصرنا هذا — كما حاول غيرهم قديماً — أن يطفئوا هذا النور ، مثلهم في ذلك مثل من يحاول أن يجفف مياه المحيط .

شرط بسيط

« من يتبعنى » . مع أن المسيح هو نور العالم إلا أنه ليس كل واحد يتمتع بهذا النور ، إلا من يتبعه . وهنا تتساءل : ما معنى اتباع المسيح ، حتى لا نُحرم من هذه البركة ؟

١ — يجب أن نؤمن بالنور ما دام لنا النور (يوح ١ : ٩) : وكما يجب علينا أن نوفي هذا الشرط للتمتع بالنور الطبيعي ، هكذا الحال مع السيد المسيح ، لكى نتمتع بنوره يجب أن نوجه قلوبنا نحوه . وعلينا أن نسلم ذواتنا له بالتوبة ، ونفتح له أبواب قلوبنا ليدخل بنوره ، فيبدد كل ظلمة ، فنكون أبناء النور .

٢ — يجب أن نسلوك في النور : هل نحن متممون للشرط باتباعنا المسيح ؟ لاحظ قول السيد « من يتبعنى » . إن الأمر شخصى بين الفرد والمسيح . ليس من يتبع فلاناً أو علاناً بل المسيح . وهذه هى الدينونة ، إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوح ٣ : ١٩) . وهذا هو الخير الذى سمعناه منه ونغيركم به : إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولستنا نعمل الحق » (يوح ١ : ٦ ، ٥) . لا يوجد سبيل بين وبين إما أن نكون في النور أو في الظلام . هل هناك خطية فينا تجعلنا نوصد الباب دون المسيح والنور ؟ نخاف إذا جاء لكى يطهرنا من خطية مدله عزيزة علينا ، فنوصد كل النوافذ مثل ما يفعل النائم حتى لا يعاكسه النور ؟

لنتنبه لأنفسنا حتى لا يحول أى شىء بيننا وبين النور . إن قذى صغير قد يعمى العين ، وخطيئة واحدة قد تحجب المسيح عنا . فيجب أن نسير فى النور كما هو فى النور ، ومهما يأتى علينا يكون خير . قد يهجم الظلام ، لكن نستطيع أن نقول : « إذا جلست فى الظلمة فالرب نور لى » (ميخا ٨:٧) . « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل » (أم ١٨:٤) . ومهما اعترض طريقنا من عقبات فإننا سنتخطاها وندخل المدينة المكتوب عنها : « والمدينة لا تحتاج إلى الشمس والقمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والحروف سراجها » (رؤ ٢١:٢٣) . « فهل نسلك فى نور الرب » (إش ٥:٢) .

وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الثالث من الخماسين المقدسة

ماء الحياة

من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد (يو ٤ : ١٤) .

مع قوة القيامة الجديدة ، التى ظفرت بالموت والهاوية وفتحت الفردوس المغلق وصرفت الحراس الملائكية ، وأعادت آدم وبنيه الى الأخدار السماوية ، ظل رب المجد مع كنيسه وشعبه مدة أربعين يوماً ، وذلك بجسده الطاهر الأقدس ودمه الزاكي الأنفس .

وفى الأسبوع الماضى قدمت الكنيسة جسد المسيح باعتباره خبز الحياة وهى تقدم لنا اليوم دم المسيح باعتباره ماء الحياة . وفى حديث رب المجد مع المرأة السامرية ، قد كشف لنا عن أسرار إلهية وحكمة سماوية ، ذلك لأن كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً والماء الذى يعطيه هو فمن يشرب منه لا يعطش الى الأبد ، ونجد أنفسنا أمام مقارنة بين ماء هذا العالم الذى يشرب منه يعطش وماء الحياة الذى يشرب منه لا يعطش .

أولاً — ماء هذا العالم يقع فى ثلاث صور :

١ — حبة المال :

ان حبة المال ماء ملح من يشرب منه يزداد عطشاً ، والمحب للماله (وقد استعبد له) لا تقف أطماعه عند حد وفى سبيله يرتكب شروراً كثيرة ، والذى يبتغيه يفضل عن الإيمان ، ويظعن نفسه بأوجاع كثيرة والذى يعيش لأجله فقط فهو البائس والفقير والأعمى والعميان دون أن يعلم أن باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريخ . وإن كان المال فى حسن استخدامه نعمة وطيدة ، ففى استعباده للانسان نعمة شديدة كالماء المالح من يشرب منه يعطش أيضاً .

٢ — حبة العالم :

هى أيضاً ماء ملح ان من يشرب منه يعطش . فأطماع هذا العالم وملذاته ومناهجه لا تصل الى حد ودائماً يطلب معها الانسان المزيد . وإن كانت حبة العالم عداوة لله ، فليس فى العالم إلا شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة والعالم يضيى وشهوته .

٣ — حبة الذات :

هى أيضاً ماء ملح لا تعطى شعباً لقلب ولا رها لنفس والمحب لذاته علو للانسانية ،

والمجتمع الذى يعيش فيه اذ تسوده الكبرياء والانانية وأطماع الذات ليس لها حدود قال فيها أحد الحكماء : لو أوتى الانسان جبلا من ذهب لطلب حصة للمزيد .

ثانياً — الماء الذى يعطيه السيد المسيح يقع فى ثلاث صور :

١ — الايمان :

قال رب المجد من آمن فى ... تجري من بطنه أنهار ماء حى تنبع حياة أبدية فالإيمان هو ماء الحياة الذى من يشرب منه لا يعطش والايمان هو عطية الله . بالنعمة أنتم مخلصون بالايمان . وهذا ليس منكم بل هو عطية الله وأنهار الإيمان يجريها الروح القدس فتشبع القلوب وتتغذى النفوس .

٢ — المحبة :

هى أيضاً ماء حى يروى النفس العطشى ، ويشبع القلب الجوعان لأن المحبة هى الله — والله محبة . ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله . وإن كانت النفوس المتعطشة الى ماء الحياة تنال ربا ، كذلك النفوس المتعطشة الى المحبة تشبع منها وترتوى فى جداول ماء ينبع حياة الأبد .

٣ — الرجاء :

وهو ثالث الفضائل السمائية ، التى هى الايمان والمحبة والرجاء وإن كان الرجاء سندا عظيماً مشبعاً للنفوس — فالرجاء أيضاً صخرة روحية تنحطم عليها كل شدايد الحياة وشورور هذا العالم ، وهذا هو رجائنا الذى يشبعنا فى هذا العالم . اننا نترجى قيامة الأموات والحياة فى الدهر الآتى .

ثالثاً — ان كان خبز الحياة هو جسد المسيح الأقدس ، فدم المسيح أيضاً هو ماء الحياة الأنفس :

ف عندما انفجر الجنب الطاهر المطعون ، من أثر الطعنة النجلاء — فاض بالماء والدم الذى صار لنا طهرا وخلصا ونعمة وحياة أبدية لمن يتناول منه . أولئك الذين اغتسلوا بدمه ، وتطهروا بمائه أخذوا عربون الحياة الأبدية والرجاء السعيد . ولكن كان خبز الحياة (جسد المسيح) وماء الحياة (دم المسيح) الذى أخذناه باستحقاق محبته ، وعمل نعمته هو تاج بركات القيامة المجد ، إلا أن هناك بركات أخرى نالها التلاميذ كنتيجة حتمية لهذه القيامة نذكر منها مايلى :

١ — أنه أعطاهم سلاماً :

يسكن معهم ويدوم فيهم سلامى أعطىكم سلامى أترك لكم . وكان سلاماً مثلث الصفات .

١ — فى السماء مع الله ب — فى القلب مع الضمير — جـ فى الناس مع العالم .

٢ — أعطاهم فرحاً برؤيته :

فرح التلاميذ إذ رأوا الرب . وهو فرح مجيد لا يستطيع أحد أن ينزعه منهم .

٣ — أعطاهم بركة :

إذ وضع يديه عليهم وباركهم — روحياً ، وجسدياً .

٤ — وأعطاهم سلطاناً :

لقد نفخ فى وجوههم قائلاً : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غفرت لهم ، ومن امسكتموها عليه أمسكت .

وبرز هذا السلطان فى نقطتين :

١ — غفران الخطايا وامسكها . ٢ — شفاء الأمراض واخراج الأرواح الشريرة .

٥ — أعطاهم إيماناً وتطوبوا لهم :

مشيراً لهم عند حديث الشكر الذى كان لتوما بقوله : لأنك رأيتنى يا توما آمنت — طوى للذين آمنوا ولم يروا . وكان يقصد تطويب إيمانهم .

٦ — أعطاهم كرامة :

كما أرسلنى الآب هكذا أرسلكم أنا . اكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدين .

٧ — وأعطاهم كرامة ومجداً :

من يكرمكم يكرمنى ومن يرذلكم يرذلنى ومن يرذلنى يرذل الذى أرسلنى . ومن سقاكم كأس ماء بارد لأنكم للمسيح ، الحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره .

رابعاً — ان هذا الماء حاضر معنا كل حين :

فاذ هو معنا كل الأيام حتى انقضاء هذا الدهر . فمعنى هذا أن خبز الحياة وماء الحياة حاضران معنا ، فمن يقبل البهما ، ويؤمن بهما ويأكل ويشرب منهما فيحيا الى الأبد . ولكن النبى يقول قديماً شعبى عمل شرين ... تركنى أنا الينبوع الحى وحفر لنفسه آباراً مشققة لا تضبط ماء .

ان خبز الحياة ، وماء الحياة حاضران معنا كل حين في كل كنيسة ، وفوق كل مذبح ، وليس عسيرا على أى مؤمن ان يحتويها كل حين ، اذا كان مستعدا ومهيئا لهما . فهللوا أيها الخياح والعطاش الى البر . الى خبز الحياة وماء الحياة فهو قائم أمامكم وحاضر بينكم اقبلوا تعالوا .. ومن يقبل اليه فلا يخرج منه خارجاً .

خامساً — ان في هذا الماء عربون القيامة من الأموات :

قال السيد المسيح له المجد : (من يأكلني يحيا بى) وأنا أقيمه في اليوم الأخير . إذن من خصائص القيامة في اليوم الأخير ، أن يكون الانسان متزوداً بهذا الزاد الروحي لأنه هو روح وحياة . قال السيد له المجد : الحق أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم وهو تحذير لمن لا يبالون به ويستنبون به ويباعدون أنفسهم عنه وذلك تطبيقاً لقوله أيضاً لأن من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فى وأنا أيضاً أثبت فيه . ان كان السيد المسيح الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان فمن يثبت في الكرمة يحيا الى الأبد . ولكن ان انفصل الغصن من الكرمة يجيبس ويجف ويكون مصيره الحريق فلنقبل اليه بشوق طالبين منه نعمة وغفراناً ونوالاً للحياة الأبدية . هذه بركات القيامة المجيدة التى تتمثل الآن في افراح وطيدة وأعياد جديدة . وله المجد من الآن وإلى الأبد . آمين .

عظة إنجيل قداس الجمعة الرابعة من الخمسين المقدسة

ابن الله

لأني قلت إني ابن الله (يو ١٠ : ٣٦) .

لا يوجد سؤال يشغل أفكار الملايين من البشر كهذه الآية ولماذا يتوهم البعض ان ميلاد الرب يسوع الثاني بالجسد من العذراء القديسة مريم ، يناقض أو يتعارض مع ميلاده الأول الأزل من الأب قبل كل الدهور ، فقد دعى ابن الله ، وذلك ليؤكد ويعزز ألوهيته ويؤكد أنه حقاً الله ظهر في الجسد . فلما أتى ملء الزمان نزل الكلمة القدوس من السماء ، فاتخذ لنفسه ناسوتاً من العذراء المطهرة بروح قدس الله ، وعاش مع الناس كفردي من الناس يجوع ويعطش ويتعب وينام . ويختل بنفسه ليصل ، فقد « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس ، واذ وجد في الهيئة كإنسان ، وضع نفسه وأطاع حتى الموت ، موت الصليب » (في ٢ : ٧ - ٨) .

لقد وضع نفسه موضع الانسانية ، إذ أحب أن يكون بديلها في دفع دينها للسماء كاملاً ، لذلك كان من الطبيعي أن يحمل كل آلامها ومتاعبها ، وتحمل نفسه لكل آمالها المضیعة وأمانتها ، ولذلك سمح بأن يكون إنساناً كاملاً في كل شيء ما عدا الخطية ، فكان الانسان المعصوم من الخطية ، بخلاف هذا الجنس البشري الذي غرق بأسره في حمأة الخطية . من آدم لم يخل إنسان واحد من الخطية ، حتى أصحاب المثل العليا وقادة الفكر . في كل مراحل الإنسانية بل حتى أنبيائها ودعاة الهدى فيها ، كانت تشوب حياتهم جميعاً شوائب الخطية . فمنهم من كذب ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سمح للشهوة الجارفة ان تذهب بلبه ، ومنهم من احتضن الغضب ، أو الشهوة الدنسة ، ان تذهب حتى أفرخت الشهوة الآتمة في قلبه ومنهم من عصي وصية خاصة بعثه الله بها ، وفي ذلك نسمع حديث رب السماء على لسان أشعياء النبي « أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا علي » (اش ٤٣ : ٢٧) .

أما يسوع ، فمع أنه بناسوته كان إنساناً ، فقد كان خالياً من كل إثم ، نقياً من كل شائبة ، طاهراً من كل دنس ، لقد كان الانسان البريء الذي أتى ليفتدي الانسانية المذنبية . ولقد سمعناه مرة يواجه البشرية المتمردة العاصية ، التي أحبها فأبغضته ، وأتى ليفتديها فعدته ، بكلمات لا يجزئ وليد التراب أن يتفوه بها « من منكم يكتسب على

خطية » (يو ٨ : ٤٦) . فتقف البشرية الجاحدة ، عاجزة عن أن تنسب إليه خطية ما . وشاهدنا أكثر من مرة كيف ان الروح النجس لم يكن ليحتمل دنو شخصه الطاهر القدوس . فسرعان ما كان يشعر بحلوله حتى تملكه الرجفة ، فيصيح طالباً الرحمة (لو ٤ : ٣٣ - ٣٥) .

هذا هو الشخص العجيب الذى جمع الى ناسوته الكامل لاهوته الكامل ، ولم يكن يعرف الناس عنه انه ابن العلى ، وأن فيه كانت الحياة ، وأنه النور الذى ينير كل إنسان ، لأن أسرار السماء العليا أبعد من أن تلم بها كفاية الانسان ، لذلك حين سأل تلاميذه عن نفسه وأنتم من تقولون إلى أنا ... وأجابه بطرس أنت هو المسيح ابن الله الحى كان رده على ذلك : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحمأ ودمأ لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (مت ١٦ : ١٥ - ١٧) .

وهذه معرفتنا عن الله ، المعرفة التى أنار ابن الله بها بصيرتنا وأعلنها لنا فى أحاديثه الفريدة وتعاليمه الكاملة . فلماذا يدعى يسوع ابن الله ؟ ومن أين جاءت هذه التسمية ؟ لم يدعى يسوع ابن الله لإبتداعا من المسيحيين ، ولا جهلاً بحقيقة وحدانية الله ، التى يفيض بها الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ولا شركاً لآلهة أخرى مع الله الذى يدينون بوجدانيته ، وإنما قد دعى به من الرب نفسه قبل تجسده :

+ فقد قال النبى داود فى المزمور الثانى بعد أن تحدث عن الرب وعن مسيحه الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) ، وأخبر ان الرب سيعطيه الأُم ميراثاً لك وإقاصى الأرض ملكاً لك (مز ٢ : ٨) ثم أمر بعبادته اعبدوا الرب بخوف . واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يفضب فتبيدوا من الطريق (مز ٢ : ١١ ، ١٢) . فمن هو الابن الذى سيرث الأُم ، ويمتلك أقاصى الأرض ، ويجب عبادته بخوف ، وإن من يرفض عبادته يباد من الطريق ؟ أنه ليس بشرا ، لأن الرب قد قال : « أنا الرب هذا اسمى وعبدى لا أعطيه لآخر » (اش ٤٢ : ٨) ، ولكنه ابن الله ، يسوع المسيح ، الإله المتجسد .

+ وهو ما تسأل عنه الحكيم فى الأمثال (أم ٣٠ : ٤) من ثبت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه ان عرفت ؟ والذى ثبت جميع اطراف الأرض هو الله ، وكان كهنة اليهود يقفون حيارى أمام السؤال الثانى عن ابنه ، لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون من هو ابنه وما اسمه ، ولكن فى ملء الزمان عرفنا أنه يسوع المسيح ان الله الذى أرسله مولوداً من امرأة .

+ وجبرائيل الملاك الذى بشر العذراء مرسلًا من الله قال لها « انه يدعى ابن الله »
(لو ١ : ٣٥) .

ولسنا نشك ان ما نطق به الملاك هو أمر الرب الذى حمّله إلى العذراء ، كما لا نتصور
ابداً جبرائيل يتحدث عن نفسه أو أضاف كلمة من عنده ، ولكن الذى لا شك فيه ان
يسوع المولود من العذراء بالجسد دعى من الله قبل تجسده ابن الله .

+ ونطقت اليصابات بالروح « فمن أين لى أن تأتى أم رضى الى » (لو ١ : ٤٣) . ولنا
ان نتساءل من أعلم اليصابات بهذا السر الخفى ؟ ومن الذى أعلن لها عندما وقفت العذراء
فى مواجهتها وهى حبل بالابن القدوس ، ولم تكن لتعلم بعد شيئاً عن هذا الحبل الإلهى ،
ان الذى فى أحشائها هو ربها ؟ ألم يكن هذا هو اعلان الله على لسان اليصابات أنه الإله
المتجسد ومعنى آخر ابن الله .

+ وأخيراً جاء يوحنا المعمدان شاهداً باعلان الله نفسه عن ابنه الحبيب مؤكداً هذه
التسمية عندما قال : « وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤) ،
لأنه رأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه . وضوت من التسميات قائلًا : « هذا هو
ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٦ ، ١٧) . وإذا كان المتكلم من السماء
هو الله ، فيكون الابن الحبيب الذى فى الإردن هو ابن الله .

فنحن لا نعدو الحقيقة ولا نخرج عن حدود الايمان بواحدانية الله عندما نقول ان يسوع
المسيح هو ابن الله الموعود به والمدعو به من الله والذى شهد له الروح القدس على فم
اليصابات وعلى لسان يوحنا المعمدان ، فهو الذى سبق فوعده بأنبيائه فى الكتب المقدسة
عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح
القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا (رو ١ : ٢ - ٤) .

ومعنى هذه البتوة ، يختلف عن معناها فى المفهوم البشرى فهى ليست كبتوة البشر
الجسدية التناسلية ، كما يحاول البعض أن يفسرها ، وإنما هى بتوة ذاتية ، بتفيد وحدة الطبيعة
والجوهر والصفات والإرادة ، كما قال السيد : « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ، وكما
قرر آباء مجمع نيقية (٣٦٨) سنة ٣٢٥ ، انه نور من نور ، اله حق من اله حق . مولود
غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر . وفى هذا . قال القديس يوحنا ذهبي الفم : « انه لم
يكن زمان كان ابن الله غير موجود فيه . بل انه ولد من الآب قبل الازل وهو أزلى : لأنه كما
أنه لا يظهر شعاع الشمس بدون نور هكذا لم يكن الآب بدون الابن بل هما معاً أى فى
الوقت نفسه كان الآب مع الابن كما أن النور هو من الشعاع . وكما اننا نفضل اذا قلنا اتنا

نعانين الشعاع أولاً وبعده النور هكذا فضل أيضاً اذا اعتقدنا أنه وجد الآب أولاً ثم بعده بزمان ولد الابن . كما أن دعوة الرب يسوع ابن الله تفيد التعادل والمساواة بين الله وبين يسوع أى أنهما واحد في الجوهر واللاهوت « ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد » (يو ١٧ : ٢٢) .

كما دعى يسوع ابن الله نظراً لولادته من العذراء بطريقة غير بشرية وليس من زرع بشرى ، بل بروح الله . الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) . وفى حدود عقولنا البشرية وباللغة التى تدركها مشاعرنا ، كلمنا الله وغير لنا عن ذاته لنحيط افهامنا معرفته ، لهذا نقرأ فى الكتب المقدسة ، ويكتب العلماء عن : وجه الله ، وعين الله ، ويد الله ، وفم الله ، وأصبع الله ، وما شاكل ذلك . ولم يفكر أحد مطلقاً فى أعضاء جسدية للذات الإلهية ، بل نفهم على أن وجهه يعنى رضاه ، وعينه تعنى عنايته ، ويده أى قدرته . وهكذا يجب أن نفهم ان ابن الله ليست أكثر صعوبة من هذه التعبيرات والتشبيهات ، فينصرف التفكير ونأخذها بمعناها الروحية « أن الآب فى وأنا فيه » (يو ١٠ : ٣٨) . وللبنوة أكثر من معنى ، فقد استعملت كلمة ابن فى عدة مواضع بمعان مختلفة نذكر بعضها منها على سبيل المثال :

١ - الخلق :

كما قيل آدم ابن الله (لو ٣ : ٣٨) ، أى أن الله خلقه ، كما دعى البشر أبناء الله لأنه خالقهم . أليس أب واحد لكلينا . أليس اله واحد . خلقنا (ملا ٢ : ١٠) .

٢ - الوطن :

كقول الكتاب بنو صهيون (مز ١٤٩ : ٢) ، وابنة اورشليم (صف ٣ : ١٤) وكما نقول نحن ابن مصر وأبناء النيل .

٣ - التلمذة :

كما قيل بنى الأنبياء (مل ٢ : ٩ : ١٠) أى تلاميذ الأنبياء .

٤ - التبني :

كما ذكر عن يسوع أنه ابن يوسف (لو ٣ : ٣٣) ، وان كان يوسف ليس أباً ليسوع ولكنه خطيب يوسف فقط حسب التاموس ، ولكن اعتبر مجازاً أباً وأعتبر يسوع ابناً بالتبني .

٥ - الايمان :

كما يقول الرسول « لأنكم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦)
فالمؤمنون نالوا البنوة بإيمانهم .

٦ - الصفة :

كما قيل أبناء النور (يو ١٢ : ٣٦) ، أبناء المعصية (كو ٣ : ٦) ، ابن السلام (لو ١٠ : ٦) .

وهذا يعنى ان هؤلاء قد اكتسبوا صفات النور أو المعصية أو السلام . فان كنا نقبل ونستعمل كلمة ابن بهذه المعانى وغيرها ، وهى لا تعنى أبداً ولادة جسدية بشرية ، فلماذا لا نقبلها متى قيلت عن يسوع انه ابن الله ؟ ولماذا لا نفهمها خارجا عن دائرة المعنى الحرفى الجسدى ؟ وعلى هذا يتبين لنا أن هناك :

+ بنوة حقيقية طبيعية هى بنوة يسوع لأنه من ذات الطبيعة الإلهية ومن ذات الجوهر الإلهى « وحل فيه كل ملء اللاهوت » (كو ٢ : ٩) وهو بهاء مجده ورسم جوهرة (عب ١ : ٣) .

+ وبنوة مجازية بالنعمة والعطية لكل المؤمنين .

+ ابوة عامة لكل المخلوقات لأن الله خالقها وعلة وجودها ، ولأن البشر أصبحوا أبناء الله بالإيمان .

+ وأبوة خاصة هى أبوة الله الآب لابن يسوع المسيح . فبنوة يسوع لله هى غير بنوة البشر .

فالأولى حقيقية طبيعية ذاتية « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) .

أما الثانية فهى معنوية لأن الله هو خالق البشر ومصدر وجودهم أليس هو أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشأك (تث ٣٢ : ٦) . وكقول الرسول : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (أع ١٧ : ٢٨) . فالبشر أبناء الله باعتباره خالقهم ومصدر وجودهم والمعنى بهم وفاديتهم ، بينما يسوع ابن الله قد اشترك فى الخلق (عب ١ : ٢) ، (أم ٨ : ٣٠) وهو الذى صنع لنا الفداء . لهذا دعى الابن الوحيد الحبيب (مر ١٢ : ٦) الذى لا يشاركه أحد فى هذه البنوة . « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . ولو تركنا جانبا المنطق

والتفسير الذى اثبتنا به بما لا يدع مجالاً للشك أن يسوع ابن الله هو الله ظهر فى الجسد .
الأقنوم الثانى ، الواحد مع ابيه فى الجوهر . لوجدنا بين ايدينا الدليل المحسوس والبرهان
العملى ان يسوع هو الإله المتجسد ، وذلك بدليل :

أولاً — سلطانه المطلق :

فقد دفع الآب كل شيء فى يده (يو ٣ : ٣٥) ، عناصر الطبيعة خضعت لكلمته
(مت ٨ : ٢٦ ، ٢٧) . الأرواح استغاثت واعترفت بسلطانه (لو ٤ : ٣٥ ، ٣٦ ،
٤١) . الأمراض ذهبت والعاهات زالت بقدرته (مت ٨ : ١٥) ، (لو ٤ : ٣٩) .

ثانياً — براءته من الخطية :

فقد شملت الخطية جميع الجنس البشرى (رو ٥ : ١٢) ، إلا المسيح فقد شهدت له
أنه قدوس الله (مر ١ : ٢٤) والأنبياء أخطأوا واستغفروا عن خطاياهم « أما يسوع فكان
البار القدوس » (أع ٣ : ١٤) المولود بروح الله ، الذى تنزه عن الشر والخطية ، وأحب
الخطاة ودعاهم الى القداسة ، وتحدى اليهود والعالم قائلاً : من منكم يكتنئ على خطية
(يو ٨ : ٤٦) ، لأنه بلا شر ولا دنس (عب ٧ : ٢٦) بل وله سلطان أن يغفر
الخطايا

ثالثاً — إقامة الموقى :

فهو رب الحياة ، الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . ولهذا نادى ابن
أرملة تايين فقام من نعشه ودفعه الى أمه (لو ٧ : ١٤ — ١٥) ودعا لعازر من القبر بعد
أربعة أيام فقام ، وقال لهم حلوه ودعوه يمضى (يو ١١ : ٤٣ ، ٤٤) . وسيقيم الأموات
فى اليوم الأخير « لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء »
(يو ٥ : ٢١) .

رابعاً — دينونة العالم :

فى ذلك اليوم عندما يقف أمامه الجميع فيعطى كل واحد حسب عمله ويميز بعضهم
من بعض هؤلاء الى الملكوت وأولئك الى العذاب الأبدي (مت ٢٥ : ٣١ — ٤٦) .
« لأنه العتيد ان يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ تي ٤ : ١) ، وذلك
لأنه الابن صانع الفداء والخلاص لكل العالم ، لهذا الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل
الدينونة للابن (يو ٥ : ٢٢) وعليه لابد اننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل
واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً (٢ كو ٥ : ١٠) .

خامساً — مجده الإلهي :

فقد أعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة (دا ٧ : ١٤) . ويقدم له السجود والأكرام لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (في ٢ : ١٠) ، وهذا ما رآه يوحنا أيضاً في السماء (رؤ ٥ : ٨ ، ٩) .

سادساً أكال الناموس :

لم يأت ابن الله لينقض الناموس ، كما فهم البعض ، وإنما ليكمل الناموس ، ويسمو به فوق اللفظ وينقل به من الحرف الى الروح ، وليعطى مفاهيم جديدة للشرعة التي عرفت على انها فروض وطقوس وغسلات وتطهيرات جسدية لا تفيد . فهو كصاحب الناموس صحح هذه الأوضاع ووضع مبادئ ملكوت السموات وشرعة الكمال ، عندما قيل : « سمعتم أنه قيل ... أما أنا فأقول » (مت ٥ : ٢١ — ٤٨) . وظهر هيكله من مقتضيه ومدنسيه (مت ٢١ : ١٣) .

فإن كان الله تعالى هو صاحب السلطان المطلق ، رب العالمين القدوس ، الذي يقيم ونحیی من الموت ، الديان الذي وحده له السجود والاکرام ، صاحب الناموس والشرعة ، رب الهيكل . ورأينا يسوع ابن الله له نفس السلطان والقدرة والقداسة والسجود والتقنين والتشريع . فهو إذاً رغم كل مكابرة الله ظهر في الجسد ولو أنه دعى ابن الله . وله المجد الدائم الى دهر الدهور آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الرابع من الخماسين المقدسة ابن الله

« أنت المسيح ابن الله الحي » (يوحنا : ٦ : ٦٩) .

ينبغي أولاً أن نبين أن كلمة « ابن » لا تعنى هنا البنية الجسدية ، فهذا مستحيل . ومن يتصور ذلك يضل ضلالاً مبنياً . فهي تطلق على معاني كثيرة غير المعنى الجسدى فنقول مثلاً « ابن العلم » و « ابن النيل » و « ابن مصر » و « ابن النعمة » وهكذا . إذن لفظ « ابن الله » لا تعنى أبداً المعنى الجسدى إنما تعنى « ذات الشيء » .

وهذا الاسم « ابن الله » هو أحد أسماء المسيح الكثيرة . فهو يدعى « ابن الله » و « ابن الإنسان » و « الله » و « الكلمة » و « عمانوئيل » . واسم « ابن الله » يُشير إلى لاهوته ، أو بمعنى آخر ، إلى طبيعته اللاهوتية . فإذا قد تجسّد وراه الناس بعيونهم كان لابد لهم أن يعرفوا أن ناسوته هو الظاهر لهم ، وأن لاهوته لا يُرى بالعين ، وإنما تشهد له أعماله وأقواله ومعجزاته وحياته . فهو يجمع في شخصه معنى اللقبين « ابن الله » و « ابن الإنسان » و « ابن الله » إشارة إلى لاهوته و « ابن الإنسان » إشارة إلى ناسوته . وكل ما يتعلق باللاهوت يُشير إليه لقب « ابن الله » وكل ما يتعلق بالناسوت يُشير إليه لقب « ابن الإنسان » . فعندما قابل الأعمى الذى فتح عينه وأراد أن يعلن له لاهوته قال له « أتؤمن بابن الله » ولم يقل له « أتؤمن بابن الإنسان » . لكن عندما حضر إليه يهوذا ليسلمه قال له « يا يهوذا أبقبله تسلم » « ابن الإنسان » ولم يقل له أبقبله تسلم « ابن الله » لأن المسيح بحسب لاهوته وسلطانه ما كان يسمح لإنسان أن يسلمه أو يعتدى عليه ، لكن تنازلاً منه سمح بذلك لكى يتمم مقاصد القداء . وكلمة « ابن » تعنى « المعادلة » و « المساواة » . فالكتاب المقدس يعلمنا أنه عندما شفى الرب يسوع المسيح الرجل المشلول منذ ٣٨ سنة ، أراد اليهود أن يقتلوه لأنه شفى فى سبت . فأجابهم يسوع قائلاً : « أئى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » . « أئى » و « أنا » . أى أنه ساوى نفسه بالآب . وقد فهم اليهود قصده جيداً ، كما يذكر ذلك الكتاب قائلاً : « فمن أجل ذلك كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه ، معادلاً نفسه بالله » (يوحنا : ١٠ : ١٨) . وقد صدق يسوع على فهمهم هذا فاستطرد يقول : « لأنه كما أن الآب يُقيم الأموات

ويحيى كذلك الابن أيضاً يُحيى من يشاء » (يوحنا ٢١:٥) . ونحن نعلم أن الذى له السلطان لكى يُحيى من يشاء هو الله وحده . فكما أن أقنوم الآب له هذا السلطان هكذا أقنوم الابن له نفس السلطان . إذن كلمة « ابن » تعنى المساواة والمعادلة .

كذلك كلمة « ابن » تعنى « ذات الشيء أو عين الشيء » كقول الكتاب : « ليس الله إنساناً فيكذب أو ابن إنسان فيندم » (عدد ٢٣: ١٩) . وواضح هنا أن « ابن إنسان » هو « إنسان » وهكذا « ابن الله » هو « الله » .

ولعلا يظن البعض أن لقب « ابن الله » أقل شأنًا من لقب « الله » حرص الوحي على أن يذكر في كثير من المواضع أن يسوع المسيح هو « الله » . ولنبين ذلك : « في البدء كان الكلمة . وكان الكلمة عند الله . وكان الكلمة الله » (يوحنا ١: ١) .

في « البدء كان الكلمة » ولنلاحظ أولاً أن « الكلمة » لقب آخر من ألقاب المسيح له دلالة رائعة فالكلمة هي وسيلة التفاهم بين الناس . ولما كان المسيح بتجسده وظهوره كأنسان واسطة التفاهم بين الله والناس ، فقد دعى « الكلمة » . وهذا ما أوضحه الرسول بقوله : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذى جعله وارثاً لكل شيء ، الذى به أيضاً عمل العالمين ، الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته . بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي » (عب ١: ٣-١) .

« كلمنا ... في ابنه » تفسر لنا لماذا دعى المسيح « الكلمة » . ومن المناسب أن نلاحظ في هذه الآيات الرائعة الإشارة إلى عظمة لاهوت « الابن » ، ومساواته لجوهر الآب (أى طبق الأصل) ، وقدرته اللانهائية التى لا يتصف بها إلا الله جلّت قدرته .

ثم نعود إلى ما قاله يوحنا في افتتاح إنجيله عن لاهوت السيد المسيح ، فنلاحظ أن « في البدء كان الكلمة » إشارة إلى أزليته . و« كان الكلمة عند الله » إشارة إلى أقنوميته . و« كان الكلمة » « الله » إشارة إلى لاهوته أو إلى أنه يدعى الله كما يدعى (ابن الله) .

ونقرأ أيضاً أن المسيح هو الله في موضع آخر . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » (تي ٣: ١٦) . وواضح أن الذى ظهر في الجسد هو الرب يسوع المسيح لما أتى من مجده وأخذ جسداً وحل بين الناس ورأوه بعيونهم ولبسوه بأيديهم وتحدث

معههم ومشى في شوارعهم وشفى مرضاهم وأقام موتاهم وصنع معجزاته أمامهم .

وفي سفر الأعمال نقرأ في الخطاب الموجه إلى أساقفة وقسوس كنيسة أفسس ما يأتي : « احترزوا إذ أن أنفوسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (أع ٢٠: ٢٨) . وواضح أيضاً أن الذي ائتمنى الكنيسة واشترها بدمه المسفوك على الصليب هو المسيح . وضمير « الهاء » في كلمة « بدمه » يعود على كلمة « الله » السابقة في نفس الجملة . وإذن فبدل أن يقول : « ارعوا كنيسة المسيح التي اقتناها بدمه » قال : « ارعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » ليسجل ويؤكد ويثبت أن المسيح هو الله .

ولم يرد ذلك في العهد الجديد فقط ، بل ورد أيضاً في العهد القديم . فاستمع : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب منلك . أحببت البر وأبغضت الإثم .. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك » (مز ٤٥: ٧) . ونلاحظ أن هذه نبوة عن ظهور المسيح في صورة إنسان ، وعن عماده من يوحنا ، وعن رئاسته الأبدية . وقد أكد الوحي في العهد الجديد أن هذه النبوة تشير إلى « ابن الله » بقوله : « أما عن الابن : كرسيك يا الله إلخ » (عب ١: ٨) .

ونلاحظ أن كلمة « الله » الأولى زردت بصيغة المخاطب هكذا : « يا الله » والقرينة تبين ذلك لأنه هو الذي مسح بدهن الإبتهاج (أى الروح القدس) في وقت العماد حينما حل الروح عليه . أما كلمة « الله » الثانية فوردت بصيغة أخرى . فهي تشير إلى « الآب » الذي أعلن سروره يوم عماد المسيح . وبعبارة أخرى نجد في هذا المزمور إشارة وبعبارة أخرى نجد في هذا المزمور إشارة إلى « الثالث الأقدس » بكل وضوح .

« يا الله » تشير إلى الابن .

« مسحك الله » تشير إلى الآب .

« بدهن الإبتهاج » تشير إلى الروح القدس .

وفي نبوات إشعياء يقول : « لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام » (إش ٩: ٦) . وآيات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها .

أرأيت إذن كيف أن الأمور التي تبدو غامضة أو صعبة يمكن فهمها بدرس الكتاب المقدس ؟ فهو كنز المعرفة والحكمة وحتى ما نراه صعباً نقبله بالإيمان ونصدقّه ، لأنه من مصدر الصدق ، ولأن عقولنا المحدودة لا تتسع لكل شيء ، كما سبق وأوضحناه .

والمهم ، أن لا نكتفى بمعرفة هذه الحقائق ، بل نسير بمقتضاها فنخضع لذلك الذى أحبنا واخذانا ، ونمجده فى حياتنا وتصرفاتنا بأعمالنا وأقوالنا ، ونتبعه كراعينا الصالح ، ونثبت فيه ضد كل الشرور والشهوات ، ونخير بفضلِهِ وقضائِهِ ، ونحيا حياة التوبة المستمرة وننتظر مجيئه الثانى المبارك القريب . آمين .

عظة النجيل قداس الأحد الرابع من الخماسين المقدسة

نور العالم

أنا قد جئت نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة (يو ١٢ : ٤٦) .

لم يفترق السيد المسيح عن كنيسته مطلقاً ، بعد أن ظل يظهر لتلاميذه بعد قيامته مدة أربعين يوماً ، وعند صعوده بالمجد قال لهم : ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر . لذلك تقدمه لنا الكنيسة في آحاد الخمسين المقدسة .

أولاً بمجسده المقدس خبز الحياة .

وثانياً بدمه الكريم ماء الحياة .

وثالثاً بفاعلية الجسد مع الدم نور العالم .

فمن يأكل من هذا الخبز (فلا يجوع ومن يشرب من هذا الماء فلا يعطش) وينبثق فيه نور الحياة وذلك لأن في المسيح كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه . ومن هنا جاءت حكمة الارتباط بين فصول الخمسين المقدسة الكتابية اذ يقول لنا اليوم

١ — أنا قد جئت نوراً للعالم :

معلوم ان الله نور ليس فيه ظلمة . انه ساكن في النور الذي لا يدنى منه ، وتسبحه ملائكة النور . والمسيح شمس البر نور من نور ، وهو النور الحقيقي الذي يضيء لكل انسلنا آت الى العالم .

وهو أشرق جسدياً بميلاده من العذراء . وأضاء على الجالسين في الظلمة ، وظلام الموت . وهو بقيامته أثار لنا طريق الحياة والخلود أشرق على ظلمة القبر فبدد عز الموت وظلام الخوف .

+ الله أثار في قلوبنا :

الله الذي قال إنه يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه المسيح .

كما قال الله قديماً في الخلق . ليكون نور فكان نور (تك ١ : ٣) هكذا أيضاً بقيامته

المقدسة أشرق في قلوبنا ، وأثار مثل خلقة جديدة في وسط الظلام لنرى مجد الله في وجه يسوع المسيح . المسيح هو النور الحقيقي . لا يكفي ان نسمع عنه ، بل هو يقدم لنا ذاته نوراً حقيقياً ، لنعرفه ونعيشه ونسلك فيه . فالمسيح بعد القيامة ، يعطينا نفسه لنحيا به ونلمسه هذه هي بركات القيامة . جسوتى .. هات إصبعك . وهذا ما عاشته الكنيسة في حكمة الرب يسوع في أناجيل الأحاد السابقة أنا هو خبز الحياة ، أنا هو الماء الحى .

+ ولكن كيف نتمتع بالنور الحقيقي ؟
سيروا في النور . آمنوا بالنور . لتصبروا أبناء النور ، هكذا قال الرب .

+ سيروا في النور ما دام لكم النور .
الذى يسير في النور لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم . فكم وكم الذى يسير خطواته في وجه الله ؟ قال داود المزمع الرب نورى وخلصى من أخاف . وقال أيضاً سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى . فكلمة الرب مضيئة تنير العينين ، وتجعل الهدف واضحاً وخطوات الانسان ثابتة . لذلك حينما نرى شعاع الكلمة يبرز في حياتنا . ونور الروح القدس التارى يضىء في نفوسنا كنجم المشرق يهذى سبيلنا ، فليس علينا إلا أن نسير فيه بلا إرتباك .

+ السير في النور معناه ملازمة الوصية المقدسة ، والتمتع بالانجيل كل يوم وكل ساعة وفى كل ظروف حياتنا . أما إذا اختفى النور من أماننا فلا بد أن نتغير ونسقط في حفرة وفخ إبليس .

السلوك في النور كما يعلمنا القديس يوحنا الحبيب « من قال أنه في النور وهو يبغض أخاه فهو الى الآن في الظلمة » (١ يو ٢ : ٩) من يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة . أما من يبغض أخاه فهو في الظلمة ، وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه » (١ يو ٢ : ١٠ ، ١١) .

٢ - آمنوا بالنور :

الايان بالنور معناه التصديق المطلق والثقة في مواعيد الله كثقة النور أمام الظلمة . وهكذا يترجم إيماننا بالنور في حياتنا العملية عندما نتمسك بأعمال النور ونبغض أعمال الظلمة .

+ الذى يحب الطهارة يبغض النجاسة . ويتضاعه يغلب الكبرياء . وبالقناعة يغلب الطمع ومحبة المال وبوداعته يغلب الغضب . وهكذا يظهر إيماننا بالنور بطريقة عملية ويكمل

فيه قول ربنا : وليضيء نوركم هذا قدام الناس فيروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أبائكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٦) .

إذن الايمان بالنور ليس كلاما ولكن حقيقة . هو رفض كل أعمال الظلمة كما هو مكتوب : لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى وبخوها . ومعلوم جيداً ما هى أعمال الظلمة التى يعملها روح الظلمة فى العالم .

٣ - لتصبروا أبناء النور :

المولود من الله يصير إبناً للنور وهذه هى النعمة التى أخذناها فى المعمودية . لأن المعمودية هى إستنارة . لذلك قيل جميعكم بنى النور ، وبنى النهار لسنا من ليل ولا من ظلمة . والقديس بولس يقول : لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء ، أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتبس ، تضيقون بينهم كأنوار فى العالم . فان كان هكذا أمر أولاد الله فى العالم . فما أخطر هذا المركز وما أخرج موقفنا اليوم ؟ والسؤال الذى يطرح نفسه الآن ، هل نحن فعلاً نور للعالم ؟ إن عدم تمتعنا بالمسيح الحى فىنا ، وعدم تمتعنا بنور الروح القدس الساكن فىنا ، وإهتمامنا وانشغالنا بالعالميات وانحرافنا وراء شهوات وخطايا كثيرة صرنا أبعد ما نكون عن النور الذى يضيء للآخرين . ولكن هل نعود نشعل نار الحب الإلهى فىنا ، ونندمج نار الروح القدس بالصلاة والتضرع ، ونرجع كل واحد عن طريق خطاياه ؟ لعل المسيح يتر دواخلنا ويتر بنا للآخرين .

+ أية شركة للنور مع الظلمة :

النور لا يختلط مع الظلمة . هذه حقيقة يعرفها كل واحد . لذلك كيف يكون فى حياتنا خلط مفزع بين نور الحياة مع الله ، وبين ظلمة الحياة فى العالم ؟ نرى هل يتفق روح المسيح وروح العالم ؟ إن بسبب هذا المزج صارت حياتنا ممزقة ، نريد أن نعيش فى النور وأن نتمسك بالظلام فى آن واحد . نريد أن نتمتع بالصلاة وأن نتلذذ بالمسررات العالمية أيضاً . فى أوقات فراغنا نقضى الصباح بعض الوقت فى القداس ثم بعد ذلك لا نفرقنا من أهل العالم فى كلامنا وقضاء وقت راحتنا .

+ لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين (٢ كو ٦ : ١٤)

لأنه أية شركة للظلمة مع النور لا ترتبط فى دخولك وخروجك ومعيشتك مع إنسان لا يؤمن بالنور . وليس له شركة مع الله لئلا تفسد حياتك « لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٢٣) . المعاشرات الرديئة تفسد العقل وتطمس المبادئ الشريفة وتهون على الانسان السلوك المستقيم . أذكر لوط وكيف سقط بعشرته كأهل سدوم

وعامورة وسليمان كيف انغمس في الشر بسبب سوء العشرة ، وداود كيف سقط سقوطاً مريعاً بنظرة قادته الى القتل والزنا . كثيراً ما يخيل للانسان أنه قوى بمبادئِهِ ، حصين بترتيته ، محوط بعزمه ، ممكن في دينه ويدعى وهو غير محصن بقوة المسيح انه قادر أن يقاوم تأثير العشرة الرديئة . إن انساناً كهذا غيى عديم الخبرة قليل المران . فمهما كانت قوته فهو ليس بأقوى من اسكندر المكدوني الذي قال : « غلبت العالم أجمع ولكنى غلبت من غشراء السوء » .

من يتخيل أنه قوى فهو بعد لم يختبر قوة التجربة ، ولا هو اختبر ضعف نفسه . فالتجربة أقوى مما يتصور وهو أضعف مما يظن ، وإذا أردت أيها العزيز أن تفهم هذه الحقيقة على وجهها الصحيح فتذكر أن برتقالة واحدة فاسدة تستطيع أن تفسد مائة برتقالة ، وأن مائة برتقالة صالحة لا تستطيع أبداً أن تصلح برتقالة واحدة فاسدة .

أيها المسيحي احذر وأنت تعاشر رفيقك فقد يكون جميلاً يفوق آلهة الجمال ولكنه خال من الفضيلة ، وقد يكون ظريفاً ولكنه خال من العفاف ، وقد يكون ذكياً جداً ولكنه ساقط دنس : فبعثرتك لأمثال هؤلاء تصبح خالياً من الفضيلة ، خالياً من العفاف ، خالياً من الرجولة ، خالياً من الأخلاق الفاضلة .. نصيحتي لك أيها المسيحي أن تحسن اختيار أصدقائك .. ولربنا المجد دائماً ..

عظة إنجيل قداس الجمعة الخامسة من الخماسين المقدسة

الحبة

ليكون فيهم الحب الذى احببته به (يو ١٧ : ٢٦) .

يعلمنا رب المجد أن الطريق الذى سلكه يجب أن نسلكه نحن أيضاً ، كما رسمه لنا ، لأنه سبق له المجد وسلكه كما قال : « ولكن ، ليفهم العالم ، أنى أحب الآب ، وكما أوصانى الآب ، هكذا أفعل » (يو ١٤ : ٢١) . وهكذا يجب علينا أن نحبه نحن أيضاً ونعمل بوصاياه حسب مشيئته الصالحة ، مهما كلفتنا هذه الحبة من اضطهادات وتجارب وآلام وجوع وعطش وعرى حتى الاستشهاد فى سبيلها ، أى سفك الدم كما عبر بذلك بولس الرسول قائلاً : « من سيفصلنا عن محبة المسيح ، أشدة أم ضيق ، أم اضطهاد . أم جوع . أم عرى . أم خطر . أم سيف » (رو ٨ : ٣٥) هذه هى الحبة التى يجب أن تفعل فى المؤمنين حتى يكونوا هكذا كما عبر الرسول لأنها طريق الكمال لمن يريد أن يكون كاملاً ، كما أوصانا بذلك هذا القديس نفسه قائلاً : « ألبسوا الحبة التى هى رباط الكمال » (كو ٣ : ١٤) . ولهذا الحبة شروط يجب أن نتبعها ، وأول هذه الشروط هى أن نحبه الله من كل قلوبنا كما قال : « أحب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك » (مر ١٢ : ٣٠) ونحب قريبنا كأنفسنا حسب الأمر الإلهى القائل : « أحب قريبك كنفسك ولا وصية أعظم من هاتين » (مر ١٢ : ٣١) .

إذن الحبة أساس الفضائل وينبوع الآداب . وبدونها لا نحوز فضيلة فلا عبادة ، ولا صلاح ، ولا تقوى ، ولا خشوع ولا صلاة ، ولا تواضع ، ولا صبر ، ولا احتمال ، ولا صدق ، ولا سلام ، ولا امتناع عن خصام ، إلا بالحببة وفى المحبة ولأجل المحبة . هى التى ملأت السماء بالبشرىين . إن للمحبة فروعاً كثيرة لا تعد ولا تستقصى . فالانحداد ، والمسامحة ، وروح الاحتمال ، والصدقة ، وعدم الشقاق ، وعدم الحسد ، وعدم الظن السئ . كلها من أولادها ، فهى تلد بنين وبنات مباركين فى قلب الانسان . المحبة أتمن كل شئ وأجمله . المحبة تحتمل المكارة بصبر وهى تجعل المرء خلو ، وتقود الانسان الى العلو ، وترغبه دائماً فى السلام . ذات حلم ومروءة فى كل شئ ، وصاحبها يستريح فى السلام والرحمة الكاملة . المحب لا يطلب ما لنفسه لأن محبة الذات تعدم أمام المحبة الطاهرة . المحب لا يريد خير لنفسه بل يطلب الخير لكل أحد . « فإن كان وعظ ما فى المسيح ، إن كانت تسلية ما للمحبة ان كانت شركة ما فى الروح إن كانت أحشاء ورأفة . فتمموا

فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم حبة واحدة . مفتكرين شيئاً واحداً لا شيئاً بتحزب
أو بعجب بل بتواضع حامسين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » (فى ٢ : ١ -
٣) .

الحب لا يتألم من قدح ، ويسر بمدح ، سواء عنده السراء والضراء . قلب المحب عرش
يسكنه الروح القدس ويحل فيه الثالوث الأقدس . فأمسك بالمحبة لأنها هى الله .. لأن الله
حبة ومن يشب فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » (ايو ٤ : ١٦) . وبنعمة الله وإرشاده
نتكلم عن نقطتين :

أولاً - تعليم الكتاب عن المحبة :

وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً
بعضكم بعضاً ، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو
١٣ : ٣٤ ، ٣٥) . ان كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة فقد
صرت نحاساً يطن أو صنجا يرن ، وان كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم ، وإن
كان لى الايمان حتى أنقل الجبال ولكن ليست لى محبة فلا انتفع شيئاً . وإن أطعمت كل
أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ، ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً (١ كو
١٣ : ١ - ٣) .

إن قال أحد إني أحب الله وأبغض أخاه ، فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى
أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره . ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله
يجب أخاه أيضاً » (ايو ٤ : ٢٠ - ٢١) أما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر
وضمير صالح وإيمان بلا رياء (١ تي ٥ : ٥) .

ثانياً - نصائح لحفظ المحبة :

احفظ المحبة فى قلبك للجميع ، أكره النفاق والغش والرياء فى كل أمورك ، لا تنم على
أحد قط ، ولا تتجسس على نقائص الآخرين . لا تدين أحداً بل بالحرى أنظر الى ذاتك .
لا تغترب أحداً ولا تقل فيه كلمة تخاف ان تقولها فى حضوره .

لا تنقل كلاماً سمعته إذا رأيت فيه هدماً لصيت قريبك . أباعد عن الفتن ، أهرب من
بذر الخصومات . لا تكن عنيداً أو مستبداً برأيتك ، بل استعن المشورة ، وأقبل كلام
الحكماء . عامل من هم أكبر منك بالاحترام ، والمساوين لك بالمحبة واللطف ، والذين هم
أصغر منك بالبشاشة والدعة ، لكى تستميل الجميع الى محبتك . لا تظهر كراهة لأحد ،

ولا تعرض عن سماع كلام أحد . أحسن ظنك في الجميع ، يحسنوا ظنهم فيك ، وتكون موضوع ثقتهم ومحبتهم . عامل الناس بما تريد أن يعاملوك به . » وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا » (لو ٦ : ٣١) . إنك إن حفظت ذلك كله تحب الجميع وتحبك الجميع .

قال القديس اوغسطينوس : حيث المحبة فهناك الله موجود فأمتلك المحبة يكن الله في قلبك جالسا على عرشه . قال ايونا القديس العظيم الانبا انطونيوس : أحب كل أحد ، وإذا لم تستطع فلا أقل من أن لا تبغض أحداً ، ولن يتيسر لك شيء من ذلك ما دمت تحب العالميات . ما أحسن المحبة المتبادلة بين الأخوة . وما أسعد العائلة بالاتفاق . فإن اجتماع أولاد وبنات أيوب معا من وقت لآخر كان دليلاً على محبتهم بعضهم لبعض واتفاقهم معا وقضاء أيامهم بالصفاء والسلام . يقول شاعر هندي (رايندرانات تاجور) . يارب علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي ، وعلمني أن أحاسب نفسي دون أن أدين الآخرين .

قالت ساعة لأختها : أنت من الذهب الخالص ، وأنا من المعدن الرخيص . ولكن مع ذلك نسير معاً ، وندق معاً : ونتساوى في بيان الأوقات . وكذلك نحن البشر : فينا الغنى ولد وفي فمه ملقعة من الذهب . وفينا الفقير الذي استقبل الحياة في كهف معتم ، وخرقة بالية ولقمة بغير ادام ولكن هذا الفقير يستطيع ان يقول لذلك الغنى ما قالته الساعة الرخيصة لأختها الثمينة : يجب أن نعيش معا ونعمل ، لأنني في فقري أخدم المجتمع مثلكما نخدم أنت في غناك .

أعجبتني قصة واقعية للأم الراهبة ماري عن القدوة المثالية في محيط المحبة المسيحية : التي من فرط حنانها ومحبتها المسيحية الكاملة ، تعنى باليهوديات البائسات وتصحبهن وهن في الطريق الى افران الغازات النازية للتصفية الجسدية . وقد حدث في إحدى المرات بينما كان فوج من أولئك البائسات في طريقهن الى مصيرهن الحزين المحتوم ، أن رفضت احداهن ان تفرق عن طفلها الرضيع . وكان الضابط المسفول لا يهيم إلا أن يقدم للموكلين بتنفيذ حكم الاعداد عدداً معيناً من النساء ، فلم يكن من الراهبة ماري إلا أن نحت الأم اليهودية ورضيعها ، وحلت مكانها في صف المحكوم عليهن بالموت ونفذ فيها الحكم فعلاً وقد أحاطت وجهها هالة من النور . وهكذا كانت الراهبة الأم ماري بهذا الصنيع ، قدوة رائعة مثالية في المحبة ، أبلغ في تأثيرها على النفوس من مئات العظاات وآلاف صفحات النصع والإرشاد .

إذا سادت المحبة مجتمعنا أصبحنا أخوة في المسيح يسوع ربنا . ومن صفات الأخوة الصادقة اللطف في الشعور والكلام والشفقة الصادرة عن عاطفة قلبية مباركة مقدسة والتسامح كما ساعنا الله أيضاً في المسيح يسوع ربنا . وننطوى التسامح على معنى التبادل فإن من يغفر اليوم قد يكون غداً مسيقاً فيحتاج الى من يصفح عنه كما صفع هو بالأمس .

وختام الأمر كله أن الأساس الذي يجب على المسيحي أن يبنى عليه حياته الخاصة هو المحبة التي تستمد كيانها من الله . فان أحببنا بعضنا بعضاً اختفت من حياتنا الخاصة جميع الرذائل بأنواعها وأشكالها وتحلت فينا أزهار المحبة الياقة وثمارها الناضجة ونصير بالحق أغصاناً مثمرة في كرمه الرب يسوع ونصير أيضاً رائحة الذكية . الذي له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد الخامس من الخمسين المقدسة الوصية الجديدة

« الذى عنده وصاى ويحفظها فهو الذى يحى » (يو ١٤: ٢١) .

من كانت فيه محبة الله — فإنه يبذل قسارى جهده لىتم كل وصاياه ، متحاشياً كل ما من شأنه أن يفضبه . بيد أنه يجب أن نحب الله ، لا لأنه غايتنا القصوى الأخيرة فحسب ، بل ولأنه مبدىء حياتنا أيضاً وأصلها ، الخالق العظيم الذى وهبنا الوجود والكيان ، ومنع الوجود والكيان مالا يُحصى من المواهب الطبيعية والفائقة الطبيعة .

فهذا العقل ، وهذه الإرادة الحرة ، كل قوى النفس والجسد ، الصحة والجمال ، وجميع ما نملك من خيرات مادية ومعنوية وروحية ، ثم مواهب النعمة والإيمان : كل هذه ، ولا شك ، هى أسباب وحواجز قوية تمنعنا جميعاً على محبته .

ومع ذلك فهى أسباب ثانوية ، لأن الله يجب أن نحيه ، لا من أجل عطاياه وخيراتاه فحسب ، بل ، وفوق كل اعتبار آخر ، من أجل ذاته . وإذن ، فإن السبب الأول الذى من أجله يجب أن نحب الله هو : لأنه هو هو الخير المطلق ، والصلاح بالذات ، الحاوى فى ذاته ، وفى أسمى درجة ، كل كمال ، دون ما حصر أو حد .

سبب مهم آخر يجذبنا إلى محبة الله هو أنه « قد أحبنا أولاً » (١ يو ٤: ١٩) حباً أبوياً سامياً .

وقد أحبنا بمثل هذا الحب الأبوى السامى لا فى لحظة معينة من الزمان ، بل منذ الأزل . أحبنا ، فاجذبنا من العدم برحمته . يقول : « إلى أحببتك حباً أبدياً ، فلذلك اجتذبتك برحمة » (إر ٣: ٣) .

ولما كان قد قرر منذ الأزل ، بدافع من حبه ، أن يخلقنا لىشركنا فى نعمة الوجود ، قرر أن يخلقنا على صورته ومثاله : « خلق الله الإنسان على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى » (تك ١: ٢٧) .

أكثر من ذلك ، لقد شاء أن يرفع حياتنا إلى مستوى حياته ، فممنحنا النعمة المبررة التى تجعلنا على نوع ما « شركاء فى الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١: ٤) .

أكثر من ذلك أيضاً ، حدد أن نكون مشاهين لابنه الوحيد — لا مشاهين
فحسب ، بل وشركاء لهذا الابن الحبيب يقول الرسول بولس « إن الذين سبق فعرفهم ،
سبق فبينهم أن يكونوا مشاهين لصورة ابنه ، حتى يكون هو بكاراً بين إخوة كثيرين »
(روم ٨: ٢٩) .

وعند هذا الحد يأخذ العجب من الرسول يوحنا الحبيب ، فهتف قائلاً : « انظروا
آية عجة منحنا الآب ، حتى ندعي ونكون أبناء الله » (١ يوح ٣: ١) .

وقد منحنا الله مع البنوة كل ما ترتب على ذلك من حقوق وامتيازات خاصة بالآب
والابن ، من امتلاك كامل لله وملكوته وسعاده وخلوده : « وحيث نحن أبناء ، فنحن
ورثة ، ورثة الله ، وارثون مع المسيح » (روم ٨: ١٧) .

وعندما سقطنا بغواية إبليس ، الحية القديمة في الخطيئة ، لم يتركنا الله إلى مصيرنا
المظلم ، ألا وهو الموت والردل الأبدى ، بل تداركنا برحمته ، ووعدنا بمخلص قدير
تقوم على يده المصالحة ، يرد الأمور إلى نصابها ، ويكون عهده أوفر رحمة ونعمة لبني
البشر .

ولما لم يكن في طاقة مخلوق البتة أن يقوم بمثل هذه المهمة السامية ، وأعنى بها مصالحة
البشرية مع خالقها — لأن الإهانة التي أهان بها البشر الله ذا الجلال غير المتناهي ،
هي غير متناهية ، وبالتالي لا يقوى على تمويضها إلا شخص كرامته غير متناهية —
فقد أرسل لنا الله ابنه ، مولوداً من امرأة : « فيه رضى أن يحل المرء كله ، وأن يصالح
به الجميع لنفسه ، مسالماً بدم صليبه ما على الأرض وما في السموات »
(كور ١٩: ٢٠) .

فهل بعد ذلك من دليل أعظم على سمو محبة الله لنا ؟! . ولذا يقول القديس يوحنا
الحبيب : « بهذا تبين محبة الله لنا : أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به »
(١ يوح ٤: ٩) .

وقد أبدى الله لنا مثل هذا الحب السامى ، لا ليبادلنا عن حب سابق من جهتنا ،
بل تفضلاً وكرماً « لأن الله محبة » (١ يوح ٤: ٨) . إلا أنها محبة فياضة وغير محدودة .
ومن ثم فهي تعمل المحال لتستطيع أن تشرك في خيراتها أكبر عدد ممكن من الخليفة
العاقلة . ولذا يقول رسول المحبة القديس يوحنا : « ولما المحبة في هذا : أننا لم نكن
نحن أحبينا الله ، بل هو أحبنا فأرسل ابنه كفارة عن خطايانا » (١ يوح ٤: ١٠) .

ومحبة الله السامية هذه هي التي تحملها على جعل مسرته في الإقامة بين البشر فيقول :
 « لذاني مع بني آدم » (أم ٨: ٣١) ، ولا سيما في الكنيسة التي وعدّها يسوع المسيح
 (ابن الله) قائلاً : « وها أنا معكم كل الأيام وإلى منتهى الدهور » (مت ٢٨: ٢٠) .
 ومحبة الله السامية هي التي تجعله يتعهدنا بالرحمة ويسهر علينا سهراً يفوق حنان
 الأمهات على ثمرة أحشائها . يقول : « أتُنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ،
 لكن ولو أن هؤلاء نسينَ ، لا أنساك أنا » (إش ٤٩: ١٥) . ومحبة السامية هي التي
 تجعله ، عن طريق يسوع المسيح ، يبيننا كل ذاته في القربان المقدس ، لنحيا بحياته ونثبت
 في محبته . فقد قال يسوع : « من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه .
 كما أرسلني الآب الحي ، وأنا حي بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بي »
 (يو ٦: ٥٦ ، ٥٧) .

ومحبة الله السامية هي التي تجعله يُظهر لنا ذاته بشتى مظاهر الرحمة والتدبير والعناية .
 يقول الرب يسوع : « والذي يحبني ، يحبه أبي ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي »
 (يو ١٤: ٢١) .

ولربنا وإلهنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد الخامس من الخماسين المقدسة

الطريق والحق والحياة

أنا هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤ : ٦) .

شعر الرب يسوع باحتياجنا العظيم الى معرفة أقوم السبل المؤدية الى السعادة الحيوية هكذا قال الرب : « قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم » (أر ٦ : ١٦) . ورأى كمحبه البشر ان نقصنا المتناهي يستلزم تداخل مراحمه للعمل معنا : « تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين وحمل خفيف » (مت ١١ : ٢٨ - ٣٠) . فأعلن عن ذاته الإلهية فقال : أنا هو الطريق والحق والحياة . هذا هو حديث الرب مع تلاميذه في الأحد السابق للصعود مباشرة — هكذا أدركت الكنيسة .

لقد أكمل الرب كل شيء على الصليب دفع الدين ودفن الموت بموته وأظهر القيامة بقيامته ، وقدم نفسه حياً قائماً من الأموات وأعطانا ذاته خبزاً حياً وماءاً حياً ونوراً للحياة الجديدة فيسوع المسيح فادينا هو :

١ - الطريق :

قال السيد له المجد عن نفسه أنا هو الطريق فلم يقل أنا طريق بلفظ التنكير بل خصص الطريق بالتعريف لكيلا يظن أن هناك طرقاً أخرى صالحة للسير فيها وهو من بين هذه الطرق . لهذا خص ذاته بأنه الطريق الوحيد التي ليس هناك سواها توصل الى الحياة الأبدية . وبهذا عرفنا مخلصنا أنه لم يقر طرقاً خلاصية مشروعة غير ذاته له المجد ، لأنه يريد توحيد القلوب لتكون خليقته الناطقة المخلوقة على شبه كصورتة ومثاله رعية واحدة لراع واحد (يو ١٠ : ١٦) .

فلاعتقد بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطيء يبدد شمل وحدة المؤمنين فضلاً عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدم الواقع بوجود طرق مشروعة متباينة مستقلة للوصول الى الحياة الأبدية اعتقاد خاطيء يبدد شمل وحدة المؤمنين فضلاً عن أنه ضد إرادة الله اعتقاد يهدم الواقع وينفيه العقل بالبرهان على ضوء كلمة الله ولا يقره العقل بتاتا . إن الله لما اختص الشعب الإسرائيلي قديماً وأعطاه الناموس والوصايا

الأدبية والنظم الطقسية ، لم يشأ له المجد في ذلك الحين أن يعمم تلك الشريعة الخاصة القومية بين مختلف الشعوب والأمم ، لأنها كانت وقتية في بعض نواحيها لأمر خاصة وأغراض معينة ، لسياسة شعب خاص مزعم أن يأتي منه المتقذ الإلهي المخلص فادى الجميع « لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجله حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) . « لأن الخلاص هو من اليهود » (يو ٤ : ٢٢) .

فلما أشرقت المسيحية أمر له المجد بأن تذاع في العالم أجمع « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) « لأن ملء الزمان كان قد كمل » (غل ٤ : ٤) وقت الاستعدادات للجيء . شريعة الكمال وتبشيراً العالم لقبولها الشريعة الكاملة السامية الحيوية الخلاصية . ومهمة المسيحية توحيد القلوب والمشاعر وإحالة المجتمعات على اختلاف مذاهبها ومشاربها وتباين أخلاقها ومبادئها وتناقض نظرياتها وتنافرها ، الى مجتمع واحد فتكون رعية واحدة لراع واحد . فالسبيل الذي يريده الله كطريق للخلاص لبلوغ حياة الخلود هو سبيل واحد وليس سواه وهو المسيح له المجد : « هوذا عبيد الذي أعضده مختار الذي سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيبح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قسبة مرضوضة لا يقصف وقتيلا خادمة لا يطفىء الى الأمان يخرج الحق . لا يكمل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » (اش ٤٢ : ١ — ٤) .

سار العالم قبل المسيح في طرق بشرية عديدة لبلوغ السعادة واشباع النفس بآمالها الحيوية . ولكن التاريخ مشحون بدلائل الخيبة وفشل جميع مساعي القائمين بذلك . لأن الشريعة الهادية ان لم تكن من السماء فعبثا يحصل السائرون فيها على السعادة والحياة . والعالم زاغ عن الحق وضل طريق الهدى وأعوزته هداية السماء (أر ٢ : ٣ ، رو ٣ : ٢٣) . « لأن الله الذى قال ان يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق في قلوبنا لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح » (٢ كو ٤ : ٦) .

فالمسيح هو الطريق الوحيد الموصل الى السماء . « هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البنائون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينجي ان نخلص » (أع ٤ : ١١ — ١٢) . « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) فبلونه لا نعرف الله حق المعرفة وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له . « كل

من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله . ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً » (٢ يو ٩) .

« الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خير » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خير » (يو ١ : ١٨) . « لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) . أما الذين قد خبروا الحياة الروحية فإنهم يشعرون بلذة السير فى هذه الطريق المأمونة ويتحققون ذلك أكثر كلما تعمقوا فى السير فيها . ولذا نسمعهم يؤكدون لنا سخافة عقول الداعين إلى السير فى غير هذه الطريق ، ويسخرون من القائلين بإمكان وجود الحياة عن طريق آخر غير طريق المسيح رئيس الحياة وطريقها . قال الرسول : « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس يدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً بالحجاب أى جسده » (عب ١٠ : ١٩ ، ٢٠) . هذه هى الطريق التى دشنها رب المجد بدمه الطاهر وطهرها من قطاع الطرق . فلا خوف فيها على المفدين من وحش يفاجيء ولا لص يهاجم ولا هلاك يداهم . هناك فى هذه الطريق يأخذ الله الآب بأيدى المؤمنين أخوة ابنه الأزلئ المتأسس فادى البشر ، ويرسل لهم روحه القدس ليرشدهم ويقوهم ويحفظهم بعطفه الأبوى وحنانه الإلهى ، ليوصلهم إلى ميناء السلام ليتعمموا بسعادة الخلود ، « حيث يمسح كل دموعهم من عيونهم » (رؤ ٢١ : ٤) . هذه هى الطريق التى سلكها جميع المخلصين بالنعمة رجال الله القديسين ، الذين نفعوا الانسانية بجميعهم الثمينة وثأروا الروحية الايمانية ، الذين عاشوا حياة وغوذجاً حيويًا ونورا للعالم على مثال سيدهم .

٢ — الحق :

الحق من الصفات التى تميل داخلتنا إلى قبولها وترتاح إليها ، لأن خلايا نفوسنا جبلت وهيئت لتحتوى عناصر الحق وتتألف فى ظل الاستقامة والعدل (جا ٧ : ٢٩) لأننا من الله والله ليس فيه ظلمة البتة .

نفوسنا لما بناها الخالق إنما شادها على أسس الحق ولهذا تميل دائماً إلى الحق . هذا فى حالة الصحة الروحية . أما إذا فسدت داخلية النفس وأظلمت بالشرور والآثام ، فإن هذا الميل إلى الحق يضعف بل وينعدم بناتاً ، حتى لقد قيل إن كلمة الحق مُرة ، ذلك لأن كلمة الحق تصدم أولئك الذين تكيفت أخلاقهم على نمط يتناقض مع مقتضيات طبيعة الروح الطاهرة . أه — إن الروح بطبيعتها ظاهرة نورانية نقية . لكن الشرور شوهتها وبلبلت ميسارها . قالت الروح « أنا سوداء وجميلة لا تعيرنى يا بنات أورشليم » (نش ١ : ٥)

فالروح جميلة فى طبيعتها التى جبلت عليها يزينها بهاء الحق الإلهى لامعة بضياؤه ولكنها قد تسود بالشرور والآثام . طبعها الجمال والبهاء أما السواد فعارض عليها .

قال أحد القديسين : ان الله أخفى عنا أرواحنا لئلا نرى اشراقها المبهج البهى حين برأيتها فيدخلنا الغرور وتعظم فنسقط ، ولئلا نرى ظلامها الدامس وقبحاتها وشناعتها حين سقوطها فيستولى علينا اليأس والقنوط . لما كنى المسيح ذاته بالحق إنما أراد أن يرينا كماله الإلهى المطلق . فلما عرفنا ذاته بأنه الطريق الوحيدة المؤدية الى الحياة الأبدية . عرفنا هنا أن تعامله حق ومبادئه التى تقودنا فى هذه الطريق هى مبادئ حقه كاملة ، وشرعيته نزيهة كاملة حققة ، والكمال شرط اساسى فى الشريعة للدلالة على صلاحيتها لقيادة المجتمع لإبلاغه المثل الأعلى . فإذا أردنا أن نكون فكرة عامة عن خلاصة معنى الحياة فى هذه الدنيا أمكننا أن نقول بانها ميدان النضال بين الحق والباطل بين الحق والكذب وبمقدار انتصار الحق على الكذب وتقهقر الانسان أمام الباطل فى هذه الحياة ، بمقدار ذلك تكون قيمة حياة المجاهد . لهذا لما أراد الرسول أن يصف حياة الرومان والأثم قبل المسيح ، ويعلن فساد أخلاقهم وأخطأطهم المتناهى قال : « لأن غضب الله ملعن من السماء على فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالآثم » (روم ١ : ١٨) .

وإذا كان الحق هو الكمال بعينه فان الكذب هو ذات النقص وهذا النقص ملازم لطبيعتنا البشرية منذ هيئت من علياء الكرامة وشاهدت النعمة الى حضيض المهانة والهوان ، وقد أشار التشبى الى هذه الحقيقة « أنا قلت فى حيرتى أن كل إنسان كاذب » (مز ١١٦ : ١١) . ولكن محبة الله سدت هذا النقص البشرى . فينا بأنعامها علينا بجميع وسائل الكمال المناسب للبشرية ، لكى ونحن شاعرون بقيمة هذا الكمال نسعى لتكون من أهل الحق الكامل « إنكم إن تبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم » (يوح ٨ : ٣١ ، ٣٢) . وكثيرون من الذين تلافوا نقصهم البشرى بحق الله وعالجوا ضعفهم بهذا الحق الإلهى الكامل أعلنوا لنا ذلك ، ومنهم بولس الرسول القائل : « من أجل هذا طلبت من الله مراراً كثيرة فقال لى تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢كو ١٢ : ٨ ، ٩)

شريعة المسيح ترمى الى غرض واحد هو إيصال البشرية الكاذبة الناقصة الى الحق المسيحى الكامل لتلاشى نقصها وترتدى ثوب الكمال « فكونوا أنتم كاملين كما أن أبأكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) . وهو له المجد لم يعلن لنا فقط الوسائل التى توصلنا الى الكمال ، ولم يكتف بحضنا نظرياً على إتباعه ، بل انه بذل ذاته لكى يهبنا

هذا الحق الإلهى مجانا . فليتمجد اسمه القدوس . انه صنع معنا أعظم من هذا ، إذ أعطانا ذاته قوتاً لحياتنا في سر الافخارستيا لكي نمتزج به روحاً وجسداً وتتحد عناصر الحياة الكاملة عناصر الحق الإلهى بأرواحنا وأجسادنا فتمدها بالحياة الفعالة : « لننمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) لهذا قال له المجد وأكد في القول والانتذار : « إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة فيكم إن جسدى مأكّل حق ودمى مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ ، ٥٥) .

٣ - الحياة :

إذا تنبه الانسان من غفلته وبحث عن الطريق وسعى في طلب الزاد الضرورى للقوت والتغذية فلأنه يبنى من وراء ذلك الحياة ، فالحياة هى الغرض النهائى والعامل الأساسى المحرك لمشاعرنا وحواسنا للبحث عن الطريق والغذاء . قال المخلص في صلاته التديينية ليلة آلامه الخلاصية : « هذه هى الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) .

فهو حياتنا الشاملة لجميع مقومات سعادتنا وهناعتنا . هذه الحياة ضرورية لنا في هذا المجتمع الانسانى لضمان استقامة معاملتنا وتصرفاتنا . وجميع نوااميس حياتنا الاجتماعية يجب أن تستمد مقوماتها من عناصر هذه الحياة المسيحية لتكون نوااميس صالحة لقيادة المجتمع البشرى وتوجيهه نحو المثل الأعلى . ومن هنا تتجلى لنا عظمة الحياة الأدبية وكيف أنها تفوق الحياة الجثمانية الفانية سمواً ومكانة بما لا يقاس ولا يدع مجالاً للمقارنة ، فالحياة الأدبية في الواقع هى المسيطرة على كل ما في هذا المعترك الحيوى العظيم . وتتجلى لنا هذه الحقيقة حين احتكاك الحياتان المادية والأدبية إحداهما بالآخرى واختلاف مصالحيهما فإن الحياة المادية إذ ذاك تضحي بكل رضى وسرور وزوا في الدفاع عن سلامة الحياة الأدبية « لذلك لا نفشل بل وإن كان انساننا الخارج يقنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٢كو ٤ : ١٦) . « لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

هذا هو الناموس الادبى الذى جعله الخالق كامناً في البشرية يعمل فيها لاعدادها للنهوض الأخلاقى والتدرج بها إلى أسمى المبادئ الانسانية ونفخ غبار الوحشية . وهذا هو سر تعليل وجود كثيرون أحياء جسدياً ولكنهم أموات أدبياً وآخرين غادروا العالم جسدياً ولا يزالون أحياء خالدين أدبياً (١ تي ٥ : ٦) ، (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) .

بعد ما تقدم يمكننا أن نفهم تماماً قول المخلص : « من آمن بي ولو مات فسيحيا ومن كان حيا وآمن بي فلن ينوق الموت الى الأبد » (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) وقول النبي « الصديق يكون للذكر أبدي » (مز ١١٢ : ٦) . المسيح ضروري لحياتنا الأدبية لنسمو بأخلاقنا نحو مثله الأعلى الكامل . والمؤمنون الأمناء في هذا العالم ومنكرو ذواتهم والغيورون على عمل الخير والنشطون للعمل لخير كنيستهم التي أرضعتهم لبان اللائوذكسية ، الصنمية الغنية بالعالم الصريحة والآداب المستقيمة ، وإنعاش الوسط الاجتماعي ، والذين مبدأهم التضحية والثبات والاحلاص ، كل هؤلاء إنما يمثلون في ذواتهم حياة المسيح . هم بالحقيقة « رائحة يسوع الذكية » (٢ كو ٢ : ١٥) . أما الأتانيون وعباد المادة مسلوبو العواطف الشريفة وناقصو الفهم رافضو الحكمة عدو الادراك الأدنى ضعاف الاخلاق ، كل هؤلاء وأمثالهم أحوج ما يكون الى الحياة الكاملة حياة المسيح الطاهرة لكي يتجددوا بها تجديدا يؤهلهم للاندماج في سلك الأعضاء العاملين المثمرين .

وبالاجمال إن المسيح في العالم بركة عظمية ، لأنه نور الآب وبهاء جوهره وعنصر الرحمة وروح الحياة . هو الطريق الحقيقي الموصل الى السماء ، بمد الانسانية بوسائل القوة ، قوة المبادئ والأخلاق السامية ، لابلغها أوج السعادة والسلام . هو الحياة العاملة في المؤمنين وسر انتصارهم على عقبات الحياة وعراقيلها وفوزهم في ميدان الجهاد . وهو مثلهم الأعلى وسر سعادتهم في الوجود ورائداهم الى حياة الأبد .

شكراً لإلهنا الصالح الذي قدم لنا ذاته في ابنه الحبيب طريقاً وحقاً وحياة . فصار لنا طريق الحياة الأبدية . فلنسر في هذه الطريق الخلاصية مهتدين بحقه الإلهي واضعين أمام أعيننا حياة الأبد الخالدة لتكون غايتنا الوحيدة . ورئيس الحياة نفسه يمنحك أيها الحبيب نعمة تقويك على اتباعه والعمل بوصاياه ويؤهلك لمواهبه الفائقة لتحظى برضائه على الدوام وتحيا في ظلال ستره لمجد اسمه القدوس آمين .

عظة إنجيل عشية خميس الصعود المجيد

الطريق الكامل

« فقال له يسوع ليس أحد يضع يده على الخراث وينظر إلى الوراء يصلح للمكوث الله ، (لوقا : ٩ : ٦٢) .

إن طريق الإصلاح طريق آلام ، وتضحية ، واضطهاد ، فكل مصلح يضع يده على خراث الإصلاح ثم ينظر ورائه إلى مال سيفقده ، أو وظيفة . سيحرم منها ، أو أصدقاء مستبذه ، أو شرف دينوى سيضيعه ، لا يصلح للحرب في ميدان الإصلاح . ولذلك كثيرون بدأوا ولم يستطيعوا أن يكملوا . فما أسباب ذلك ؟ وكيف نعالجه ؟

إن الرجل الذى حدثنا عنه الكتاب المقدس بدأ يبنى برجاً ولكنه لم يستطع أن يكمل لأنه لم يحسب حساب النفقة . وكثيرون ساروا في طريق الرب ومشوا مع السيد المسيح مرحلة من المراحل ووقفوا ولم يكملوا ، أو لأنهم شعروا بصعوبة الطريق فلم يكملوا ، أو لأسباب أخرى .

+ بولس الرسول يتكلم عن الغلاطيين الأغبياء فيقول : إنهم بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد . إنهم لم يستطيعوا أن يكملوا الطريق الروحى ورجعوا للجسد مرة أخرى . كثيرون من هذا النوع يبدأون الحياة الروحية ولا يكملوا ويرجعون إلى حياة الجسد مرة أخرى . وبولس الرسول أعطانا مثلاً آخر ، مثل ديماس الذى كان يقول عنه ديماس الحبيب . وهو واحد من أعمدة الكنيسة السبعة واشتغل معه بالكرازة . إن بولس الرسول يقول في رسالته إلى تيموثيوس . ديماس قد تركنى لأنه أحب العالم الحاضر . إن ديماس مشى مع الله ليس كمؤمن عادى بل ككازي ، ولكنه أحب العالم فلم يكمل الطريق مع المسيح .

+ ساعة الصليب ، كثيرون ساروا مع السيد المسيح ، ولكن ليس الكل . إن يوحنا ويعقوب ويطرس ذهبوا إلى بستان جثسيماني ولكنهم لم يكملوا . لقد ناموا في البستان ولم يستطيعوا أن يسهروا ساعة واحدة ، ولما قبض عليه تفرقوا . أين يعقوب ؟ إن بطرس سار معه جزءاً من الطريق وكان متحمساً جداً . إنه يقول : « لو أنكرك الجميع لا أنكرك ولو أدى الأمر أن أموت معك » (مت ٢٦ : ٣٥) . وسار معه إلى بيت

رئيس الكهنة وانتظر خارجاً ليرى ماذا يفعلون في السيد المسيح ، وبعد ذلك لم يكمل .
لقد بدأ يسب ويقول : « أنا لا أعرف ذلك الرجل » (مت ٢٤: ٧٤) . كثيرون مثل
بطرس وصلوا إلى مرحلة ولم يكملوا وقالوا إننا لا نعرف الرجل .

+ لقد أكمل يوحنا الطريق حتى الصليب ووقف تحته . أما يهوذا وهو واحد من
الاثنى عشر تلميذاً ، وكان عضواً بارزاً فيهم ، فمسكين لأنه لم يكمل الطريق . لقد
مشى بعض الوقت مع السيد المسيح ولم يعرف أن يكمل فهلك وضاع .

+ واحد من السبعة الشمامسة الذين بدأوا حياة ممتلئة بالروح اتجه إلى الهرطقة .
إنه من الرجال الذين قال عنهم الكتاب المقدس « اختاروا أيها الرجال سبعة رجال منكم
مملوئين من الروح القدس والحكمة فقيمهم » (أع ٣: ٦) . إنه نيقولاوس الذي بدأ
الطريق ولم يستطع أن يكمل .

ومن أمثلة الذين لم يكملوا الطريق شاول الملك . إن صموئيل النبي العظيم أخذ
قئنة الدهن وصب على رأس شاول فصار مسيح الرب . وحل روح الرب على شاول ،
ولكنه لم يكمل الطريق . ولم يستفد من المسحة المقدسة والنبوة وحلول روح الله
عليه وانتهى نهاية عجيبة . يقول الوحي الإلهي في صموئيل الأول : وفارق روح الرب
شاول وباغته روح رديء من قبل الرب . إنه بدأ الطريق ولكنه لم يكمله . وشعب
بنى إسرائيل بدأ الطريق مع الله ولم يستطع أن يكمل . إن هذا خرج من عبودية
فرعون وعبر البحر الأحمر وأكل المن والسلوى وتمتع بنعم لم يتمتع بها أحد . كانت
السحابة تظلل عليه في النهار ، وعمود النور يهديه بالليل ، وشق الله الصخرة فتفجرت
ماء ، وعاش في عناية عجيبة .. وبعد ذلك تدمر وهلك في البرية . إنه لم يهلك في
عبودية فرعون ولكنه هلك وهو في رعاية موسى . إنه لم يهلك وسط أمواج ولكنه
هلك في البرية المقدسة . لقد بدأ الطريق ولم يكمله . ولذلك يقول ربنا : اسمعي أيتها
السموات واقشعري أيتها الأرض . ريت بنين ، أما هم فعصوا عليّ . لقد بدأ شعب
إسرائيل الطريق ولم يكمله ، وحتى عندما جاء السيد المسيح لم يقبله .

+ إن الأغصان التي سرت فيها الحياة وأخضرت ، ولكنها لم تعط ثمرأ ولم تكمل
الطريق ، تقطع وتلقى في النار مثل شجرة التين . إنها نبتت وأخضرت ولعننا المسيح
لأنها لم تكمل الطريق ولم تعط ثمرأ .

كثيرون مثل هذه التينة يبدو على مظهرهم الاخضرار ولكنهم لم يكملوا . إنه من
المهم أن يبدأ الإنسان مع الله ويكمل الطريق . ويقول الله : « من يصير إلى المنتهى

فهذا يخلص » (مت ١٣: ٢٤) .

+ إن الشاب الغنى الذى ذهب إلى السيد المسيح بدأ بداية طيبة لقد ذهب إليه وسأل عن طريق الحياة الأبدية ، وقال إنه حفظ الوصايا منذ حداثة . كل هذا جميل ، والبداية طيبة ، ولكنه لم يكمل الطريق . لقد وصل إلى وصية معينة ولم يستطع أن يجتازها ، فكانت عقبة فى طريق خلاصه ، فمضى حزيناً .

+ ومنذ بدء الخليقة ، منذ آدم وحواء ، نفس القصة . إنسان يبدأ ولا يستطيع أن يكمل . لقد بدأ آدم وحواء أحسن بداية — إنهما على صورة الله ومثاله وفى منتهى النقاوة والبساطة لا يعرفان شراً على الإطلاق ، وعشرة طيبة مع الله ، ولكنهما لم يكملا الطريق نتيجة إغراء الحية وإغراء الكبرياء ، وطردها من الجنة . وهناك حالة أصعب من حالة آدم وحواء ، إنه شخص بدأ الطريق ولم يستطع أن يكمله ، لقد بدأ حياته كملاك ورئيس ملائكة ولم يكمل . ويتحدث الكتاب المقدس فى سفر إشعياء عن بهائه وعظمته وكيف كان واحداً من ذوى الستة أجنحة ، ولكنه لم يكمل وانحدر إلى الهاوية .

+ وشمشون الجبار الذى كان نذير الرب وأعطاه الموهبة الجبارة لم يكمل الطريق ، فقد أضاعته دليلة وقص شعره وفُتقت عيناه .

+ سليمان الحكيم الذى تراءى له الرب مرتين وكلمة فماً لأذن ، وصلى فإذا السحابة قد غطت الهيكل ومجد الرب أضاء .. سليمان صاحب الأمثال ونشيد الأنشاد والحكمة الجبارة ، والذى بنى الهيكل .. سليمان هذا يقول الكتاب عنه : « إنه أخيراً بخر للأصنام . إنه لم يكمل الطريق ، وما زال الناس يتساءلون حتى الآن : هل يخلص أم لم يخلص ؟ »

هل تظنون أن الهالكين بدأوا طريقهم بالهلاك ؟ إنهم بدأوا بالخير والبر وساروا مع الله مرحلة طويلة ، وبدأوا ولم يكملوا الطريق . ليس المهم فى نقطة البدء ، بل المهم فى نهاية المطاف . ولهذا يقول الكتاب : « انظروا إلى نهاية سيرتهم وتمثلوا بإيمانهم » (عب ١٣: ٧) .

وأنت لقد بدأت الطريق ، ولكن كيف ستكملة ؟ هذا هو المهم . هناك من يبدأون بداية طيبة ولا يكملون الطريق ، أو يقطعون مرحلة منه ولا يكملون بقية مراحلها ، مثل امرأة لوط .. إنها لم تهلك فى سادوم ، وأرسل الله لها ملاكاً أنقذها مع زوجها وبنتيها ولكنها بعد أن خرجت من المدينة المذنسة لم تكمل الطريق ونظرت إلى الوراء فتحوّلت إلى عمود ملح .

لا يكفى أيها الأخ المبارك أن تخرج من أرض سادوم ، إنما أن تكمل الطريق ولا تنظر إلى الوراء . لا يكفى أن تبدأ ، لابد أن تكمل . ومن أمثلة التاريخ أوريجينوس ، أكبر عالم ، وتلمذ عليه كثيرون من الأساقفة القديسين ، وتعذب من أجل المسيح . ماذا يقول أوريجينوس عن نفسه ؟ إنه يقول هذه المراثية المؤثرة : أيها البرج العالى ، كيف سقطت ؟ لقد بدأ بداية عجيبة ولم يكمل . وكذلك أريوس الذى أنكر لاهوت المسيح ، لقد بدأ قساً صالحاً وواعظاً مشهوراً بالإسكندرية ، وانتهى أمره بالحرقة . وكذلك نسطور وأوطاخى . إنه على الإنسان إذا بدأ أن يحرص كل الحرص على أن يكمل الطريق مع الله .

كثيرون بدأوا بتدريبات روحية قوية ، وفترت بعد ذلك وجفت . إنها بداية لم تتم وضاعت .. وبولس الرسول كان يخاف من ذلك ويضعه دوماً أما عينيه . بولس الرسول الذى صعد إلى السماء الثالثة يخشى أن يصير مرفوضاً . من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص لهذا ، كن أميناً حتى الموت ، ولا تكن مثل ذلك الرجل الذى بنى البرج ووقف الناس يهزأون به ، قائلين : إنه بدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل .
وله المجد إلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس خميس الصعود المجيد

عيد الصعود المجيد

وفيما هو يباركهم انفراد عنهم وأصعد الى السماء (لو ٢٤ : ٥١) .

لماذا صعد المسيح بعد أربعين يوماً ؟

لقد ظل المسيح في أرضنا بعد القيامة مدة أربعين يوماً لكي ما يؤكد للتلاميذ بأنه قد قام حقاً أو لكي ما يولد فيهم اليقين الكامل بحق قيامته . وخلال تلك المدة أظهر المسيح نفسه في أماكن مختلفة ، حتى تكون شهادة قيامته مؤكدة . فالسيد كان يظهر مرات لأناس على انفراد ، وأخرى للتلاميذ اثنين اثنين ، وثالثة يظهر لهم مجتمعين ليفحصوه وليتأكدوا من حقيقة شخصيته ، حتى يستطيع توما أن يضع أصبعه في آثار المسامير وأن يضع يده في مكان الحربة ، لكي ما يتأكد بنفسه أن الذي أمامه هو شخص المسيح بالذات . ثم تراءى السيد بعد ذلك لحوالي خمسمائة أخ دفعة واحدة ، حتى إذ تراه عيون الكثيرين ثبتت هذه الحقيقة ، ان الذي قام هو بعينه يسوع الذي صلب . إن ظهور المسيح لم يكن رؤيا رآها أحد تلاميذه وحده ، أو خيالا تراءى لاثنتين من المتعصبين بشخصه ، لكنه قد ظهر بوضوح أمام جماعات كثيرة ، معلناً لهم أنه هو الرب والسيد ، الذي كان قد صلب ومات ، ثم قام من بين الأموات .

فلم يذهب مخلصنا الى السماء إلا بعد أن ثبت حقيقة قيامته على أسس أكيدة لا يمكن أن تتزعزع ، فلا توجد حقيقة في التاريخ القديم أو الحديث أكثر ثباتاً من حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات . على أن السيد لم يظل أربعين يوماً لكي ما يثبت فقط حقيقة قيامته ، إنما أيضاً لتعزيز تلاميذه . فالمسيح قد مسح الدموع التي كان تلاميذه قد ذرفوها بسبب موته ، إذ أكد لهم بأن موته لم يكن كارثة عليهم لكنه كان تمييزاً للكعب ، أن المسيح كان يجب أن يموت لمغفرة الخطايا ، ثم إن السيد أراد أن يعدهم للحزن الآخر الذي كان ينتظرهم بسبب انطلاقه عنهم للسماء . لقد سما بعقولهم ، ورفع من أرواحهم ، حتى أننا لا نقرأ عن التلاميذ أنهم بعد صعود السيد حزنوا أو ذرفوا الدموع ، إذ كان من الخير لهم أن ينطلق لكي ما يرسل لهم المعزى بل ان السيد انتظر معهم وقتاً كافياً لكي يعطيهم التعليمات اللازمة ، ويوفرهم كيف يتصرفون .

فالأمر أن السيد ، في هذه الأربعين يوماً ، كان القائد المبارك ، الذي نظم قواته ،

ورسم لهم طريق المعركة ، وأعدهم للنصرة القادمة . لقد أمرهم جميعاً أن ينتظروا في أورشليم الى ان يلبسوا قوة من الأعالى . ولعل هذا الأمر هو بالنسبة لنا أمر التقدم لمعركة الخدمة ، فما لم نتزود بالقوة من الأعالى فلا حق لنا أن نتقدم في طريق الخدمة . ثم أن السيد كان يريد أن يقدم حديثاً شخصياً للبعض ، الذين كانت لهم حاجات خاصة . فكان عليه أن يشجع قلب المجدية لتنتصر على احزانها ، وكان عليه أن يظهر لتوما حتى ينتصر على شكوكه ، وكان عليه أن يخدر بطرس ثم يشجعه للخدمة ، وكان عليه أن يقوى التلاميذ ويعدهم للمعارك القادمة .

إن راعي الخراف العظيم لم يستطع أن يرجع الى راحته إلا بعد أن أعد أولئك — الذين أعطاهم الأب إياه — لمستقبلهم الأبدى . لقد مرت تلك الأربعين يوماً بسرعة ، وكانت أياماً فريدة اختلفت كل الاختلاف عن أيام حياته الأولى على الأرض ، ففيها لم يجسر أحد أن يضايقه ، فالكنيسة والفريسيون لم يقفوا ضده ، واليهود الأشرار لم يحملوا الحجارة محاولين رمحه ، لقد كانت أياماً هادئة فيها جلست الطيور في سلام بجوار المياه الهادئة . ولم تكن هناك أمواج تعكر صفو سلامها .

وقد كانت تلك الأيام إشارة للملكة العتيد الذى هو ملك السلام ، ذلك الوقت الذى فيه سيقف السيد مرة أخرى على هذه الأرض لينهى الحروب ، قبل أن ينهى مشهد هذا العالم . فلما انتهت تلك الأربعين يوماً استمر السيد في طريقه ، وصعد الى راحته . نعم أنه قد صعد الى السماء . بعد أربعين يوماً من قيامة السيد المسيح له المجد من بين الأموات بسلطان لاهوته صعد الى السماء على مرأى من جميع تلاميذه ورسله القديسين ومن بينهم العذراء القديسة مريم الملكة والوالدة وعلى مشهد من جميع المؤمنين الآخرين ومن اليهود وجميع المقيمين على سفح جبل الزيتون وفوق الجبل ومن تحت سفح الجبل ، وهو جبل يسكنه الناس ، ومن فوقه وعلى سفحه أقاموا مساكنهم وعليه قامت وتقوم مدن وقرى كثيرة ، من بينها بيت عنيا وبيت فاجى . ولا يزال قائما الموضع الذى من فوقه ارتفع السيد المسيح وصعد الى السماء وما زال أثراً باقياً معروفا ومشهورا الى اليوم يزوره ويعاينه كل من يذهب الى القدس ويصعد الى جبل الزيتون في أعلى قمة له .

وفي ذات المكان يقوم مذبح يصلون القديس الإلهى من عليه في عيد الصعود الإلهى . أحياء للذكرى هذه الواقعة التاريخية وهذا الحدث الجليل الأهمية ، وشكراً وتمجيد لله الذى ، صعد الى سماء السموات نحو المشرق (مز ٦٧ : ٣) . (ومن إحسانات الرب أنه قد أنعم على بزيارتي الى القدس للتبرك من هذه الأماكن المقدسة وللخدمة الروحية لتأدية

الشعائر الدينية حيث كنت من الذين قاموا بخدمة القديس الإلهي في عيد الصعود المجيد على هذا الجبل سنة ١٩٦٩ ميلادية . ويوقع عيد الصعود دائماً في يوم الخميس التالي مباشرة بعد الأحد الخامس من عيد القيامة المجيد ، أى في تمام الأربعين للقيامة الجديدة .

ولة : روى الانجيل خير صعود الرب يسوع الى السماء ، بكل وضوح . قال الانجيل للقديس لوقا : « ثم خرج بهم بتلاميذه الى بيت عنيا على جبل الزيتون ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد الى السماء قسجدوا له ، ورجعوا الى اورشليم بفرح عظيم » (لو ٢٤ : ٥٠ - ٥٢) . ويروى سفر أعمال الرسل : « وبعد أن قال هذا (وصاياه الأخيرة الى تلاميذه ارتفع الى العلاء وهم ينظرون اليه واخذته سحابة عن أعينهم وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق ، اذا برجلين (ملاكين في صورة رجلين) بملابسهم يبيضاء قد ظهرا لهم ، وقالا لهم : « أيها الرجال الجليليون ما بالكُم واقفين تتطعلون الى السماء سيجي ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق الى السماء ثم عادوا الى اورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون بالقرب من اورشليم على مسيرة سفر سبت » (أع ١ : ٩ - ١٢) .

ومن العجيب أن التلاميذ رجعوا الى اورشليم بفرح عظيم فلم يفرعوا لصعوده الى السماء . ولم يحزنوا لخسارة حضروه جسدياً بينهم . لأن الرب ترك لهم سلاماً كاملاً طرد كل اشباح الرهبة والاضطراب (يو ١٤ : ١٧) لم يفرعوا ولم يحزنوا لأنهم عرفوا إنه كان ينبغي أن يعود الى الآب كما قال : « خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب الى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) فهو من فوق (يو ٨ : ٢٣) بل هو فوق الجميع (يو ٣ : ٣١) لذلك ينبغي أن يصعد الى السماء ويمضي الى الآب » (يو ١٦ : ٥ - ١٦) .

والمسيح في صعوده الى السماء لم يكن في حاجة الى قطع المسافات . فهو في السماء وفي الأرض . بل في كل مكان . فقبل صعوده الى السماء كان في حضن الآب (يو ١ : ١٨) وفي السماء ذاتها (يو ٣ : ١٣) فهو نزل وصعد ولكنه يملأ الكل (أف ١ : ٢٣ ، ٤ : ٩ ، ١٠) وقد قال لتلاميذه القديسين : أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠) لأن السموات كرسية والأرض موطئ قدميه . فإلى هذا الايمان يرجع سر الفرح والسلام للذين فاضت بهما قلوب التلاميذ . وبهذا اليقين خرجوا ليكرزوا منادين باسم ولهم الحى أمام ملوك وولاة ورؤساء وبين وحوش مفترسة وقوات . لا تعرف الرحمة ، وستبقى كنيسة المسيح . أمام قوات الجحيم . ثابتة الجنان . رابطة الجأش . لأن يسوع

معها وإن كان الله معنا فمن علينا ؟

والكتاب المقدس يعلن أن السيد المسيح قد ارتفع الى السماء وجلس عن يمين العظمة في الأعالى وذلك لا يعنى أنه قد احتاج في جلوسه عن يمين الآب الى أفراغ مكان واشغال آخر . ولكن كلمة جلس عن يمين العظمة كلمة معنوية تدل على ما قد صار من كرامة وجلال ومجد . وقد وردت هذه الكلمة مراراً للإشارة الى العظمة والمجد الكامل وما يماثلها (مز ٨٩ : ١٣ ، ١١٨ : ١٦) وإذن فهذه الكلمة مجازية تشير الى المجد المزدوج الذى للفادى الحبيب في السماء . مجده كابين الله الوحيد ، ذلك المجد الذى كان له قبل كون العالم . ومجده كالحمل المذبح للتكفير عن خطايا البشر . وهذا ما قاله الرسول : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالى . صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث إسمائاً أفضل منهم » (عب ١ : ٣ ، ٤) .

رأى اشعيا النبي مجد المسيح الأزلى (اش ٦ : ١ - ٤) مع (يو ١٢ : ٤١) المجد الذى رآته الكنيسة أيضاً (يو ١ : ١٤) الآن وقد أكمل عملية الفداء لابد أن يعود الى مجده حاصل على مجد جديد . هو مجد الانتصار على الخطية . مجد الغلبة على قوات الهاوية وأبواب الجحيم . المجد الذى اجتاز اليه من طريق الألم والموت . لأن الروح سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأعجاد التى بعدها (١ بط ١ : ٦) . فقد كتب عنه : « أدخل نفسه أخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس وضع نفسه حتى الموت موت الصليب : « لذلك رفعه الله واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب المجد الله الآب » (في ٢ : ٧ - ١١) . فهو قد أخذ مجداً كفادى الكنيسة (رؤ ٥ : ١٢) وكرأس الكنيسة (أف ٥ : ٢٣ ، كو ١ : ١٨) وكالبكر من الأموات (رؤ ١ : ٥) وكالبكر بين أخوة كثيئين (رو ٨ : ٢٩ ، عب ١ : ٦) وكآدم الثانى ورئيس الايمان والخلاص ، رئيس الكهنة العظيم ، والأسد الغالب . فالحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية .

ولقد كان ايمان التلاميذ بهذا أيضاً من أكبر المشجعات لهم على احتلال أقسى الآلام واشد الاضطهادات . لقد شاركوا السيد في شرب كأسه والاصطباغ بصبغته لتكون لهم شركة مجده . لذلك رحبوا بالآلام . وفرحوا بالاضطهادات . ولقد انتصروا على كل ما اكتشفهم من ضيق اذ كانت الضيقات ولا تزال هى المؤهل للملكوت والمجد .

شكراً لله لأن التلاميذ لم يرجعوا مكثيين لأجل صعود سيدهم ، لأن فرح القيامة قد ملأ قلوبهم ، وبركة حضور المسيح معهم قد ملأت كيانه . يا له من فرح عظيم ، لا ينطق به ومجيد . لقد تأكدوا أن المسيح قام من الأموات ، وصعد الى السموات ، وجلس عن يمين العظمة فوق كل رئاسة وسلطان ، وسيأتي ثانية لكي يأخذهم إليه ، إلى الأبعاد السماوية والأفراح الأبدية . فهل يحزنون لهذا الأمر إن قوة قيامة المسيح ومجد صعوده غيّر كيان التلاميذ وفتح بصيرتهم للحقائق الأبدية والتعاليم السماوية . يقول معلمنا لوقا البشير أيضاً إن التلاميذ بعد رجوعهم من مشهد الصعود كانوا كل حين في الهيكل (لو ٢٤ : ٥٣) .

عند الصليب كانوا في خوف وتفرقوا كل واحد عن أخيه لكن بعد القيامة وصعود المسيح رجعوا ومكثوا كل حين في الهيكل في وحدة عجيبة وجرأة فريدة . إن قوة القيامة ومجد الصعود حوّلهم الى أبطال في الإيمان ، وعرفوا أن المسيح المقام هو رأس الكنيسة التي هي جسده المبارك : وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة (أف ١ : ٢٢) .

لقد امتلأت ألسنتهم بترنيمات الحمد والافتاف وهم يشهدون للجميع بقيامة المسيح وصعوده الى السموات . وليس ذلك فقط لكنهم كانوا مكثيين في أورشليم حسب قول الرب : ينتظروا موعد الآب (أع ١ : ٤) ، الذي تم في يوم الخميس ، شكراً لله لقد صعد الى السماء ليعد الطريق ، ويفتح باب السماء بدمه الكريم ، ويعد السماء كي تكون مسكناً للخطاة المشروشين بالدم حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا (عب ٦ : ٢٠) .

ليت أبعاد القيامة وبركات الصعود تغمر قلوبنا ، فنشهد له وننتظر مجيئه . ثم أخيراً على جبل الزيتون تجاه أورشليم صعد ربنا بعد ما أكمل خلاصنا الى الأبد وهناك سيكون منظر رجوعه المجيد فهل أنت مستعد أن ترحب به وتقبله فرحاً إذا ظهر الآن . إسأل نفسك ؟ وله المجد والسجود من الآن وإلى الأبد آمين .

السلام الحقيقى

قال الرب : سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا ، (يو ١٤ : ٢٧) .

ان السلام هو أصل جميع الخيرات ولذلك لا يقتصر الكهنة على منحه للمؤمنين مرة ومرتين وثلاثاً بل يكثر منه فانه عندما يدخل الى الكنيسة يقول السلام لجميعكم ولما يباركهم يقول السلام لجميعكم ، وكذلك فى أسرار البيعة ينادى بهذا السلام نفسه قائلاً السلام لجميعكم وذلك يشير الى النعمة التى استحقتها لنا ابن الله بموته عن جميع العالم لأنه لم يتجسد ولم يموت إلا ليجعل السلام والصلح بيننا وبين الله أبية .

السلام : ما أجمل هذه الكلمة . وليس أحب الى القلوب ولا أعذب لدى الأسماع من كلمة سلام . بغير سلام يكون عالمنا جحيماً وبغير سلام يضحي البيت عذاباً ، وبغير سلام يصير القلب أتوناً . السلام ... ما ألد العيش فى ظلاله . السلام ... ان السلام أحوج ما يصبو إليه قلب الانسان الذى لا تريحه خيرات الدنيا أو ملذاتها .

السلام فى أيامنا هذه مرغوب فيه أكثر من أى زمن كان ، لأن الاضطراب والقلق التى تساور عالمنا الحالى بمثابة أعداء للسلام ، الذى يرغبه عقلنا وإرادتنا وعواطفنا وكل قوانا .

السلام فى العائلة . هو راحة النفس وسعادة القلب بائتلاف النفوس والقلوب . راحة نفس وسعادة قلب صادرة عن حب عميق بين أفراد العائلة ناتجة عن إجماع الآراء والأفكار ووحدرة الغايات والأعمال . ومتى رفعت الأفراد والعائلات والشعوب قلوبها الى الله واتحدت به وسارت على نظام شرائعه ز ، حل فوقها السلام وتجنبت كل قلق واضطراب .. وساد النظام واستتببت الراحة داخلاً وخارجاً فى الأعمال الشخصية والمعاملات الاجتماعية .

السلام : يريد المخلص الفادى السلام وهو الذى قد سبق الأنبياء ولقبوه بأمر السلام ، وعند ميلاده نادى الملائكة فوق المغارة منشدين : .المجد لله فى الأعالي وعلى الأرض السلام . وفى عظنته على الجبل قال طوبى لفاعلى السلام . وقبل صعوده الى السماء وهب تلاميذه السلام وأوصاهم بأن ينشروه بين الناس ، قائلاً السلام استودعكم سلامى أعطيكم . لست كما يعطى العالم أعطيكم أنا (يو ١٤ : ٢٧) .

ما أحلى هذا القول ، ما أحسن السلام ، وما أسعد من يملكه ، كل منا في مسيس الحاجة الى سلام يصل الى قرارة نفسه فيلاشى كل العوامل المزعجة المقلقة ويتمتع بحياة الاستقرار والهدوء والطمأنينة . يقول الكتاب المقدس : لا سلام قال الهى للأشرار . كثيرون يبتغون السلام ، ويسعون للحصول عليه ، ولكن ما أقل الذين ينالونه ، كثيرون تعبوا وجدوا ولم يظفروا بشيء منه ، وما ذلك إلا لأنهم يطلبونه من غير طريقه ، ويأتونه من غير أبوابه ، ولا يزال العالم يخدع كثيرين موهماً بإياهم بأنه مصدر السلام والراحة . يقول للغنى : ما بالك تقف عند حذك ، سر في طريقك واملأ خزائنك واجمع الكثير من هذا الأصفر الزنان وضع قلبك عليه ، وأسجد له تحذ الراحة ، فيسمع هذا المسكين صوت الغرور ، ويفنى أيامه ، وحياته في جمع الأموال وهو في حرصه واهتمامه به يحرم نفسه من التمتع بما يجمع . ثم يخرج أخيراً من هذه الدنيا ويدخل حياة الأبدية عارياً من السلام . والعالم أيضاً لا يرحم يخدع الانسان يوسوس له قائلا : ما بالك حزينا كئيباً لا تتمتع باللذات وتشبع نفسك منها يتلج صدرك بشهيتها ، وهكذا يزين لكل واحد سعادة موهومة وسلاماً كاذباً ، وينصرف هم من خداع الى آخر ، ويحكم كيده لهم بمسرات باطلة يموه بها على العقول ، فيظنها الشرير في شره ، والبخيل في جمع ماله ، والجبار في قوته ، والشره في شراسته ، وصاحب الكرامة في مرتبته بيد أنه ليس واحد من كل هؤلاء ينال السلام الحقيقي ، لأن العالم لا يفضي على الناس بشيء سوى قلق وهم وغم وضجر وتيكيت للضمير ، مع أوجاع ونكبات لا حد لها . هذا هو سلام العالم كله لأن في طرقهم اغتصاب وسحق . وطريق السلام لم يعرفوه (رو ٣ : ١٦ - ١٧) .

وما العالم إلا كأنبياء اسرائيل الذين كانوا يتنبأون لأورشليم ويرون لها رؤى السلام ولا سلام (حز ١٣ : ١٦) . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ فاذا هو رازح ونفسه مشتتة . هذا يكون الذين يطلبون سلامهم من العالم ، الذى لا يستجيب لهم بشيء إلا الاتعاب . فهل بعد ذلك تطلب سلامك في القلق والانزعاج ، إن كل ما في العالم ، من غموم وهموم ، وأكدار وأحزان ، وأمراض ، وتجارب ، تنتاب الانسان في كل أدواره ، ينذر بأن لا سلام في العالم . وإن من يطلب السلام من هذا العالم لأشبه بطائر يرفرف فوق أمواج المياه إلى أن يعيه الطيران ويتعبه السير ، ولو اتيح لك أن تملك زمام العالم وتملك ناصيته لما نعمت بالراحة فيه لأن نفسك مخلوقة على صورة الله لا يوافقها شيء آخر ، لأن الله خلقها ليسكن ويحل فيها وحده ، فهو سلامها الحقيقي دون غيره . ايتها النفس لن تبرحى شقية ، ولن تزال في عناء ، في قلق واضطراب في برية هذه الحياة ، الى ان تستريحى في الله الذى

هو فوق كل ما فى الأرض وفوق كل ما فى السموات لأنك أنت يارب سلامى الحقيقى الذى يفوق كل عقل (فى ٤ : ٧) .

من طلب السلام والراحة من العالم ، لا ينال سوى القلق والاضطراب ، لأن من خواص العالم التقلب والتغير على الدوام أما السلام الحقيقى فيستمد من الله الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) . من التصق بالعالم ووضع سروره وثقته فيه فلن يحصل على سلام الى الأبد ، بل يظل قلقاً مدى حياته ، ولكن ان مكنت محبتك وسلامك فى الله فلا يستطيع شئ ان ينتزع منك سلامك أو يكدر صفو راحتك . فلا المشقات ولا الآلام ولا الأوجاع ولا المظالم ولا شئ قط . تنظم به حياتك ، أو ينغص عيشتك ، بل فى كل ذلك يلازمك السلام وتلدوم لك الراحة .

إذن لا يمكن ان نحمد سلامك فى الخيرات الأرضية ، ولا فى كثرة الأموال ، ولا فى القوة والصحة ، ولا فى الكرامة والجاه العالمى ، ولا فى شئ آخر من أمور هذا العالم ، ولكنك تجده فى الله وحده . ان طلبت الفرح والسلام والراحة من لذات العالم بكيت فى النهاية وحزنت ، وإن ظننت سرورك فى هذه اللذة أو تلك ، فلست إلا فى وهم وخداع ، وإن توهمت سعادتك فيما يتفق مع هواك ، فأعلم أنك قد حدثت عن الصواب ، لأن الذى تحبه وتسره به اليوم تكرهه غداً حتى تود ألا تراه . وما دام الانسان بعيداً عن الله فهو مضطرب النفس مليل الفكر ، ولن يحصل على السلام الحقيقى . وعنه يقول حزقيال : « الرعب آت فيطلبون السلام ولا يكون (حز ٧ : ٢٥) . ويحذر الرب أرميا من الأشرار : لا تدخل بيت النوح ولا تمضى للنذب ولا تعزم لأنى نزعته سلامى من هذا الشعب (أر ١٦ : ٥) . وعن معاملاتهم يقول : بفمه يكلم صاحبه بالسلام وفى قلبه يضع له كميناً (أر ٩ : ٨) . وينفس هذا المعنى يتحدث عنهم ميخا : « انهم ينهشون بأسنانهم وينادون بالسلام » (ميخا ٣ : ٥) . ووصفهم داود : مخاطبين أصحابهم بالسلام والشر فى قلوبهم (مز ٢٨ : ٣) وقياساً على هذا نسمع يهوذا الحائث يقول : للسيد له المجد السلام يا سيد . وقبله (مت ٢٦ : ٤٩) .

فاقترب أيها الانسان الى الله لتصل الى سلامك وسعادتك . إن السلام الحقيقى التام ليس إلا فى هدوء الضمير وطمأنينة القلب . « لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) . ولأن المؤمنين أبناء الله فمن صفات البتوة أن الأمين يعيش فى سلام فى كنف أبيه « الساكن فى ستر العلى فى ظل التقدير يبيت » (مز ٩١ : ١) .

فمن يحوز السلام فهو خير ممن يملك العالم بأسره ، وأفضل ممن حذق كل العلوم وبرع فيها .

ان الحياة المسيحية هى حياة سلام دائم وخاصة بعد أن أوجد السيد المسيح هذا السلام وصالح بين السمايين والأرضيين كما صالح النفس مع الجسد وعشنا فى حياة السلام الدائم . وبولس الرسول يتكلم عن ثمار الروح القدس من ثمار الروح القدس فرح ومحبة وسلام . ان الله يريدنا ان نعيش فى سلام ومحبة معه . لقد خلقنا على صورته ومثاله واحاطنا بكل حب . وأعلم أخيراً ان روح الله القدوس لا يسكن إلا القلب الوديع السليم الهادئ . لينحنا اله السلام ، السلام من كل وجه ، السلام مع الله السلام مع نفوسنا ، السلام مع الناس . ولترتفع قلوبنا ولتشخص عيوننا الى رئيس السلام فيتدفق منه نهر سلامنا الذى تجرى فيه كل مسراتنا وتعزياتنا ويفيض سلامنا وسرورنا . ولإننا المجد الدائم الى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السادس من الخماسين المقدسة

محبة الله في حياتك

« وتحب الرب إلهك من كل قلبك ... » (مر ١٢: ٣٠) .

إن كان الفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون قد جاءوا إلى السيد بنحث ليجربوه ، كى يصطادوه بكلمة كمثير فتنه ضد الحكم الرومانى ، أو كاسر للناموس الموسوى فإن محاوراتهم للسيد جذبت كثيرين للتمتع بمفاهيم جديدة — الأمر الذى أثار هذا الكاتب ليقدّم سؤالاً كثيراً ما تناقش فيه رجال الدين المتعلمون ، خاصة الكتبة . ولعله أيضاً فى عرضه للسؤال أراد أن يجرب السيد (مت ٢٢: ٣٤، ٣٥) ، (لو ١٠: ٢٥) ، إذ حسبه يميز بين وصايا الناموس وبعضها البعض ، أو يقدم وصية من عندياته كأنها أعظم مما ورد فى الناموس .

ولكن السيد لم يوبخ هذا الكاتب ، بل بالحرى أجابه بحكمة إلهية فائقة ، مقدماً أساساً روحياً لمفهوم الوصية .

يقول الكتاب : « تحب الرب إلهك من كل قلبك » . إذن القلب لا بد أن يكون كله لله ، كما قال الرب : « يا ابنى أعطنى قلبك » (أم ٢٣: ٢٦) . وإعطاء القلب لله ليس معناه إعطاء الله جزءاً من هذا القلب ، وإنما القلب كله .. فإذا كان جزء من قلبك قد أعطيته لغير الله ، تكون قد سلبت الله أهم حقوقه عندك .

إن كان الله يقول « قد سلبتمونى » إذا لم تعطه عشوراً ، فكم يكون سلبنا لله إذ لم نعطه القلب ؟!

لذلك عندما نحب أشياء خارجة عن الله ، تكون هذه خيانة لله . بل أن الكتاب يقول : « إن محبة العالم عداوة لله » « إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » ...

لذلك فإن الكنيسة المقدسة فى كل قداس ، فى آخر قراءة الكاثوليكون ، تقول للناس « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم ، لأن العالم يبيد وشهوته معه » .

إذن ، القلب كله يعطى لله ، والحب كله يعطى لله ، والله يملك كل مشاعر الإنسان وعواطفه ، ولا يكون فى القلب سوى الله وحده ، ولدينا قصة القديس الذى رفض أن ينشغل بملائكة ظهوروا له ، لأنه منشغل بما هو أسمى ، بالله وحده .

« أنا لحبيبي ، وحبيبي لى » هكذا أنشدت عنراء النشيد . إنه حب متبادل عجيب بين الله والإنسان ، لا يعطى فرصة لحب آخر : فإن كنت تحب الله محبة كاملة ، يكون كل شئ آخر كلاً شئ قدامك ، وتغنى « خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نغاية لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٨: ٣) .

لماذا نحن نحب بعض أشياء فى العالم ؟ ذلك لأن محبة الله لم تتمكن منا تماماً ! هناك من يركزون على الإيمان فى الحياة ، بينما المحبة أعظم من الإيمان ، كما قال الرسول (١ كور ١٣) . فإن كنت تؤمن بالله ، وأنت لا تحبه ، لا نسمى إيمانك إيماناً .

إن كان الله محبة ، وأنت تؤمن به ، إذن تؤمن بالمحبة . هذا هو الإيمان الحقيقى . تؤمن بهذه المحبة الكلية ، المحبة التى خلقت الكون كله وخلقتنى . الله الذى لم يشأ أن يكون موجوداً وحده ، وبهذا الحب خلق الكل .. وبهذا الحب فدى الكل على الصليب .. مات المسيح لأجلنا ، البار لأجل الأئمة .

إن الصليب ليس مجرد عقيدة ، وإنما هو ذبيحة حب . « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به » (يوح ٣: ١٦) ، حقاً نحبه لأنه أحبنا أولاً .

إذن ، فى صعود المسيح على الصليب ، إنما صعد الحب على الصليب . والمحبة فى عمقها لا تظهر إلا وهى مصلوبة .

تظهر محبتك عميقة حينما تحب من يعاديك ومن يبغضك ، كما ظهرت محبة الله للذين كسروا وصاياهم ، وصُلب ليفديهم .

الله الذى أحبنا أسمى نفسه عمانوئيل ، أى الله معنا ، وقال « حينما أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » . ما أعجب أن الله فى عظيمته يحب أن يوجد من المزدرى وغير الموجود أمثالنا ! إنه المحبة التى تُعطى ، لأنه فى محبته دائماً يعطينا . إنه المحبة التى فى عمق كالمها تنزل إلى الخاطيء الملوث لتتنقذه وتطهره كما قال الله للمخاطفة فى سفر حزقيال : « مررت بك ورأيتك مدوسة بدمك .. فبسطت ذيلى عليك ، ودخلت معك

في عهد ، فصرت لي . فحمتك بالماء (أى المعمودية) ومسحتك بالزيت (أى الميرون) وكسوتك بزاً (أى البر) ... وتاج جمال على رأسك . لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك .. » (حز ١٦) .

إن محبة الله جذبت الكل ، ولم يجلدوا مثلها محبة .. القديسون فرغوا قلوبهم من كل حب ، وازدروا بكل شيء ، لكى يكون الله هو الكل فى الكل فى قلوبهم وحياتهم .

وأنت ، هل تصدك عن محبة الله انجاهات معينة فى العالم ؟ استمع إلى بولس الرسول وهو يقول : « من يفصلنى عن محبة المسيح ؟ » عش إذن فى محبته .

إن الحب ما كان يسمح لداود أن ينام ، فكان يقول للرب : « كنت أذكرك على فراشى ، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك » فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك » (مز ١١٩: ٦٢) . ومع هذا السهر فى الحديث كان يقول : « يا الله ، أنت إلهى ، إليك أبكر ، عطشت نفسى إليك » (مز ٦٣: ١) .

وأنت كيف تصلى ؟ هل الصلاة بالنسبة إليك فرض أم واجب ، أم تدرب روحى ، أم وصية ؟ هل الصلاة تغذيك ، وتعزيك ، وتفرحك ؟ هل كل كلمة فى الصلاة لها مذاق حلو فى فمك ؟ كما قال البعض عن صلوات القديسين « من حلاوة الكلمة فى أفواههم ، ما كانوا يستطيعون أن يتركوها إلى كلمة أخرى من كلمات الصلاة » .

لا شك أنك إذا أحببت الله تحب الصلاة ، وإذا أحببت الصلاة تحب الله . فهل أنت تحبه وتحبها ؟

إن الدين ليس مجرد أوامر ونواه ، ولا هو مجرد حلال وحرام ، ولا مجرد ناموس ونعمة ، أو إيمان وأعمال . إنما الدين فى أعماقه هو الحب ، محبة الله والناس . ولإلهنا المجد دائماً .

عظة إنجيل قداس الأحد السادس من الخماسين المقدسة

في انتظار الروح القدس

اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً (يو ١٦ : ٢٤) .

رجع التلاميذ من جبل الصعود بفرح عظيم . وقد أوصاهم الرب قبل صعوده قائلاً : لا تبهروا أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الأعلى » (لو ٢٤ : ٤٩) لكي لا تكون حركة الكرازة من قوة بشرية بل بقوة روح الله الذي يملأهم ويحركهم ويقودهم ويتكلم فيهم . لكي يكون فضل القوة والعمل لله ، وليس لإنسان . وصعد التلاميذ الى العلية التي هي الكنيسة الأولى ، وظلوا مدة العشرة أيام يواظبون على الصلاة مع القديسة العذراء مريم ، الى أن حل الروح القدس عليهم في يوم الخمسين وملأهم من كل حكمة وكل فهم كوعده الله . والكنيسة في هذه الأيام تعيش بروح التلاميذ . تسترجع حرارة الصلاة والسؤال والطلب الى الآب . وتطلب وتجتمع بروح واحد ونفس واحدة ليمجد فيها عمل الروح القدس الساكن فيها . والرب يسوع في فصل إنجيل اليوم يوجه نظرنا نحو الآب للصلاة ، قائلاً : كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم . نفس هذا التعبير سبق أن صرح به السيد المسيح يوم قال لتلاميذه : « مهما سألتكم باسمي فذلك أفعله ليمجد الآب بالابن » (يو ١٤ : ١٣) وقوله : « ان سألتكم شيئاً باسمي فإني أفعله » (يو ١٤ : ١٤) وتأكد المسيح لهذا الكلام فيه كل الأطمئنان لنفوس المؤمنين وكل التعزية لهم في هذه الحياة والعجب أن نرى رب المجد يحرض تلاميذه على الطلب والسؤال ولا يمل من تكرار السؤال وتكرار الاستجابة للسؤال وهذا فيه ما فيه من الكرم والسخاء والبذل والعطاء فيا له من اله كريم في العطاء سخى في التوزيع . لقد كان الرب مزعماً أن يسكب الروح القدس على التلاميذ . فما فائدة الصلاة والسؤال إذن ؟

بالصلاة נוהל لنعمة الروح القدس ونظهر استعدادنا القلبي لقبوله ونهنيء نفوسنا لحلوله فينا . بدون صلاة قليلة وتوصل الى الآب لا ننال قوة ولا مؤازرة الروح في حياتنا . ان سبب ضعفنا الشديد ، هو فتورنا في الصلاة وإهمالنا في الطلبة ، ان الروح القدس نار تتأجج داخلنا بالصلاة . لذلك تصلى الكنيسة كل يوم في ساعة حلول الروح القدس ٩ صباحاً هكذا : روحك القدوس يارب الذي أرسلته على التلاميذ الأطهار . هذا لا تنزعه منا لكن جده في أحشائنا . فالروح الذي انسكب على التلاميذ وهم في حالة صلاة يتجدد داخلنا . كل يوم بالصلاة . أيينا القديس العظيم الأنبا انطونيوس يوصي أولاده

هكذا : اطلبوا باستقامة قلب ان ينعم عليكم بإتيان ناره غير المادية عليكم من الصلاة
ليحرق كل أفكاركم ومشوراتكم الردية . اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا .

كثيراً ما طلبنا من الله ولم نأخذ . كما يقول معلمنا يعقوب الرسول تطلبون ولا تأخذون
لأنكم تطلبون ردياً (يع ٤ : ٣) . وما هذه الطلبات الرديئة :

١ — طلب الشهوة : طلب أم ابني زندي أن يجلس إنباها حول المسيح واحد عن اليمين
والآخر عن اليسار (ظناً منها أن المسيح ملك أرضي) (مت ٢٠ : ٢١) . هيرودس
طلب المجد فضره ملاك الرب فصار يأكله الدود (أع ١٢ : ٢٢) . طلب سمعان
الغريسي من المسيح أن يدخل بيته للشهرة (لو ٧ : ٣٦) .

٢ — طلب الشهوة : المعتزل يطلب شهوته (أم ١٨ : ١) .

٣ — طلب الثروة : كثيرون ساروا وراء المسيح طلباً للنقود والمال فقال لهم : أنتم لم
تطلبوني لأنكم رأيتم آياتي فأمنتم بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم » (يو ٦ : ٢٦) .
الغنى الغبي . طلب الثروة الأرضية (لو ١٢ : ١٦) .

٤ — طلب النزوة : نزوة الايذاء والاضرار بالآخرين . لا ينامون إن لم يفعلوا شراً (أم
١٦ : ٤) . طلب هامان أن يقتل مردخاى لأنه لم يسجد له (أس ٥ : ٩) .

أما الطلبات المقدسة :

١ — طلب الرب : قال داود « اطلبوا الرب وقدرته » (مز ١٠٥ : ٤) . كما قال
« وجهك يارب أطلب » (مز ٢٧ : ٨) . تحيا قلوبكم يا طالبي الرب . طلبت الرب
فاستجاب ومن كل مخاوفي أنقذني » (مز ٣٤ : ٤) .

٢ — طلب الحكمة : قال الجامعة : « درت أنا وقلبي لأعلم ولا بحث ولأطلب حكمة
وعقلا » (جا ٧ : ٢٥) . فلم يطلب سليمان أياماً كثيرة أو غنى ولم يطلب أنفس
أعدائه بل طلب الحكمة (١ مل ٣ : ٩) ولذلك قال : « قلب الفهم يطلب حكمة »
(أم ١٥ : ١٤) .

٣ — طلب الملكوت : اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم (لو ١٢ :
٣١) . فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله »
(كو ٣ : ١) .

الله ليس له يمين ولا شمال ، لأنه غير محدود ، ولكن اليمين هنا يرمز الى القوة ، ويرمز الى
البر . فعبارة جالس عن يمين أبيه ، أى أنه جلس في عظمة أبيه ، في عرش أبيه فلا يظهر

بعد في ضعف ، كما جاء في مجده الأول ، يمكن أن يهبته ويصلبوه إنما حينما يأتي ثانية ، سيأتي في مجده وحوله ملائكته (مت ٢٥ : ٣١) وسيأتي في ربوات قديسيه وقبل مجده الثاني ، رآه شاول الطرسوسي في مجد (أع ٩ : ٣) وكذلك رآه يوحنا ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها (رؤ ١ : ١٦) ، وعبارة جلس تعنى الاستقرار والاستمرار ، فهو في مجده الى الأبد . فهل لنا في هذه الأيام أن نوجه طلبتنا الى الآب من جديد ؟ وعندما نطلب لابد أن ننال ، لأن الآب يهب الروح القدس للذين يسألونه ، وعندما يتجدد الروح فينا سيصير فينا الفرح الكامل الذى لا يعرفه العالم .

فالروح المعزى هو المصدر الوحيد للفرح في وسط ضيقات هذا العالم . تطلبون باسمي : قال يوحنا ذهبي الفم في حياة الصلاة . الصلاة تحول القلوب للحمية الى قلوب روحانية . والقلوب الفاترة الى قلوب غيرة والقلوب البشرية الى قلوب سماوية . وقال أبنا اسحق في حديثه لكاسيان : الصلاة هي دعامة الواجبات الثلاثة التي على الانسان المسيحي : الأول صلته بالله والثاني بنفسه والثالث بالقرب ، فواجبنا نحو الله أن ندعو باسمه ونظهر حبنا وأمانتنا له وإيماننا به ونعترف به كمنيع لكل البركات نرجو أبنا حقيقياً . ونلتجىء إليه كأطفال . أما واجبنا نحو أنفسنا : فبالصلاة نفتش ذواتنا ونقيس انساننا الروحي ونسعى لنكون أهلاً لبنوة الله ، وأما نحو القريب فبأن نسأل ونطلب له كما لأنفسنا .

والمسيح المبارك في فصل الإنجيل يركز فكرنا في اسمه فكل طلبة بدون اسم يسوع ، لا موضع لها عند الآب ، وكل صلاة وتوسل بدون اسم يسوع تصير بلا قيمة لذلك أضافت الكنيسة للصلاة الربية في نهايتها بالمسيح يسوع ربنا . لقد عرف التلاميذ قوة هذا الاسم في القوات والآيات والعجائب ، وفي قوة الخلاص الكاثنة لنا فيه : ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينفي ان نخلص . ليتنا نختبر كيف نردد الاسم المقدس الذى لربنا يسوع بلا انقطاع حزقيال النبي : رأى الروح رؤيا عجيبة ، عظام كثيرة يابسة جداً وملقاة على الأرض متفرقة . وقال له الرب : تنبأ على هذه العظام ، وقل لها أيها العظام اسمعى كلمة الرب . فتنبأ كما أمره الرب . فرأى حزقيال العظام ترتعش فتقاربت كل عظمة الى عظمة ، إذا العصب كساهها وبسط عليها جلد وليس لها روح . ثم قال له الرب تنبأ على الروح وقل : هلم يا روح هب على هؤلاء القتلى فيحيون فتنبأ فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جداً . ثم قال الرب : هذه العظام هي كل بيت اسرائيل (حز ٣٧ : ٢ - ١١) .

قبل حلول الروح لابد من حركة تقارب بين العظام ونتيجة عجيبة لحلول الروح . وهذه الأيام العشرة التي تسبق حلول الروح القدس هي أيام المصالحة والوحدانية بين العظام

اليابسة ، لكى تقوم بعمل الروح القدس بقوة . هكذا عاش التلاميذ هذه الأيام بنفس واحدة مواظبة على الصلاة والطلبية . هذه الأيام هى فرصة للكنيسة لكى تتجمع قتلاها من جديد وتسهم لعمل الروح القدس ليقبلهم ويجعلهم ضمن جيش الحياة الأبدية . هذه الأيام هى فرصة لجمع المتفرقين والمتشتتين فى موت الأنانية ، والانفراد بالرأى ، والاعتداد بالذات والمقتولين بكل أنواع الشهوات ، والمنفصلين عن مصدر الحياة وينبوع النعمة . هل لنا ان نجمع شتاتنا ونجتمع بنفس واحدة للصلاة والطلبية فتقارب عظامنا برعش الصلاة ، ويجمع كل عظم الى عظمه ويكسنا عصب المحبة القلبية ، ثم يكسنا جلد الجسد الواحد ويعطينا بر المسيح .

أن أكبر ضربة يوجهها العدو الشيطان الى الكنيسة موجه دائماً ضد الروح الواحد ، والقلب الواحد ، أكبر ضربة يوجهها ضد المحبة فى الكنيسة . كل بيت ينقسم على ذاته يخرب ، وكل مدينة تنقسم على ذاتها تخرب هذه الأيام فرصة لكل بيت أن يأخذ بركة الروح الواحد فى الصلاة ، والروح الواحد فى المحبة .

الروح القدس لا يحل ولا يرتاح طالما هناك انقسام أو شقاق . عمل الصلاة : يبدو أن الصلاة بنفس واحدة لها عمل خطير جداً . فالتلاميذ عندما واطبوا على الصلاة بنفس واحدة . تمياًوا لقبول الروح القدس ومرة أخرى عندما كان بطرس الرسول فى داخل السجن . ظلت الكنيسة بنفس واحدة فترزعزع المكان وانفتحت أبواب السجن وخرج بطرس بيد ملاك الرب . الآن . للكنيسة نفوس كثيرة فى سجون مختلفة ، والشيطان اغلق عليها فى سلاسل رهبته . وأحكم حراسه عليها . فهل للكنيسة ان تعود الى الصلاة بنفس واحدة مرة أخرى لتخرج المحبوسين ؟ .

الأسرة التى تجتمع للصلاة بنفس واحدة كل يوم ، تؤهل لنعمة الروح القدس وشركة الحياة مع الله . الاختلاء عشرة أيام . يسبق الامتلاء من الروح القدس ليتنا ندرب أنفسنا أن يكون لنا خلوة مقدسة كل يوم . وبالذات فى هذه الأيام ليكون لنا صلوة مع الله قبل كل خدمة . لئلا تكون أعمالنا اندفاعاً بشرياً من يتكلم فكأقوال . ومن يخدم فمن قوة يمنحها الله . هذه الأيام فرصة لعمل المصالحة على مستوى الأفراد والجماعات ليتنا ننزه هذه الأيام للسعى المتواصل . اسعوا فى اثر الصلح طوبى لصانعى السلام .

مواعيد الله كلها بلا ندامة . هو وعد ان يعطى الروح القدس وهكذا سكب على التلاميذ . تمسك بمواعيد الله فى الصلاة ولا تمل حتى تأخذ . صلوا ولا تملوا . وله المجد دائماً .

عظة إنجيل قدام الجمعة السابعة من الخمسين المقدسة

الماء الحى

إن عطش أحد فليقبل الئى ويشرب (يو ٧ : ٣٧) .

قال الرب على لسان أشعياء النبى يدعو الجميع « أيها العطاش هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا ، استمعوا لى استماعاً وكلوا الطيب ولتلتذذ بالدمس أنفسكم » (اش ٥٥ : ١ - ٢) . ويقول يوحنا الانجيلى فى سفر الرؤيا : « من يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » (رؤ ٢٢ : ١٧) . هذا ما ينادى به الرب ورسله كى يسمع أهل العالم صوته . ما أشقى ذلك الانسان الذى يحب الإلحاح عليه لكى يقبل أن يكون سعيداً ، وما أعجب نعمة المسيح لأنه يلح عليه « أيها العطاش جميعاً هلموا » (اش ٢٥ : ١) . والدعوة نفسها عامة جداً ان عطش أحد مهما كانت حالته أو وضعه أو مركزه ، فإن المسيح يدعوه ، سواء كان رفيعاً ، أو ضيعاً ، غنياً أو فقيراً ، صغيراً أو كبيراً ، عبداً أو حراً ، يهودياً أو أمياً . وهى أيضاً رحيمة جداً ان عطش أحد فليقبل الئى ويشرب . إن أراد أحد أن يكن سعيداً ، سعادة حقيقية أبوية ، فليقبل الئى ويخضع لى . فأتعهد بأن أجعله سعيداً . ولكن من الناس من هم آذان ولا يسمعون وهم قلوب ولا يفقهون ، أسدلوا على عيونهم وبصائرهم ستار حتى لا يسمعون ولا يهتلقوا .

« الحكمة تنادى فى الخارج . فى الشوارع تعطى صوته . تدعوا فى رؤوس الأسواق . فى مداخل الأبواب ، فى المدينة تبدى كلامها قائلة الى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء والحمقى يفيضون العلم ، أرجعوا عند توبيخى . هأنذا أفيض عليكم روحى ، أعلمكم كلماتى » (أم ١ : ٢٠ - ٢٣) . بذلك يعظهم يسوع بصوته الخنون وفى كل حين يدعوهم والى أى شئ يدعوهم ؟ الى الراحة والسعادة . الاطمئنان والسلام . النعمة والمغفرة وسلامة الضمير والمصالحة مع الله وبالجمله المواهب الروحية التى بها يبلغون المجد السماوى .

ويل لمن لا يسمع صوت الرب ، ووجع من يعترض سر النعمة . يا شقاء وتعاسة من يقاوم الحق ، ويفلق باب قلبه عن دخول النور فيه ، سيمكث فى الظلام الى الأبد ، ويستقر عليه غضب الله وسيجس شدة وضيقاً فى نفسه ، وسيكون كالبحر المضطرب الذى لا يهدأ ولا يعرف السلام . النعمة لا تفعل فعلها فى العقول المشتتة والقلوب الموزعة ، بل

تطلب الروح الرزين الهادئ ، والقلب الوديع السليم . إذا دناك الرب فاسمع صوته واصغ الى أمره ، وبادر لملاقاته لأنك لا تحصل على الخلاص إلا إن أظعت صوته . وهنا نرى كيف ان النفوس العطشى التى تقبل للمسيح تشرب . إن اسراييل ، الذين آمنوا بموسى . شربوا من الصخرة التى تابعتهم ، إذا تابعتهم انهار المياه . أما المؤمنون فإنهم يشربون من الصخرة التى فيهم ، المسيح فيهم . هو فيهم ينبوع ماء حى (يو ٤ : ١٤) .

لا تقدم إليهم الامدادات لشبع وقتى ، بل لتعزيات مستمرة مستديرة . إن الله يريد أن يخاطب قلبك فكن مستعداً دائماً لاستماع صوته ، لا تقسى قلبك عند سماع صوته المفرح بل قل مع صموئيل النبى : « تكلم يارب لأن عبدك سامع » (١ صم ٣ : ٩) . كن كالشمع لنا قابلاً لصورة النعمة ، لا تكن قاسياً لا يؤثر فيك فعلها ولا تتمرد على الروح القدس فلا تسمع يا قساة القلوب وغير المختونين فى قلوبكم وآذانكم فى كل حين ، حتى متى تقاومون الروح القدس كما كان آباءكم كذلك أنتم (أع ٧ : ٥١) . ان الرب لا يمنحك نعمة فى كل حين ، فاغتنم الفرصة لكى تقبل مواهبه . إن الله لا يتفقدك فى كل وقت فاصغ لصوته عند ندائه إياك .

إن النعمة والتغذية تظهران ذاتهما ، والعواطف الطيبة تنتج أعمالاً طيبة ، والقلب المقدس يظهر فى الحياة المقدسة ، وكما أن الشجرة تعرف من ثمرها هكذا يعرف الينبوع من انهاره . أنهما تجريان لفائدة الآخرين . إن الإنسان الصالح يصدر عنه الخير العام . « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠ : ١١) . لا يكفى أن نشرب مياهاً من بئرها (أم ٥ : ١٥) وان نتمتع بالنعمة التى تعطى لنا ، بل يجب ان تفيض بنايينا الى الخارج (أم ٥ : ١٦) . فإياك والتهاون والإهمال . إن لم تسمع الآن صوته وقسيت قلبك فسيأتى وقت لا يسمعك فيه . لا ترفضه فلا يرفضك . لا تكن كالشباب الغنى الذى دعاه المخلص فمضى حزينا لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢٢) .

لا تفضل الإصغاء لصوت العالم وتصم أذنك عن صوت يسوع . لا تخدعك أباطيل الحياة ولذاتها فلا ينقلب فرحها ترحاً . وجلوها مرأ . لا يفرنك سراب العالم الخلاب فتصير أسيراً ذليلاً ، بل دس بقدميك كل شهواته واعتبر غناه فقراً ومجده احتقاراً وعزه هواناً . إن صوت الرب مفرح ولذيذ ، وسعيد من يستمعه ويطيعه « إن أسمع ما بتكلم به الله الرب ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه » (مز ٨٥ : ٨٠) . فاسمع وكن فى سلام . أصغ وتلذذ بالراحة ، أنصت بعقلك فتملك هدوء الضمير وترى السلام سلام الله مقبلاً اليك وكما يقول حبقوق النبى : على مرصدى أقف وعلى الحصن انتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لى وماذا أجيب (حب ٢ : ١) . ولربنا وإلهنا المجد الى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس

عيد دخول المخلص أرض مصر

قم وتخذ الصبي وأمه وأهرب الى أرض مصر ... (مت ٢ : ١٣) .

بعد ما أتى المجوس الى الطفل العجيب واتم واجب السجود له وتقديم هداياهم . قد أوصى اليهم في الحلم أن لا يرجعوا الى هيروودس الذى اضطرب عندما سمع بميلاد الملك العظيم لخوفه من ضياع ملكه الذى اراق لاجله دماء كثيرين منهم بعض أولاده ونسائه . وعزم ذاك الطاغية الذى يجب أن يلقب يوحش لا بانسان على قتل الطفل الممجّد ولأن الفادى أراد أن يعلمنا بمثاله الكامل ضرورة عدم مقاومة الشر بالشر شاعت ارادته الإلهية أن يهرب من الشر . فبعد انصراف المجوس اذا ملاك ظهر ليهوذا في حلم قائلاً : قم وتخذ الصبي وأمه وأهرب الى أرض مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيروودس مزعم أن يطلب الصبي ليهلكه فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيروودس . (مت ٢ : ١٣ - ١٥) .

ولم يكن غرض الفادى من هربه الى مصر كغرض غيره من الذين التجأوا اليها للتخلص من ضيقاتهم كإبراهيم ويعقوب وبنوه ثم يريعام (مل ١١ : ٤٠) . وكذلك غيرهم من اليهود الكثيرين الذين بلا شك قد التجأوا اليها في زمان هيروودس تخلصاً من مظالمه . بل كان غرضه الأسمى تعليمنا ضرورة الهرب من وجه الشرير وعدم مقاومته بمثله وبذلك اعطانا درساً قوياً في الوداعة والتواضع العميق . لأنه لو أراد أن يتخلص من هيروودس وهو قريب منه لما عدم وسيلة لذلك لأنه قدير على كل شيء وغير المستطاع عند الناس مستطاع لديه . اغتاط هيروودس جداً من عدم رجوع المجوس اليه ثانية فأمر بقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل نجومها من ابن ستين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ، وفي سبيل رغبته في الفتك بالسيد المسيح قد ظهرت مغالاته في الاجرام فقتل عدداً كبيراً من الأطفال . لأنه توسع في الزمان والمكان اكثر من اللازم فاضاف مدة فوق التاريخ الذى سمعه من المجوس لميلاد الفادى كما اضاف تلك التخوم المحيطة ببيت لحم . وذلك لكي يمنع كل وسيلة لنجاة المسيح من الموت . وهناك آراء كثيرة في تحديد المدة التى أقامها المخلص في مصر ولكن الرأى الراجح يقرر أنه مكث بها نحو ستين فقط . لأنه رجع منها على اثر موت هيروودس وتملك ابنه ارخيلاوس عوضاً عنه .

والسيد المسيح قد هرب الى مصر قبل وفاة هيرودس بسنة واحدة وعاد الى ارض اسرائيل في أيام ابنه الذى وهبه أبوه المملكة ولقبه بلقب ملك ولكن لم يعترف بذلك أوغسطس قيصر الا جزئيا اذ سلمه اليهودية وادومية والسامرة فقط ورفض أن يلقبه بملك الى ان يظهر استحقاقه لذلك . وانقسمت بقية المملكة بين أخويه فيلبس وانتيباس . وملك اريخيلوس ستين على رأى بعضهم وأكثر من ذلك بحسب رأى البعض الآخر . وقيل انه ملك بضعة أشهر فقط ومنعه أوغسطس قيصر ان يسمى نفسه ملكا ودعاه رئيس ريع على اليهودية

. والسيد المسيح عاد من مصر في الأيام التى كان يدعى فيها اريخيلوس ملكا وذلك في السنة الثانية لخرجه الى مصر . وقد انصرفت العائلة المقدسة الى نواحي الجليل وهى القسم الشمالى من ارض اسرائيل . عندما جاءت الأسرة المقدسة الى ارض مصر استمرت تجول من مكان لآخر وجاء في التقليد الكنسى انها مرت بضبعة اسمها بسطة (كانت بقرب الزقازيق ودمرت وباق من آثارها تل باسمها الى اليوم) وكذلك سمند (بمركز المحلة الكبرى تبعد عن مركزها بمقدار ٧ كيلو تقريبا) واجتازت غربا قبالة جبل النطرون (هو برية شيبث) الذى تبارك بهذه الزيارة المقدسة التى جعلته في مستقبل السنين وإلى الآن مكاناً مختاراً لعبادة ملائكية) . ووصلت الى الالفونين التابعة لمركز ملوى . وقصدت جبل قسقام الكائن به دير العذراء الشهير بالحرق (وهو الآن دير عامر بالرهبان الكثيئين بالقرب من محطة نزالى جانوب) وسمى هذا الدير بالحرق لوجوده قرب حوض المياه الزراعى المسمى بهذا الاسم بسبب نضوب المياه منه قبل غيوه من الحياض .

ومات وقتئذ هيرودس فظهر ملاك الرب ليوسف فى حلم قائلا : قم وخذ الصبى وامه واذهب الى ارض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (مت ٢ : ٢٠) . فعادوا الى مصر ونزلوا فى المغارة الكائنة بدير القديس سرجيوس بمصر القديمة . ثم اجتازوا بالمطرية واغتسلوا هناك من عين فصارت مباركة ومقدسة من تلك الساعة . وتمت بقرنها شجرة اليوسم المعروفة . وبعد تلك الزيارات المباركة لأرض مصر رجعت الأسرة المقدسة الى بلاد اسرائيل وبذلك تمت النبوة القائلة : « من مصر دعوت ابني » (هو ١١ : ١) ، (مت ٢ : ١٥) . وقد رثت الكنيسة فى يوم ٢٤ بشنس الاحتفاء بهذا العيد المجيد لاعلان الشكر للرب على إحساناته الكثيرة وبركاته الوفيرة التى فاضت على بلادنا المضرية فى هذا اليوم المجيد . وتذكيرا لبنيها بضرورة الهرب من الشر اقتداءً بقادينا رئيس السلام فهذا العيد يعتبر بحق منبرا لتعليم الوداعة من رب الوداعة والسلام .

ما ربحته مصر من مجيء السيد المسيح اليها : ان هذا اليوم يعتبر بحق أسعد الأيام التى

مرت على مصر في عصورها المختلفة . فهو من أعظم أعيادها الروحية لوجود مخلص العالم فيها بالجسد إذ بجلوله في أرضها نالت تعزية وبركة عظيمة لشعبها بعد تلك الضربات المؤلمة التي حلت بها من جراء قمردها الذي تمثل في فرعونها الظالم على يدي موسى النبي . هذه هي مصر المباركة التي زارها السيد المسيح وقد تحققت هذه البركة في نبوة اشعيا النبي قائلا : « مبارك شعبي مصر » (اش ١٩ : ٢٥) .

وبحت مصر بدخول الفادى فيها بدء وصول المعرفة اليها وتطهيرها من ادران العبادة الوثنية . وقد شهد التقليد الكنسي أن مصر اهتزت وسقطت اصنامها من رهبة المخلص عندما دخل في أرضها وسدت أفواه تلك الأصنام وتلاشت قوة الشياطين . وهذا حق لأن أشعيا سبق وتنبأ عن ذلك بقوله : « هوذا الرب الراكب على سحابة سريعة وقادم الى مصر فترتحف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر في داخلها » (اش ١٩ : ١) . وقد أعدت القلوب في مصر بمجيء الفادى اليها لقبول رسالة الخلاص التي حملها مرقس الرسول الذي قام بواجبه الروحي نحو مخلصه على الوجه الأكمل حتى استشهد في سبيل انتشار الايمان في أرض مصر . وبذلك تأسست كنيسة القبطية المحبوبة القوية المدعمة على صخر الدهور مخلصها وفاديا . واقم فيها منجى للرب فم بذلك قول اشعيا النبي . « في ذلك اليوم يكون مذهب للرب في وسط أرض مصر عند نغمها فيكون علامة وشهادة للرب الجنود في أرض مصر » (اش ١٩ : ١٩ ، ٢٠) .

اخيراً نتعلم من هذه الذكرى المحيطة ضرورة ضبط النفس حين الغضب لأنه اذا اشتد يقود صاحبه الى افطع الجرائم كما قاد هيروودس الى اشر انواع الوحش بقتل الأطفال الابرياء فلنا منه ان السيد المسيح لا يقلت من يده ولكن طاش سهمه وخاب امله وفوق ذلك مات شر ميتة وزال ملكه ودام مُلك السيد المسيح وسيلوم الى الأبد . ان مصر قد وبحت وبها عظيما بدخول المخلص في أرضها اذا تباركت كما تحطمت أوثانها .

فيا ليتنا نرحب بدخول الفادى الى قلوبنا ليسحق الأصنام التي تربعت فيها كصنم عبدة المال ومعبدة الانتقام من الأعداء وحب المجد الباطل والكبرياء وصنم التبرج الذى دخل قلوب السيدات في العصر الحديث وتسلط على عقولهن باختراعاته ومظاهره الخليعة المتبدلة . فاذا سكن الفادى بروحه القدوس في قلوبنا يحطم بقوته الإلهية تلك المعبودات الكاذبة فتطهر قلوبنا من ادرانها وبذلك نستطيع ان نحتفل بهذا العيد المجيد مبهجين فرحين بسرور قلبي ممزوج بالكمال المسيحى وبذلك نستأهل للمجد الأبدى الذى أضرع الى المخلص ألا يحرم أحدا من التمتع ببهجته لأنه يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون وله المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل عشية الأحد السابع من الخمسين المقدسة

الينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع

« من آمن بى ، كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حى » (يوحنا ٣٨: ٧) .

يقول الروحى الإلهى فى إرميا : « تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينفروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشقة لا تضبط ماء » (إرميا ١٣: ٢) .. ما أشد حماقتنا ! إننا نفعل بذلك شرين ، ومن هذا تبتهت السموات وتتشعر الأرض جداً !!

إن الرب يسوع هو الغمر الرابض تحت .. فى الأساس الروحى للنفس البشرية ، هو هناك فى أعماقك .. لا تبحث عنه خارجاً عنك ، فهو « عن كل واحد منا ليس بعيداً » (أع ١٧: ٢٧) اغلق مخدع قلبك وابحث عنه ، كما فعل أوغسطينوس من قبل ، فيروى نفسك من مائه .. ويصيرك أيضاً ينبوعاً .

وبنعمة الله وإرشاد من روحه القدوس نتكلم عن :

أولاً — ينابيع الخلاص :

من أجل الترتيبات فى كنيستنا الطقس الرائع الذى لأسبوع الآلام ، إذ نضيف إلى تسبختنا عبارة : « قوتى وتسبحى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً مقدساً » ! مقتبسة من قول إشعياء النبى عن الرب : « قوتى وتسبحى وقد صار لى خلاصاً . فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (إش ١٢: ٣) ! الكنيسة فى ذكرى الخلاص العظيم تهتف بيشارة موت الرب وتعترف بقيامته .. إنها تعلن عن بركات القداء وغنى الصليب .. إنها تقدم ينابيع الخلاص لكل من يريد ، ليستقى منها بفرح ..

ليتنا لا نستحي بإنجيل المسيح .. ليتنا لا نكل من المناادة باسمه .. ليتنا نغفر عن الهبات الكثيرة والإمنايات الوفيرة والسخية التى نلناها فيه .

ثانياً — ينابيع الأبدية :

يسوع الذى يعطى هبات مقدسة للمؤمنين باسمه أثناء جهادهم فى هذا العالم ، سوف يجزل لهم العطية ويكافهم عندما يأتى بهم إلى المنازل الدهرية .. سوف يعوضهم

عن أتعابهم والامهم ودموعهم وصبرهم ، « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر ، لأن الخروف في وسط العرش يرعاهم ، ويقنأدهم إلى ينابيع ماء حية ، ويمسح كل دموعهم من عيونهم » (رؤى ١٦: ١٧) .

هذه هي تعزيات الروح القدس وأفراده .. التي لم نزل منها هنا سوى عربونها . أما هناك فسننال قياسها الكامل عند ينابيع الراحة سوف يوردك الرب يسوع ، وهناك تستقي نعماً تلوم إلى الأبد .

ثالثاً — عيون إيليم :

في ارتحال بنى إسرائيل ، عطشوا في بيرة شور . إلا أن الرب افتقدهم « عندما جاءوا إلى إيليم حيث وجدوا هناك اثنتي عشرة عين ماء وسبعين نخلة ، فنزلوا هناك عند الماء » (خر ١٥: ٢٧) .

لا شك أن هذه العيون كانت رمزاً للتلاميذ الاثني عشر ، وأشجار النخيل كانت إشارة إلى الرسل السبعين ..

كان التلاميذ الاثنا عشر عيوناً (ينابيع) فائضة بالماء الحى الذى ارتوى منه العالم الذى سمع منطقهم وبلغته أقوالهم .. كانوا عيوناً لم ينضب ماؤها ، إذ كانوا متصلين بالينبوع الحى العظيم .. الرب يسوع . إنه — تبارك اسمه — حينما صعد لم يترك عنهم ، بل هكذا وعدهم : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم .. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ١٩ ، ٢٠) .

ليتنا نجد عيون الماء الزاخرة .. إن أقوالهم موجودة وحية في كتاباتهم . ليتنا نقرأ ونفهم .. وليتنا نفهم ونعمل .. ليتنا ننزل هناك عند الماء فنرتوى !

رابعاً — ينبوع مختوم :

« أحتى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم .. ينبوع جنات ، بحر مياه حية » (نش ٤: ١٢ ، ١٥) ، بهذه الكلمات الفريدة ناجى العريس عروسه في سفر نشيد الأنشاد وتقريباً لا يختلف أحد في من هو العريس .. فيالإجماع هو ربنا يسوع . ولكن من هي العروس ؟ قال البعض إنها العذراء . وقال آخرون : هي الكنيسة .. وقال فريق هي النفس المؤمنة . ونرى أن كل هذه المفهومات صادقة معاً — ومن الخطأ الاختصار على تفسير واحد بعينه .

+ فالقديسة الطاهرة مريم عروس إشتى الرب حسنبا الروحى ووجدت نعمة فى عينيه فاختارها للحمل المقدس .. وفى صلاة نصف الليل ندعوها : « العروس التى بلا زواج » .. هى البتول الدائمة البتولية ، كما تسميها الكنيسة ، وهذا المعنى يستقيم تماماً مع قول سليمان : « جنة مغلقة عين مغلقة ينبوع مختم » !

+ والكنيسة ، بكل تأكيد أيضاً ، عروس للمسيح . قال المعمدان لليهود : « من له العروس فهو العريس » (يو:٣:٢٩) .. وكان يعنى بالعريس شخص المسيح ، وبالعروس الكنيسة أو جماعة المؤمنين الذين بدأوا يلتفون حول من أحبهم . وهذا أيضاً أوضحه الرسول بولس حين قال : لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢كو:١١:٢) . وعذراء عفيفة !! أحبا المسيح وأسلم نفسه لأجلها .. « قدسها مطهراً لإياها بفصل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة بجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ، بل مقدسة ولا عيب » (أف:٥:٢٦، ٢٧) . صارت جنة مغلقة عيناً مغلقة ينبوعاً مختماً .. وينبوع جنات وبهر مياه حية !

هذا عن الكنيسة كجماعة للمؤمنين .. وهى أيضاً كذلك كمستقر للنعم والبهات المتنوعة . فالكنيسة فى الأسرار المقدسة هى ينبوع مياه حية ، استودع فيها الرب بركات الروح القدس . الأسرار السبعة هى قنوات الروح التى مثلتها فى القديم سبعة سرج المنارة الذهبية .. ما أتعس وأشد خداع الذين تركوا ينابيعها ! صدق القديس كبريانوس حين قال : « ما من أحد يستطيع أن يقول إن الله أبوه ما لم تكن الكنيسة أمه » ! وفى الكنيسة كنوز الآباء وثمار اختباراتهم الطويلة مع الله ، دونوها فى كتاباتهم وتأملاتهم المباركة ، فكانت بركة للأبناء الذين وجدوا طريقهم إليها « فارتووا من دسم بيت الله » (مز:٣٦: ٨) ..

إذا أحسست أن أعدائك الروحيين قد دسوا عليك منابع الروحيات ، عد وانبش آبار القديسين كما فعل إسحق « فماد إسحق ونبش آبار الماء التى حفرها فى أيام إبراهيم أبيه وطمسها الفلسطينيون بعد موت أبيه » (تك:١٨: ١٩) هناك ستجد آباراً كثيرة وينابيع ماء حى !

+ وما قلناه عن الكنيسة ، كجماعة للمؤمنين ، يصدق أيضاً على النفس الواحدة ، النفس المقدية يدم الحمل وجراحات الصليب ، هى عروس للمسيح اشتبى حسنبا وأحبها .. رآها بعينه الصالحة جميلة كلها ! نفسك عزيزة فى عينى الرب . ليتك تكون

قد اختبرت ذلك . قال الرسول بولس عن الكنيسة ككل إن الرب أحبها وأسلم نفسه لأجلها .. ولكنه اختبر أيضاً اختباراً فردياً شيقاً .. تأمل كيف استخدم نفس الكلمات ولكن بأسلوب التخصيص : « ... الذى أحبني وأسلم نفسه لأجلي » (غل ٢: ٢٠) .

إذن فالنفس الواحدة ثمينة جداً في نظر الرب ، عروس محبوبة .. جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم ..

ليتنا نحفظ عفتها .. ليتنا نغلق أبوابها في وجه تيارات العالم الفاسدة .. ليتنا نكرسها له ، وله وحده .

خامساً — نبع القلب :

هناك نبع في القلب — أعنى الإنسان الباطن — يمد القم ينبوع الكلام . ومن هنا يختلف نوع الكلام عند الناس . يقول الحكيم في هذا : « فم الجهال ينبع حماقة .. فم الأشرار ينبع شروراً » (أم ١٥: ٢) . كما يقول أيضاً : « فم الصديق ينبوع حياة » (أم ١٠: ١١) . وقد أوضح ربنا هذه الحقيقة حين قال : « الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم القم » (لوقا ٤٥: ٤) .

قد يستطيع الشرير أن يخرج من فمه بعض عبارات مطلية بالصلاح .. قد ينطق بألفاظ طيبة .. قد يستطيع أن يجيد الزيف بين حقيقة وواقع حياته . ولكن الرب لن يرضى عن مثل هذا ، ويوبخهم قائلاً : « يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار — يامرأون حسناً تنبأ عنكم إشعياء قائلاً : « يقترب إلى هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً ... » (مت ١٢: ٣٤ ، مت ١٥: ٨ ، ٧) .

وحتى الناس ، لن ينخدعوا طويلاً بالأساليب المسولة ، فسوف تظهر أمامهم حقيقة النبع الداخلى . ستفصح تصرفات الشخص أقواله ورياءه ، ولغته سوف تظهروه » (مت ٢٦: ٧٣) .

ومن الجانب الثانى ، لا يستطيع إنسان ، تقدس قلبه حقاً ، وتبقى قلبه تماماً ، أن ينطق بالشرور والسفاهات ، « فقلب الحكيم يرشد فمه » (أم ١٦: ٢٣) . لذا من الأمور المستتكرة أن بركة ولعنة تخرج من فم واحد : « من القم الواحد تخرج بركة

ولعنة . لا يصلح يا إخنوخ أن تكون هذه الأمور هكذا . ألعن ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمرة (يع ١٠: ١١) ! .

أخى الخادم .. ألقى شجرة صليب يسوع العجيب في العين المرة ، فيتحول ماء مارة إلى ماء عذب ، وهناك وعد الرب حافظ وصاياہ بالشفاء إلى الأبد : « فإني أنا الرب شافيك » (خر ١٥: ٢٦) .

سادساً — بئر سوخار :

عند بئر سوخار (يو ٤: ٣٠ —) التي شرب منها يعقوب مع بنيه ومواشيه ، التقى الرب بالمرأة السامرية . والحديث عن هذا البئر يمكن أن يأخذ إتجاهين :

١ — بئر الفرائض الشكلية : سميت هذه البئر بئر يعقوب ، وعندما تحدثت المرأة مع السيد تساءلت ، في جهل منها : « ألعنك أعظم من آبينا يعقوب » ! .. كانت هذه المرأة وغيرها يمتزجون بهذه البئر باعتبار أنها تنسب إلى شخصية موقرة ، هي شخصية أبى الأسباط . إنه الافتخار الذى بحسب الجسد ، والذى يشبه إلى حد كبير منطق اليهود الذين كانوا يقولون في أنفسهم : « لنا إبراهيم أباً » (مت ٩: ٣) ، يو ٨: ٣٩) ! ومهما بدت هذه البئر في نظر المرأة السامرية عميقة ، إلا أن مياهها لن تروى ، وكل من يشرب منها يعطش أيضاً .

٢ — بئر الشهوات العالمية : كانت المرأة المسكينة ، مستأجرة تحت أركان العالم . كانت تشرب من مياه العالم والشهوة ، وتزداد كل يوم عطشاً . حدثها الرب عن مياه النعمة التي يهبها ، فتروى كل عطش للقلب : « كل من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » . فتركت جرتها — شهوات قلبها — عند البئر ومضت إلى المدينة ، وطفقت تُخبر عن المسيح وتشهد له .. كان الماء الذى روى عطشها قد صار فيها ينبوعاً ينبع إلى حياة أبدية ويجرى من بطنها أنهار ماء حتى .. الذى له المجد من الآن وإلى الأبد آمين .

عظة إنجيل قداس الأحد السابع من الخمسين المقدسة

عيد العنصرة

وهي جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى (يو ١٥ : ٢٦) .

هذا اليوم المبارك هو عيد الخمسين أو عيد حلول الروح القدس أو عيد العنصرة (وهي كلمة عبرية أصلها عصريت ومعناها تمام الخمسين ، أى انقضاء خمسين يوماً على عيد القيامة ثم يأتى عيد العنصرة وسرعان ما أبدل حرف الصاد فى كلمة عصريت بحرف النون فصارت عنصريت ومن ثم أصبحت عنصرة . وفيه نذكر أنه بعد خمسين يوماً من صعود السيد المسيح الى السماء حل الروح القدس على التلاميذ بقوة الروح أسسوا الكنيسة فى العالم .

هو عيد عظيم يحوى فى ذاته أسراراً عظيمة من العهدين وقد كان من أعياد الاسرائيليين الثلاثة الكبيرة .

١ - الفصح والحصاد والمظال . وعيد الحصاد أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل ، (خر ٢٣ : ١٦) .

ب - وهى عندهم عيد الجمع « وعيد الجمع فى آخر السنة » (خر ٣٤ : ٢٢) .
ج - صنع تذكراً لقبول موسى الشريعة التى وضعت أساساً لسياسة الشعب الدينية والمدنية عند مدخل أرض الميعاد وتخلص من العبودية . « كلم بنى اسرائيل قائلاً فى اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب » (لا ٢٣ : ٣٤) .

د - وكانوا يكرسون هذا التذكار شاكرين الله لانتهاء الحصة الذى يتبدى فى جمع أبكار غلات الحقل . وكلم الرب موسى قائلاً : « تأتون بحزمة أول حصيدكم الى الكاهن فيردد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم » (لا ٢٣ : ١٠ ، ١١) وفيه كانوا يقرءون فى الهيكل التقدمة العديدة عن الخطية « بخبز ترويد » (لا ٢٣ : ١٧ ، ٢٠) .

و - كما انهم كانوا يعيدونه بفرح عظيم إذ كان يذهب للاحتفال به فى اورشليم اليهود المنتشرون فى جميع أقطار الأرض (أع ٢ : ٥)

كان هذا العيد فى العهد القديم رمزاً لما صنعه السيد للجنس البشرى والكنيسة تحتفل به تذكراً لتلك الأعجوبة العظيمة التى قدست العالم وفتحت طريق الايمان و قدست الرسل بنوع خاص وهى حلول الروح القدس على جمهور التلاميذ بشبه أسنة نارية منقسمة كأنها

من نار استقرت على كل واحد منهم بينما كانوا مجتمعين للصلوة بنفس واحدة في العلية في يوم الخميس (أع ٢٠ : ١ - ٤) . ولذلك اختارت كنيسة المحبة كل الفصول التي تقرأ في صلاة عشية وصلاة باكر والخدمة الصباحية مناسبة لموضوع الروح القدس .

لنتأمل في الفصول الانجيلية التي قرئت هذا الصباح مبتدئين بها بحسب ترتيبها في الكتاب المقدس :

ا - ففصل انجيل القديس : فيه وعد من المسيح لتلاميذه بحلول الروح القدس .

ب - وفي الابركسيس : خبز إنجاز هذا الوعد بنوال التلاميذ الروح القدس .

ج - وفي البولس : تعدد مواهب الروح القدس .

د - وفي الكاثوليكون : مسحة الروح القدس .

أولاً - الوعد بإرسال الروح القدس :

كان السيد المسيح يعلم الناس في أيام جسده وقبل تركه للعالم وصعوده للسماء كلف تلاميذه ان يكرزوا للعالم بخبر الانجيل ويحولوا الأمم عن شرورهم وأديانهم الكاذبة الى محبة الله في المسيح . وان هذا العمل لا يقوى عليه جماعة قليلون جليليون فقراء جهلاء صيادون ، فوعدهم بتأييد الروح القدس الذي يعطيهم قوة لا جسدية كشمشون ولا مالية ، ولا منطقية ، ولا حرية ، ولكن قوة روحية قوة الحق والايمان والمحبة فقال لهم : « خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك ييكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » (يو ١٦ : ٨) . ومعنى هذا ان الروح القدس في التلاميذ ييكت العالم :

١ - على خطية : أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى » (يو ١٦ : ٩) . ان أول عمل للروح القدس نيكيت الخاطيء وإيقاظ ضميره ولذلك نسمع ان بطرس الرسول بعد ان وعظهم نخسوا في قلوبهم . ونلمس ذلك في موقف المسيح مع المرأة السامرية اذ بكتها على خطيتها وأيقظ ضميرها فأمنت به مخلصا وفاديا (يو ٤ : ١٠) .

٢ - على بر : « فلأنتي ذاهب الى أبى ولا تروننى » (يو ١٦ : ١٠) . فالروح يوبخ على فوات الفرصة ويحذر من تأجيل التوبة لئلا يغلق الباب أو يمسح العريس ولا نراه . ويكشف لنا خطر البر الذاتي فنقرع صلوبنا مثل العشار ارحمنى يا الله أنا الخاطيء .

٣ - على دينونة : « وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين » (يو ١٦ : ١١) . يصور لنا الروح القدس عاقبة إبليس الوخيمة ودينونته الكبيرة فنصحو ونتعقل ونتوب . فالروح القدس يعلم التلاميذ . ويذكرهم بأقواله وفي الوقت ذاته ييكت ويدين العالم الحاضر .

ثانياً — إنجاز هذا الوعد :

فى مثل هذا اليوم ، فى يوم الخمسين ، فى فجر تأسيس الكنيسة ، كان التلاميذ يصلون مجتمعين معاً فى العلية بنفس واحدة وهم يصلون . وإذا يريح تهب ولها دوى عظيم وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأشياء من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلاوا من الروح القدس وكانوا يتكلمون بعضهم الله . وكانوا أناس أتقياء قد حضروا وشاهدوا الرسل يسبحون الله باللغة التى ولد فيها . ولما استهزأ البعض بالرسل وقف بطرس ووعظ الجمهور عن المسيح ونوال الروح القدس حسب الوعد الذى فاه به يوثيل النبى القائل : « وسيكون بعد ذلك انى اسكب روحى على كل بشر ، فيتنبأ بنوك ويناتكم . ويحلم شيوحكم احلاما ، ويرى شبابكم رؤى . وعلى العبيد أيضاً وعلى الاماء اسكب روحى فى تلك الأيام ... لأنها فى جبل صهيون وفى اورشليم تكون النجاة . كما قال الرب وفى الباقين الذين يدعوهم الرب » (يؤ ٢ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢) . وحض السامعين على التوبة والإيمان بالمسيح . « فآمنوا واعتمدوا وانضم الى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس » (أع ٢ : ٤١) . فبالتى ما تم فى يوم الخمسين يتم معنا فى هذا اليوم المبارك .

ثالثاً — مواهب الروح القدس :

أن الروح القدس يعطى كل واحد من المؤمنين موهبة موهبة خاصة بها يخدم الكنيسة ، « فواحد يعطى كلام حكمة ، وآخر كلام علم ، وآخر نبوة ، وآخر تدبير ، وآخر ألسنة ، وآخر ترجمة ألسنة ، وآخر مواهب شفاء » (١ كو ١٢ : ٨ — ٩) . وكما ان الجسد به أعضاء كثيرة ، ولكل عضو عمل خاص ، فالسمع من خاصة الأذن ، والبصر من خاصة العين ، والتكلم من خاصة اللسان ، هكذا كل مؤمن له عمله الخاص فى الكنيسة . وهذه الأعمال المختلفة يهبها الروح القدس بعينه . فعلى كل واحد أن يقوم بموهبته ، صغيرة كانت أم كبيرة ، لخدمة الجسد الواحد ، ويحمد الرب الواحد .

رابعاً — مسحة الروح القدس :

فى العهد القديم كانوا يمسحون الملوك والكهنة والأنبياء لوظائفهم . وكانوا يمسحونهم بدهن المسحة المقدسة . والسيد المسيح بعد عماده من يوحنا المعمدان ، انفتحت له السماء ونزل الروح القدس واستقرت عليه ، فتمت نبوة اشعيا القائلة « روح الرب على مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطلاق والعمى بالبصر ، وأكرز بسنة الرب المقبولة » (لو ٤ : ١٨ ، ١٩) . وكان

الرسول بعد ما يعمدون المؤمنين يضعون أيديهم عليهم مع الصلاة ليقبل المؤمنين الروح القدس ، كما فعل بطرس ويوحنا مع أهل السامرة (أع ٨ : ١٤ - ٢٠) . وكما فعل بولس مع التلاميذ في أفسس (أع ١٩ : ١ - ١٦) . ولذلك يضع كهنة الكنيسة أيديهم مع الصلاة على المعتمدين وقت مسحهم بالميرون الذى هو طيب بعضه من أطياب جسد المسيح وقت دفنه .

فمع المسحة ينال الممسوح نعمة الروح القدس ، فالمسحة الخارجية بالزيت تمثل المسحة الداخلية بالروح القدس . « وأما أنتم فلکم مسحة من القدس وتعلمون كل شيء » (١ يو ٢ : ٢٠) . ونحن كمسيحيين قد نلنا نعمة الروح القدس مع المسحة المقدسة ، ولكن للأسف كثيرون منا وقت الكبر والرشد احزنوا روح قدسه واطفأوا الروح بخطاياهم . فالواجب علينا الآن أن نطلب رضى الروح القدس ونطيعه وننقاد بإرشاداته « امتلكوا بالروح » (أف ٥ : ٨) .

ان المسيح صلب يوم تقديم خروف الفصح لأنه هو فصحنا الذى ذبح لأجلنا . والروح القدس حل يوم الخمسين الذى فيه يعيد شعب الله بتقديم باكورة حصادهم ، والحصاد هو خير أرض الموعد ، وذلك لأن بركات الروح القدس هى بركات ميراثنا وعربون مجدنا الأبدى . فليملأنا الله من روحه وفيض علينا من نعمه . « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات » (يو ٣ : ٥) . وقال بولس الرسول : « لا بأعمال فى بر عملناها بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تي ٣ : ٥) . نعم لا يقدر الانسان ان يجد نفسه لأن هذا عمل الروح القدس وكما قال السيد المسيح المولود من الروح هو روح أى ان كل جنس يلد مثله فالروح القدس هو العامل المهم فى الخليقة الجديدة وعندما يحى الروح الانسان تظهر أثماره المقدسة فى الحياة . قال الرسول القديس بطرس فى حديثه الى اليهود فى يوم الخمسين فيسوع هذا ... وإذ كان قد ارتفع يمين الله وأخذ من الآب موعد الروح القدس سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعون » (أع ٢ : ٣٢ ، ٣٣) .

من هذا كله نتبين ان حلول الروح القدس فى يوم الخمسين كان تحقيقاً لوعده المسيح له . المجد الذى صرح به لتلاميذه . كما كان حلقة جديدة فى سلسلة من حلقات عمل الروح القدس فى الكنيسة منذ نشأت الخليقة . لكنها حلقة تقوم على عمل المسيح الكفارى الذى تم بموته وقيامته من الموت . وبها بدأت الكنيسة عصراً جديداً هو عصر يبرز فيه عمل الروح القدس فى تدبير الخلاص . وذلك بسكب مواهبه الخلاصية التى يغترفها من بحر الخلاص

الذى تفجر فى الصليب وينقلها الى المؤمنين بالمسيح فى قنوات روحية روحانية هى أسرار الكنيسة السبعة .. وما يتبع منها . ويتفرع عليها من مواهب وعطايا . وفى هذا كله يظهر واضحاً عمل الأقانيم الثلاثة متضامناً . وفى تدبير الخلاص للمؤمنين القديسين .

وكما يظهر تضامناً الأقانيم الإلهية واشتراكها معاً فى سر التجسد . كذلك يظهر تضامناً الأقانيم الإلهية واشتراكها معاً فى سر الفداء . نعم فإن الفداء سر وما أعظمه سر . هو سر تولدت عنه أسرار الكنيسة وهى مواهب الروح القدس فى العهد الجديد . ولربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح له المجد والاكرام والسجود من الآن وإلى الأبد آمين . .

أهم مراجع الكتاب

- ١ - الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد
- ٢ - قاموس الكتاب المقدس
- ٣ - الأجيبة (كتاب السبع صلوات النهارية والليلية)
- ٤ - بستان الرهبان لأباء الكنيسة القبطية
- ٥ - تفسير الكتاب المقدس إنجيل يوحنا - القس مرقس داود
- ٦ - اللاكس النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة - تأليف المتنبح القمص يوحنا سلامة
- ٧ - تأملات روحية فى شرح الأناجيل القبطية - كنيسة مارجررس بأسبورتنج
- ٨ - المواعظ النموذجية - للقمص بولس بأسيلي
- ٩ - سر التقوى - للأرشيدياكون حبيب جرجس
- ١٠ - كنوز النعمة جـ ١ - للأرشيدياكون بانوب عبده
- ١١ - جراح المسيح - للدكتور دون ر. فولكنجبرغ
- ١٢ - قيامة المسيح أنتظار وانتصار، ابن الله - للقمص إبراهيم جيرة
- ١٣ - بحث هام فى الأعياد السيديّة - بقلم الأستاذ كامل صالح نخلة
- ١٤ - مقالة من كتاب مواعظ الشماس صادق - للقمص بطرس القطشة
- ١٥ - مقالات من مجلة المحبة - لفبطة البابا الطوياوى/ الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطيريك الكرازة المرقسية
- ١٦ - مقالات من مجلة المحبة وجريدة وطنى - لنفاقة الحبر الجليل/الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى
- ١٧ - مقالات من جريدة وطنى - للقمص باسيلىوس باسيلىوس
- ١٨ - مقالات - للقمص جرجس بشارة
- ١٩ - مقالة من رسالة المحبة - للقمص أنطون عبد الملك

- ٢٠ - مقالة - للشماس بولس الأسفرى
- ٢١ - مجلة الكرمة - للأستاذ قوسه بك جرجس
- ٢٢ - كيف أن المسيح هو الله وابن الله - لنيافة الأنبا فيليب
- ٢٣ - الخلاص - للقس مرقس عيد المسيح
- ٢٤ - تفسير الأناجيل المقدسة ج ١ - للأب لويس برسوم الفرنسيسكانى
- ٢٥ - أشهر المواعظ ج ٢ - للدكتور جريفت توماس
- ٢٦ - مجلة الكرازة - لقداسة البابا شنودة الثالث
- ٢٧ - مجلة نورالعالم - لنيافة الأنبا فيليب
- ٢٨ - مجلة اليقظة - بقلم الايغومانس إبراهيم لوقا
- ٢٩ - مجلة المحبة - للقمص باسيلىوس إسرائيل
- ٣٠ - مجلة المحبة - للأستاذ عياد عياد
- ٣١ - مجلة الكرازة - للأستاذ فوزى نمر مينا
- ٣٢ - مجلة الكرازة - للأستاذ رشدى السيسى
- ٣٣ - رسالة السلام - بقلم القس إبراهيم سعيد

فهرس الكتاب

صفحة

٢	إهداء الكتاب - إلى أبينا القديس الأنبا أنطونيوس
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١١	تقديم الجزء الأول لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام
١٣	مقدمة الجزء الأول للقمص لوقا الأنطوني
١٥	تقديم الجزء الرابع لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس الأسقف العام
١٧	مقدمة الجزء الرابع للقمص لوقا الأنطوني

عظات لقدسات أناجيل جمع وعشيات الآحاد وآحاد واعياد الصوم المقدس

م	العظيمة	الموضوع
١	عشية أحد الرفاع	١٩
٢	قداس رفاع الصوم الكبير	٢٤
٣	قداس الجمعة الأولى	٣١
٤	عشية الأحد الأول	٣٧
٥	قداس الأحد الأول	٤٠
٦	قداس الجمعة الثانية	٤٥
٧	عشية الأحد الثاني	٥٠
٨	قداس الأحد الثاني	٥٧
٩	قداس الجمعة الثالثة	٦٤
١٠	عشية الأحد الثالث	٦٨
١١	قداس الأحد الثالث	٧٣
١٢	قداس الجمعة الرابعة	٨٠
١٣	عشية الأحد الرابع	٨٤
١٤	قداس الأحد الرابع	٩٠
١٥	قداس الجمعة الخامسة	٩٥
١٦	عشية الأحد الخامس	٩٧

م	العظيمة	الموضوع	ص
١٧	قداس الأحد الخامس	أحد الوحيد (المخلع)	١٠١
١٨	قداس الجمعة السادسة	الميلاد الثاني	١٠٧
١٩	عشية الأحد السادس	الباب الضيق	١١٣
٢٠	قداس الأحد السادس	المولود اعمى	١١٧
٢١	قداس الجمعة السابعة	مبارك الاتى باسم الرب	١٢٢
٢٢	عشية الأحد السابع	لماذا سعت النخيل؟	١٢٦
٢٣	قداس الأحد السابع	عيد لأحد الشعانين	١٣٠
٢٤	عشية ظهور الصليب المجيد	حياة التلمذة	١٣٨
٢٥	عشية تذكور البشارة	موقفان	١٤٣
٢٦	قداس ٢٩ من برمهات	عيد البشارة	١٤٦
٢٧	قداس خميس العهد للكبير	سر الاقارستيا	١٥٢
٢٨	الاحتفال بتذكور الصليب	جراح المسيح	١٥٧
٢٩	قداس عيد القيامة المجيد	قيامه يسوع المسيح	١٦٢

عظات لقداسات اناجيل جمع وعشيات الاحاد وآحاد وأعياد الضمانيين المقدسة

١	قداس الجمعة الأولى	شهادة الملاك لقيامه الرب	١٦٧
٢	عشية الأحد الأول	إلى العمق	١٧١
٣	قداس الأحد الأول	أحد توما	١٧٥
٤	قداس الجمعة الثانية	تناول الأسرار المقدسة	١٨٠
٥	عشية الأحد الثاني	الشكر	١٨٤
٦	قداس الأحد الثاني	خبز الحياة	١٨٨
٧	قداس الجمعة الثالثة	التلمذة والتعليم	١٩١
٨	عشية الأحد الثالث	نور العالم	١٩٥
٩	قداس الأحد الثالث	ماء الحياة	٢٠١
١٠	قداس الجمعة الرابعة	إبن الله	٢٠٥
١١	عشية الأحد الرابع	إبن الله	٢١٢
١٢	قداس الأحد الرابع	نور العالم	٢١٦

م	العظيمة	الموضوع	ص
١٣	قداس الجمعة الخامسة	الحبوة	٢٢٠
١٤	عشية الأحد الخامس	الوصية الجديدة	٢٢٤
١٥	قداس الأحد الخامس	الطريق والحق والحياة	٢٢٧
١٦	عشية خميس الصعود المجيد	الطريق الكامل	٢٣٣
١٧	قداس عيد الصعود المجيد	عيد الصعود	٢٣٧
١٨	قداس الجمعة السادسة	السلام الحقيقي	٢٤٢
١٩	عشية الأحد السادس	محبة الله فى حياتك	٢٤٦
٢٠	قداس الأحد السادس	فى انتظار الروح القدس	٢٤٩
٢١	قداس الجمعة السابعة	الماء الحى	٢٥٣
٢٢	قداس ٢٤ من شهر بشنس	عيد دخول المسيح أرض مصر	٢٥٥
٢٣	عشية الأحد السابع	يسوع الينبوع الحى العظيم	٢٥٨
٢٤	قداس حلول الروح القدس	عيد العنصرة	٢٦٣
	أهم مراجع الكتاب		٢٦٨
	فهرس الكتاب		٢٧٠

الكتاب : المواعظ الإلهية (الكتاب الأول)

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى

الطبعة : الثانية مارس ٢٠٠٠ م

المطبعة : مطبع بشركة تريكونوس للطباعة ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٠ / ٤٢٩٦

الترقيم الدولى : 977-12-05005-5

